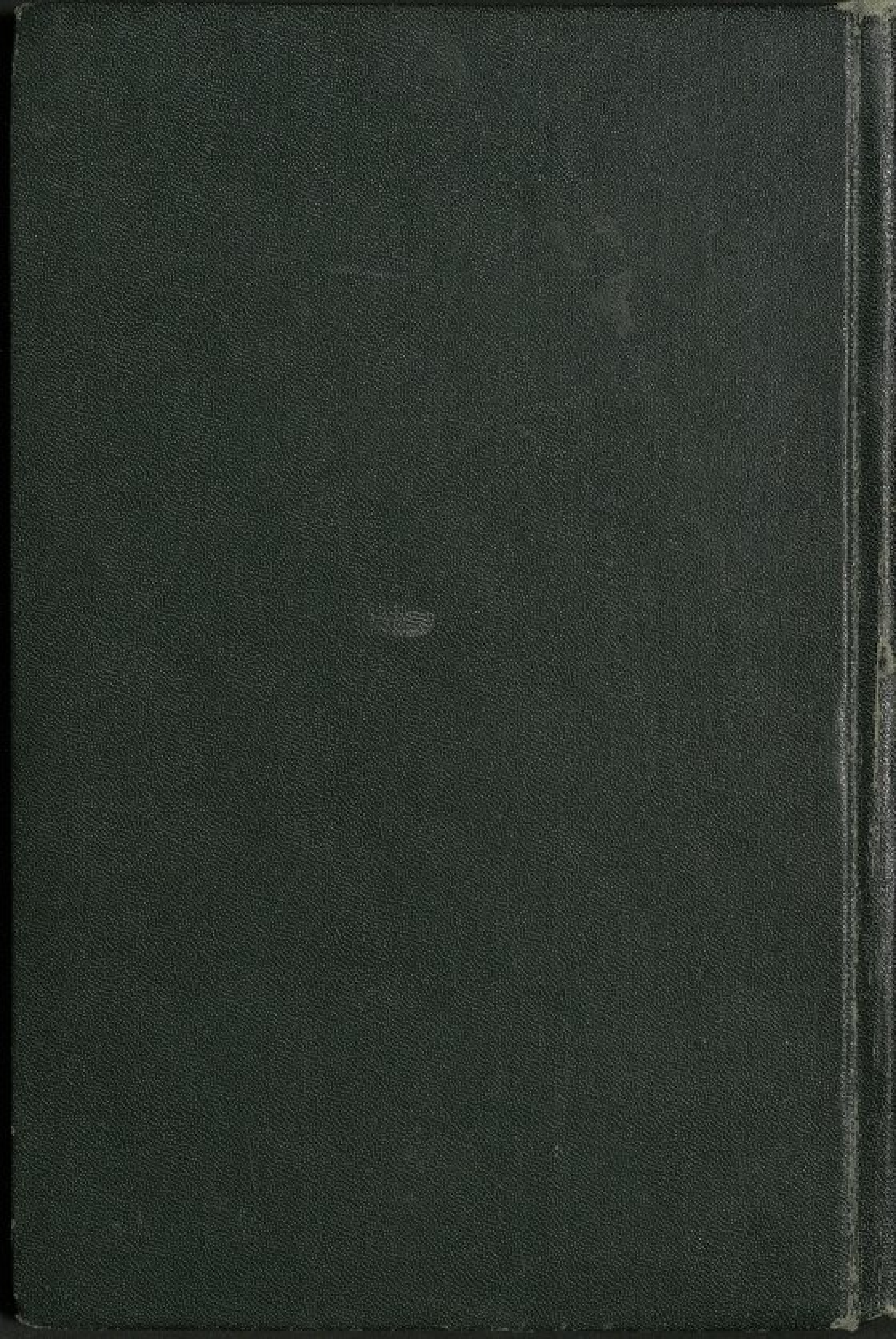
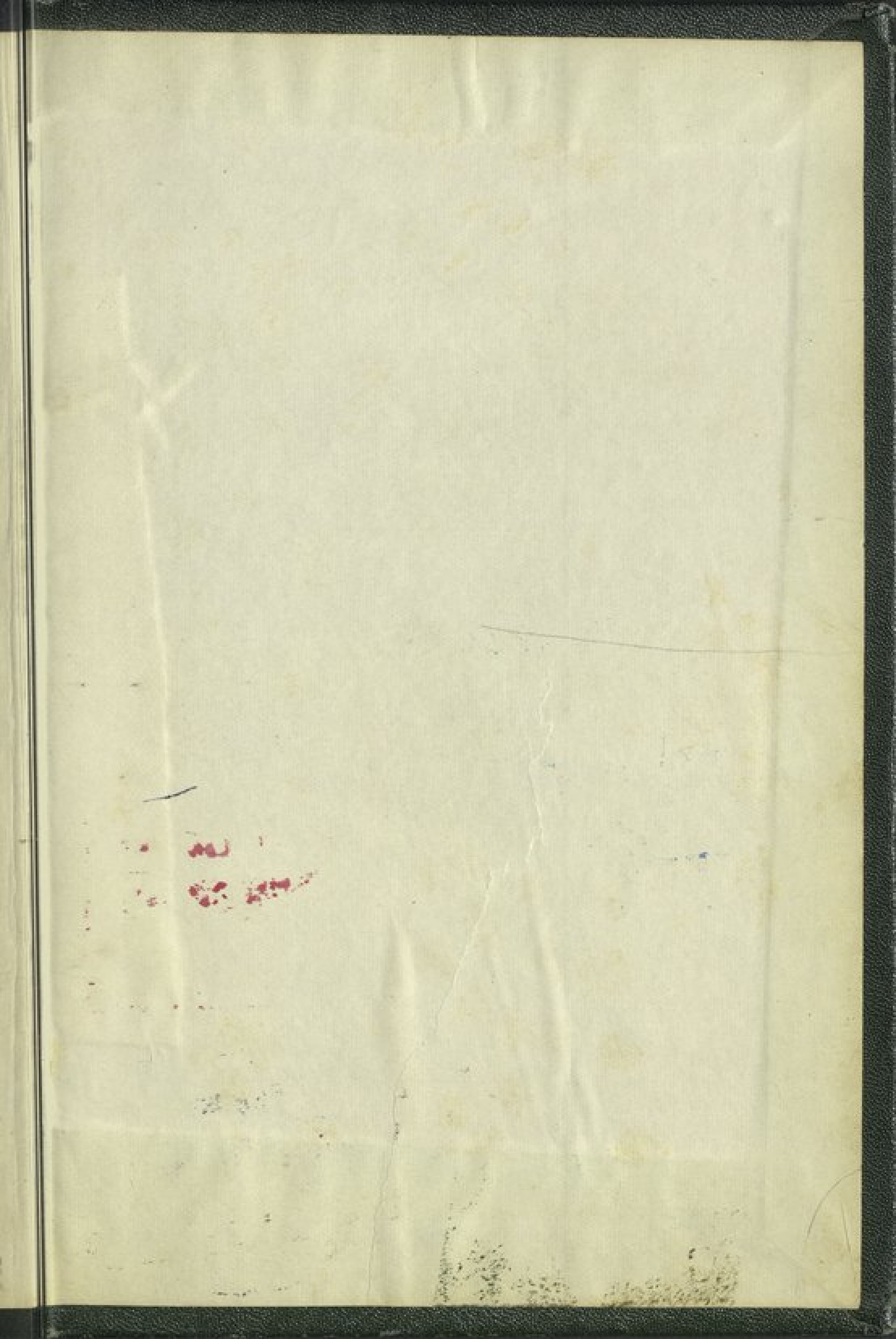
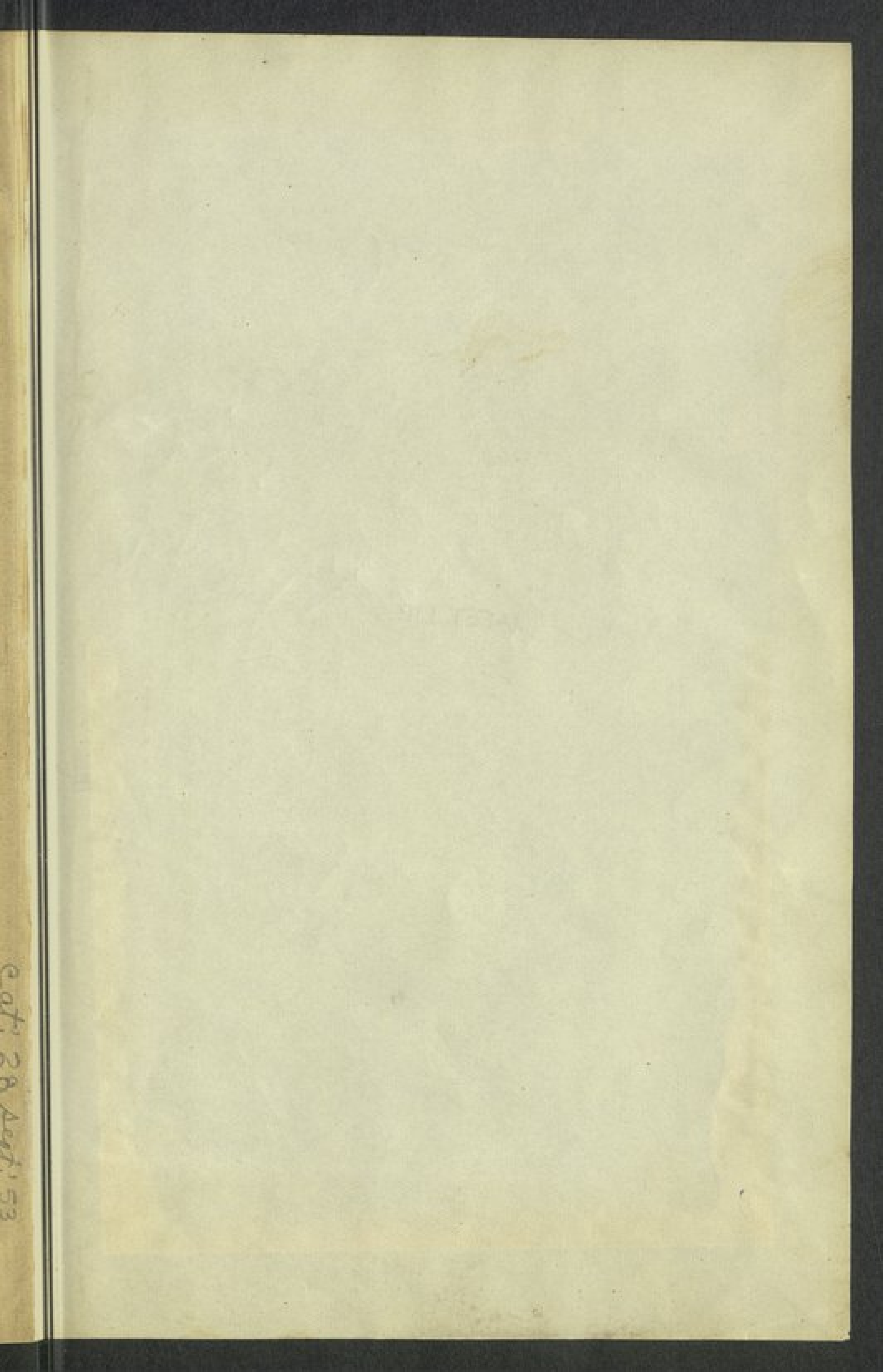




JAFET LIB.



808
M29tA
c.1

تاريخ علوم البلاغة

والتعريف برجالها

تأليف

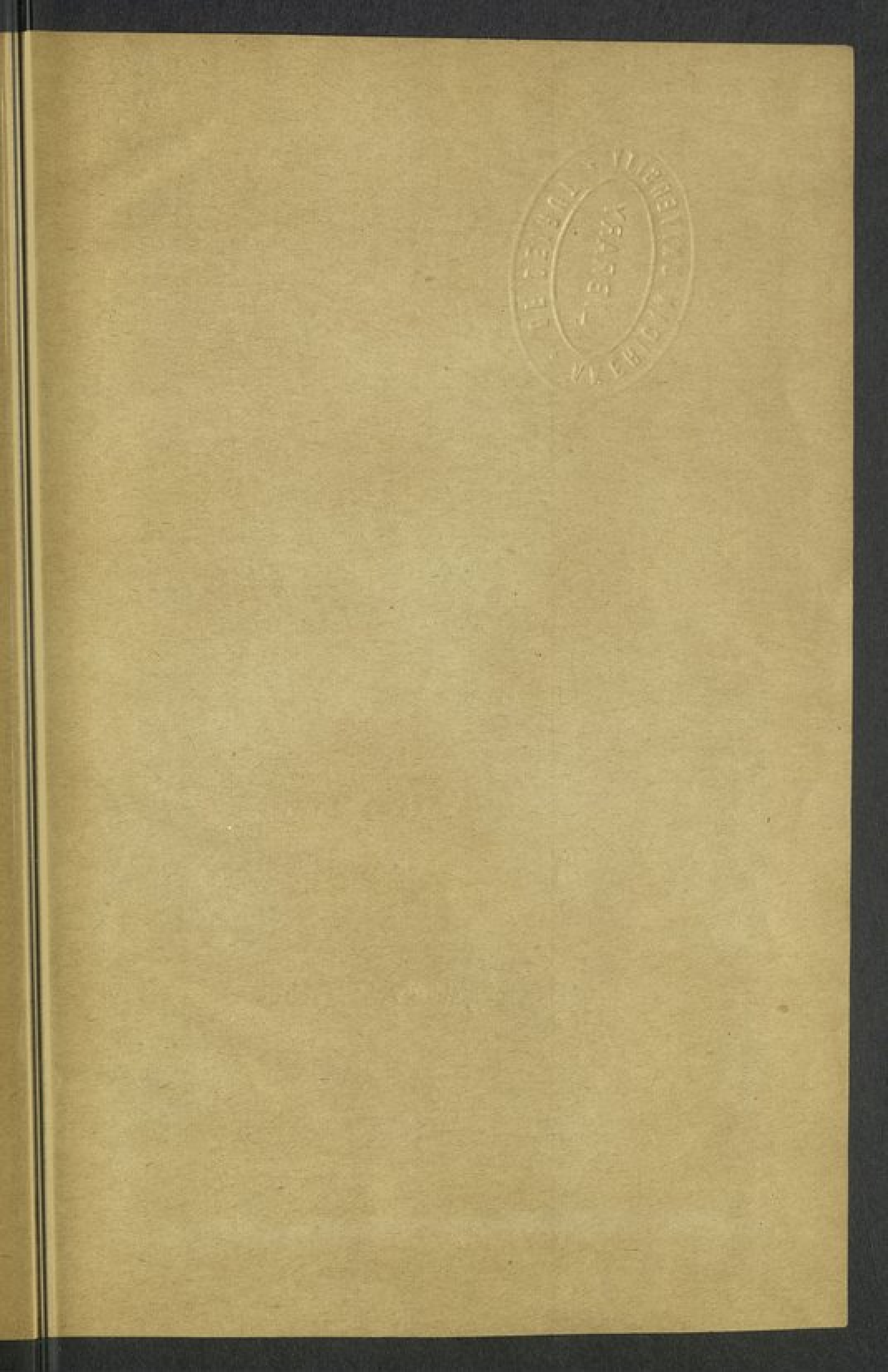
أحمد مصطفى المراغي
أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية
بكلية دار العلوم سابقا

الطبعة الأولى
١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

cat: 28 Sept. 53



مصادر الكتاب

الفهرس لابن النديم .

معجم الأدباء لياقوت الحموى .

وفيات الأعيان للقاضى بن خلكان .

فوات الوفيات لمحمد بن شاكر .

الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر الهيتمى

الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للسخاوى .

الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة للغزّى .

خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر لمحمد المحبى .

سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر .

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتى .

بغيــة الوعاة فى أخبار النحاة لجلال الدين السيوطى .

لب اللباب وتحرير الأنساب « « « .

حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطى .

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .

طبقات الشافعية لتاج الدين السبكى .

الفوائد البهية فى تراجم الحنفية لعبد الحى اللكنوى الهندى .

تاريخ بغداد للخطيب .

كتاب الذيل لتاريخ بغداد للسمعانى .

كتاب الأنساب للسمعانى .

كشف الظنون فى أسماء الكتب والفنون لملا كاتب جلبى .

كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر لسليمان رصد .

القول الإيجابى فى ترجمة العلامة الأنبابى لأحمد رافع الطهطاوى .

ريحانة الألباء للخفاجى .

إنشاء العطار لحسن العطار .

الكتاب لسيبويه .

شرح الكتاب لأبى سعيد السيرافى .

« « للأعلم الشنتمرى .

دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى .

أسرار البلاغة « « « .

سر الفصاحة للأمير بن سنان الخفاجى .

أطواق الذهب فى المواعظ للزمخشرى .

المثل السائر لابن الأثير .

المفتاح للسكاكى .

شرح مختصر التلخيص لسعد الدين التفتازانى .

مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى :

يتيمة الدهر للثعالبى .

سر العربية « .

الصناعتين لأبى هلال العسكرى .

نقد النثر لقدامة بن جعفر .

« الشعر « « « .

الخصائص لابن جنى .

المعرب والدخيل لابن الجواليقى .

شفاء الغليل فيما فى لغة العرب من الدخيل .

مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى .

الحدود فى النحو للفاكهى .

—

١- لا تعود أهمية البلاغة فقط إلى تحسين الكلام

وقوة المعنى، بل لها أهميات متعددة، منها:

فهم وبيان إعجاز القرآن البلاغي واللغوي.

① في: حكاية [illegible] الذي رد على [illegible] محمد،

② الآية (وقلنا يا أرض ابلعي ماءك)

- مقدمة ابن خلدون
- مفتاح العلوم
- كشاف الزمخشري

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المحمود الله جلت آلاؤه ، والمصلى عليه النبى وآله .

وبعد : فقد طلب إلىّ طلبة تخصص المادة (شعبة البلاغة والأدب) فى كلية اللغة العربية من الأزهر الشريف ، أن أكتب لهم مقالة توضح نشأة علوم البلاغة ، وتشرح الأطوار التى مرت بها منذ بدء التصنيف ، حين كانت بحوثها مبعثرة فى كتب النقد والموازنات وإعجاز القرآن ، إلى أن صارت ذات كيان خاص بكتابى عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، وتبين أثر المنطق والفلسفة فى تأليف السكاكى ومن بعده ، وترشد الناظر فيها إلى ماطرأ من التحول فى اتجاه أبحاث المؤلفين ، وتوافرهم على خدمة الكتب دون خدمة الفن ، مما كان مدعاة لوقوف الحركة الفكرية فى مسائل العلم الحقيقية ، وأصبح الشغل الشاغل لهم التفوق فى البحوث اللفظية ، والاهتمام بالحوار والجدل فى الألفاظ لافى الأغراض والمقاصد ، إلى ضعف فى الأسلوب كان أثراً من البيئة الأعجمية فارسية أو تركية أو هندية ؛ وأنى لكتب هذه حالها أن تصل بدارسيها إلى مايروم من فائدة أو تكون مثلا تحتذى (إنك لاتجنى من الشوك العنب) .

فلا غرو أن قلّ غناؤها وأصبحت مبعدة عن الغرض لامُقرِّبة إليه ، فأشاح عنها الناس بوجوههم بعد أن أعرضت عنهم بالفائدة ، كما تبين الطريق إلى معرفة رجالات هذه الفنون الذين أفادوا العلم وأهله ، وأظهروا محاسن كانت محجبة ، وفتقوا أزهارها من أكامها ، واستخرجوا دررها من أصدافها ، وقد كان لهم ما أرادوا ، هاهى ذى مقالة جاءت تختال فى حلاها وحللها ، وتجلى عن الغرض بأدق تعبير وأوضح بيان .

وقد صدّرناها بذكر المراجع التى كنا نعيد النظر فيها عند وضع هذه البحوث، علّ القارئ يحتاج إلى الاستزادة بالنظر فيها ، والله الموفق ، وبه الهداية لأقوم طريق ؟

أحمد مصطفى المراغى

٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٠
٢٧ من إبريل سنة ١٩٤١

نشأة علـــوم البلاغة

أطوار التأليف فيها

الطور الأول

من عصر سيبويه إلى عصر عبد القاهر

قال الجوهرى فى الصحاح : البلاغة : الفصاحة ؛ وأكثر ما كانت تستعمل هذه الكلمة ومشتقاتها فى الدلالة على فصاحة الكلام ، فيقولون : كلام فصيح وكلام بليغ إذا استوفى الشروط التى ذكرها علماء البلاغة فيما بعد ، وكلمة فصيحة إذا سلمت من الثقل فى النطق والغرابة فى الاستعمال ومخالفة قواعد التصريف ، وتبع هذا أن يقال متكلم بليغ أو فصيح ، إذا أتى بالكلام الجامع لتلك الخصال الحميدة التى بينها المؤلفون فى هذه الفنون ، أمثال الجاحظ فى البيان والتبيين والمبرد فى كتابى : الكامل والبلاغة ، وابن دريد فى كتاب الجمهرة ، والآمدى فى كتاب الموازنة .

ثم أطلقت فى العصور الأخيرة على العلوم الثلاثة : [المعانى ، والبيان ، والبديع] فقيل علوم البلاغة ، ولا نعلم أحدا استعملها هذا الاستعمال قبل السكاكى ، فإن العلماء قبله كانوا يسمونها تارة : بعلم البديع ، كما فعل عبد الله بن المعتز ، وأخرى : علوم البيان ، كما فعل الجاحظ ، وطوراً : علوم النقد ، كما فعل قدامة بن جعفر فى كتابيه : نقد النثر ، ونقد الشعر ؛ وحينا بصناعتى الشعر والنثر ، كما فعل أبو هلال العسكرى فى الصناعتين .

ولم تذكر مباحث هذه العلوم إلا تبعا لبيان أسرار فصاحة النثر والنظم

فها نحن أولاء نرى سيبويه فى [الـكتاب] يذكر فى أثناء الكلام على بعض قواعد الإعراب، شيئا من أسرار التراكيب ، ووجه الدقة فى استعمالها ، وقد وضعنا فصلا مستقلا لهذا البحث ستجده بعد .

وقد سلك هذا المسلك أبو عبيدة فى كتابه [مجاز القرآن] فذكر فيه الطرق التى كانت تستعملها العرب فى أساليبها ، وبيان مافيها من جمال فنىّ ودقة فى التعبير ، ثم قفاهما الجاحظ وتكلم فى كتاب [البيان والتبيين] على ماينبغى أن يكون عليه الخطيب من رباطة الجأش ، وجهارة الصوت ، وحسن المخارج والمقاطع ، كما تكلم على الألفاظ التى يجب التباعد عنها لما فيها من ثقل فى اللفظ أو غرابة فى الاستعمال ، مع ضرب المُثُل لذلك من كلام العرب ، وذكر المواضع التى يستحسن أن يطيل فيها الخطيب ، والمواضع التى ينبغى أن يوجز فيها، مع ذكر الشواهد على كل من النوعين، ووجه الحسن فى كلا الأمرين ؛ وجاء إثره عبد الله بن المعتز ، وألف كتابه [البديع] وجعله فتحا مبينا ؛ إذ قال ما ألف قبلى فنون البديع أحد ، ومن أراد أن يزيد على مافعلنا فله اختياره ، وسار على نهجه قدامة بن جعفر الـكاتب معاصره ، وألف كتابيه [نقد النثر — نقد الشعر] واجتمع معه فى بعض البحوث ، وزاد شيئا على سلفه ، وكذلك فعل المبرد فى كتاب : [الكامل] فحلى جيد مباحثه فى النحو والتصريف والأدب بذكر مسائل من صميم علوم البلاغة : كالتشبيه المصيب والاستعارة ، ومواضع الإيجاز والإطناب ، ولم يصل إلينا كتابه [البلاغة] لنعلم المهيع الذى سلكه ، والطريق التى رسمها فى تأليفه ؛ وبعـدئذ أتى أرباب الموازنات بين الشعراء كالموازنة بين أبى تمام ، والبحترى لأبى القاسم الحسن بن بشر

الآمدى ، والوساطة بين المتنبى وخصومه ، فذكروا فى أثناء بحوثهم مباحث جليلة من هذه الفنون اقتضاها حسن الشرح والبيان فى وجوه المفاضلة بين الشاعر والشاعر أو الكاتب والكاتب .

وقريب من هذا مافعله الذين ألفوا الكتب فى إعجاز القرآن كالجاحظ والباقلانى والرمانى وعبد القاهر فى جمع آخرين ممن أفردوا مؤلفات خاصة للمفاضلة بين أساليب الكتاب الكريم ، وما شاكلها مما استعمله العرب فى العصر الجاهلى والعصر الإسلامى فى الأغراض والمقاصد التى ذكرها وتصدى لبيانها ؛ وكتاب إعجاز القرآن للباقلانى ملىء بهذه المباحث الجليلة التى أفردها العلماء بالتأليف بعد .

ويقرب من هـــذا النهج الذى اتبعه أبو عبيدة فى كتابه : [المجاز فى القرآن] فذكر الأساليب التى جاءت فى الكتاب الكريم على المهيع الذى كانت تسلكه العرب فى كلامها ؛ فتراه يقول مثلا : ومجاز الآية (يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) أن الأصل واركعى واسجدى ، والعرب تقدم المؤخر وتؤخر المقدم ، كما قال حسان بن ثابت فى ذكر بنى هاشم :

بهاليل منهم جعفر وابن عمه　　　علىّ ومنهم أحمــد المتخير

وقال الصلتان العبدى :

فملتنا أننا مسلمون　　　على دين صدّيقنا والنبى

والآية : (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) تقديرها أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا ، كما قال امرؤ القيس :

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة ... كفانى ولم أطلب قليل من المال

وتقديره كفانى قليل من المال ولم أطلبه .

وتجده يقول فى قوله عز وعلا : (كل من عليها فان) أى من على الأرض ، وقوله (حتى توارت بالحجاب) يعنى الشمس ، وقوله (كلا إذا بلغت التراقى) يعنى الروح ، فكنى عن الأرض والشمس والروح من غير أن أجرى ذكرها ، كما قال حاتم الطائى :

أماوىّ مايغنى الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

يعنى حشرجت النفس ، وقال دعبل :

إن كان إبراهيم[1] مضطلعا بها ... فلتصلحن من بعده لمُخارق[2]

يعنى الخلافة ولم يسمها من قبل .

وفى قوله تعالى (واسأل القرية التى كنا فيها) أى أهلها ، والعرب تفعل ذلك ، فتذكر المكان ، والمراد من فيه كما قال حُميد بن ثور :

قصائد تستحلى الرواة قصيدها ... ويلهو بها من جانب الحىّ سامر

يعض عليها الشيخ إبهام كفه ... وتجرى بها أحياؤكم والمقابر

أى أهل المقابر ، والعرب تقول: أكلت قدراً طيبة: أى أكلت مافيها، وتراه يقول فى قوله (اعملوا ماشئتم) وقوله (ومن شاء فليكفر) إن هذا ظاهره الأمر وباطنه الزجر ، وهو من سنن العرب تقول : إذا لم تستح فافعل ماشئت .

---

(١) يعنى إبراهيم بن المهدى فقد خرج على المأمون وطلب الخلافة لنفسه .

(٢) هو أحد المغنين .

وفى قوله : (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة) إنه رجوع من المخاطبة إلى الكناية ، والعرب تفعل ذلك كما قال النابغة :

يادار ميـــة بالعلياء فالسند   أقوت وطال عليها سالف الأمد

فقال يادارمية ثم قال أقوت ؛ وقد تنتقل من الكناية إلى المخاطبة ، كما فى قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد و إياك نستعين) .

وهكذا تراه سار على هذا النمط فى الآيات التى فيها فنّ من البلاغة ، واقتضى الحال العدول عن الظاهر إلى نحو آخر ، والكتاب كله محاسن ولطائف ، وفوائد وفرائد من فنون الفصاحة لايستغنى عن معرفتها أديب ، ودرج على سننه الإمام اللغوى أبو منصور عبد الملك الثعالبى فى كتابه [فقه اللغة وسر العربية] فذكر فى القسم الثانى منه [سر العربية] خلاصة ماذكره أبو عبيدة فى كتابه [المجاز فى القرآن] واقتبس الكثير منه وسمى كتابه بهذا الاسم ، وتغيير الأسماء لايضير إذا اتحدت الأغراض والمقاصد .

وقصارى القول أن المؤلفات فى هذا الطور ساذجة ليس فيها شىء من التدقيق فى التعريفات والضوابط ، ولم يزنها مؤلفوها بمعيار المنطق ، ولم يصبغوها بتلك الصبغة التى ظهرت بعض الظهور فى الطور الثانى ، و بوضوح فى الطورين الثالث والرابع ، حاشا كتابى نقد النثر ، ونقد الشعر لقدامة المتوفى سنة ٣٣٧ ففيهما شىء من ملح المنطق يظهر خفيفا فى تعريفاتهما ؛ فتراه يقول فى نقد النثر فى تعريف البلاغة : وحدّها عندنا أنه القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام وحسن النظام وفصاحة اللسان ، وإنما أضفنا إلى الإحاطة بالمعنى اختيار الكلام ؛ لأن العامى قد يحيط قوله

بمعناه الذى يريده إلا أنه يأتى بكلام مرذول من كلام أمثاله فلا يكون موصوفا بالبلاغة ، وزدنا فصاحة اللسان لأن الأعجمى واللحان قد يبلغان مرادهما بقولهما فلا يكونان موصوفين بالبلاغة ، وزدنا حسن النظام ؛ لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتى على المعنى ولا يحسن ترتيب ألفاظه وتصيير كل واحدة منها مع مايشا كلها فلا يقع ذلك موقعه ، فهأنت ذا تراه سلك الطريق المنطق وذكر محترزات التعريف .

وتجد مثل هذا فى نقد الشعر ، فقد عرّف الشعر تعريفاً منطقياً فقال : إنه قول موزون مقفى يدل على معنى ؛ فقولنا : قول دالّ على أصل الكلام الذى هو بمنزلة الجنس للشعر ؛ وقولنا : مقفى موزون يفصله مما ليس بموزون ، إذ كان من القول موزون وغير موزون ؛ وقولنا : مقفى فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف وبين مالا قوافى له ولا مقاطع ، وقال آخر التعريف : فإذ قد تبين أن الشعر هو ما قدمنا ، فليس من الاضطرار أن يكون ماهذه سبيله جيدا أبداً ولا رديئا أبداً ؛ بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران — إلى آخر ما قال .

كذلك تجد فى هـذا العصر نوعا جديداً من الفلسفة خفيف الظل ، للنفس إليه حنين ، ولها إليه التياع وشوق ؛ ذاك أنها فلسفة فى وضع اللغة ، و بيان حكمة واضعها ، ودقيق صنعه ، وأنه لم يضع الألفاظ بحسب ما اتفق له ، بل راعى الذوق فى أجراس ألفاظها ، واستطالة كلماتها أو قصرها ، ولاءم بين مخارج حروفها ، فجاءت من التناسب والدقة كما أحب واشتهى .

وفارس حلبة هذا الميدان أبوعلى الفارسى ، الحسن بن أحمد المتوفى سنة ٣٧٧ ﻫ .

وتلميذه الفيلسوف العربى أبوالفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ فإنه كان نسيج وحده ، وفريد عصره ، فى بيان أسرار اللغة ودقة وضعها . قال فى الخصائص :

اعلم أن واضع اللغة لما أراد صوغها ، وترتيب أحوالها ، هجم بفكره على جميعها ، ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفصيلها ، وعلم أنه لابد من رفض ماشنع تألفه منها نحو : هع ، وقج ، وكن ، فنفاه عن نفسه ، ولم يمرره بشىء من لفظه . وعلم أيضا أن ماطال وأمل بكثرة حروفه لا يمكن فيه من التصرف ما أمكن فى أعدل الأصول وأخفها وهو الثلاثى ، وذلك أن التصرف فى الأصل وإن دعا إليه قياس وهو الاتساع به فى الأسماء والأفعال والحروف ، فإن هناك من وجه آخر ناهيا عنه ، وموحشا منه ، وهو أن فى نقل الأصل إلى أصل آخر نحو : صبر ، وبصر ، وضرب ، وربض ، صورة الإعلال نحو قولهم : ما أطيبه ، وأيطبه ، واضمحل وامضحل ، وقسى ، وأينق ، وقوله : (مروان مروان أخو اليوم اليمى) وهذا كله إعلال لهذه الكلم وما جرى مجراها .

فلما كان انتقالهم من أصل إلى أصل نحو : صبر ، و بصر ، مشابها للإعلال من حيث ذكرنا ، كان من هذا الوجه كالعاذر لهم فى الامتناع من استيفاء جميع ماتحتمله قسمة التركيب فى الأصول . فلما كان الأمر كذلك واقتضت الضرورة رفض بعض واستعمال بعض ، وكانت الأصول ومواد الكلم معرضة لهم ، وعارضة أنفسها على تخييرهم ، جرت لذلك

مجرى مال ملق بين يدى صاحبه ، وقد أجمع إنفاق بعضه دون بعضه ، فميز رديئه وزائفه فنفاه ألبتة ، كما نفوا عنهم تركيب ماقبح تأليفه ، ثم ضرب بيده إلى ما أطف له (دنا وقرب) من عرض جيده ، فتناوله للحاجة إليه ، وترك بعضه الآخر لأنه لم يرد استيعاب جميع مابين يديه ، لما قدمنا ذكره ، وهو يرى أنه لو أخذ ماترك مكان أخذ ما أخذ لأغنى عن صاحبه ، ولأدى فى الحاجة إليه تأديته . ألا ترى أنهم لو استعملوا لجع مكان نجع لقام مقامه وأغنى مغناه ، ثم لاأدفع أيضاً أن تكون فى بعض ذلك أغراض لهم عدلوا إليه لها ومن أجلها ؛ فإن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التى عبر بها عنه ؛ ألا تراهم قالوا قَضِم فى اليابس ، وخضم فى الرطب ، وذلك لقوة القاف ، وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى ، والصوت الأضعف للفعل الأضعف ، وكذلك قالوا صرّ الجندب ، فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته ، وقالوا : صرصر البازى فقطعوه لما هناك من تقطيع صوته ، وسموا الغراب : غاقِ حكاية لصوته ، والبط : بطا حكاية لأصواتها ؛ وقالوا : قط الشىء : إذا قطعه عرضا ، وقدّه : إذا قطعه طولا ، وذلك لأن منقطع الطاء أقصر مدة من منقطع الدال ، وكذلك قالوا مدّ الحبل ، ومتّ إليه بقرابة ، فجعلوا الدال لأنها مجهورة لما فيه علاج ، وجعلوا التاء لأنها مهموسة لما لاعلاج فيه .

نعم ، وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها فى الزمان عنا . ألا ترى إلى قول سيبويه : أولعل الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر ؛ يعنى أن يكون الأول الحاضر شاهد الحال ، فعرف السبب الذى

له ومن أجله ما وقعت عليه التسمية ، والآخر لبعده عن الحال لم يعرف السبب للتسمية . ألا ترى إلى قولهم : للانسان إذا رفع صوته ، قد رفع عقيرته ، فلو ذهبتَ تشتق هـذا بأن تجمع بين معنى الصوت و بين معنى «ع ق ر» لبعد عنك وتعسفت . وأصله أن رجلا قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ، ثم صرخ بأرفع صوته . فقال الناس : رفع عقيرته ، وهذا مما ألزمه أبو بكر أبا إسحق فقبله منـه ولم يردده عليه ؛ والكلام هنا أطول من هذا ، لـكن هذا مفاده ، فأعلق يدك بما ذكرناه ، من أن سبب إهمال ما أهمل إنمـا هو لضرب من ضروب الاستخفاف ، لـكن كيف ومن أين ؟ فقد تراه على ما أوضحنا ، فهذا الجواب عن إهمالهم ما أهملوه من محتمل القسمة لوجوه التراكيب فاعرفه .

وتراه فى موضع آخر يقول — باب من غلبة الفروع على الأصول — هذا فصل من فصول العربية ظريف تجده فى معانى العرب كما تجده فى معانى الإعراب ، ولا تـكاد تجد شيئا منه إلا والغرض فيه المبالغة ؛ فما جاء فيه للعرب قول ذى الرمة :

ورمل كأوراك العذارى قطعته ... إذا ألبسته المظلماتُ الحنادس

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعا والفرع أصلا ، وذلك أن العادة والعرف فى نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء ؛ ألا ترى إلى قوله :

ليلى قضيب تحته كثيب ... وفى القـلاد رشأ ربيب

وإلى قول ذى الرمة أيضا ، وهو من أبيات الـكتاب :

ترى خلفها نصفا قناةً قويمةً ... ونصفاً نقاً يرتجّ أو يتمرمر

وإلى قول الآخر :

خُلقتِ غير خلقةِ النسوان   إن قمت فالأعلى قضيب بان

وإن تولّيت فدعْصَتان   وكل إدٍّ تفعل العينان

وإلى قوله :

كدعص النقا يمشى الوليدان فوقه   بما احتسبا من لين مسٍّ وتسهال

وما أحسن ماساق الصنعة فيه الطائى الكبير :

كم أحرزت قُضُب الهندى مصلتةً   تهتز من قضب تهتز فى كُثُب

ولله در البحترى ، فما أعذب وأظرف وأدمث قوله :

أين الغزال المستعير من النقا   كفلا ومن نَوْر الأقاحى مَبْسِما

فقلب ذو الرمة العادة والعرف فى هـذا ، فشبه كثب الأنقاء بأعجاز النساء ؛ وهذا كأنه يخرج مخرج المبالغـة ، أى قد ثبت هذا الوضع وهذا المعنى لأعجاز النساء ، فصار كأنه الأصل فيه حتى شبه به كثبان الأنقاء ، ومثله للطائى الصغير :

فى طلعة البدر شىء من ملاحتها   وللقضيب نصيب من تثنيها

وآخر من جاء به شاعرنا فقال :

نحن ركب ملجنٍّ فى زى ناس   فوق طير لها شخوص الجمال

فجعل كونهم جنا أصلا ، وجعل كونهم ناسا فرعا ، وجعل كون مطاياه طيرا أصلا ، وكونها جمالا فرعاً ، فشبه الحقيقة بالمجاز فى المعنى الذى منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد .

إلى أن قال — ونظائره فى هذه اللغة كثيرة ، وهذا المعنى عينه قد استعمله النحويون فى صناعتهم ، فشبهوا الأصل بالفرع فى المعنى الذى أفاده

ذلك الفرع من ذلك الأصل ؛ ألا ترى أن سيبويه أجاز فى قولك هذا الحسنُ الوجهِ ، أن يكون الجر فى الوجه من موضعين ، أحدهما الإضافة ، والآخر تشبيهه بالضارب الرجل ، الذى إنما جاز فيه الجر تشبيها له بالحسن الوجه على ماتقدم فى الباب قبل هذا . فإن قيل وما الذى سوّغ سيبويه هذا ، وليس مما يرويه عن العرب رواية ، وإنما هو شىء رآه واعتقده لنفسه ، وعلل به ؟

قيل يدل على صحة ماراه من هذا وذهب إليه ماعرفه وعرفناه معه ، من أن العرب إذا شبهت شيئا بشىء مكنت ذلك الشبه لهما ، وعقدت الحال بينهما ؛ ألا تراهم لما شبهوا الفعل المضارع بالاسم فأعربوه ، تمموا ذلك المعنى بينهما بأن شبهوا اسم الفاعل بالفعل فأعملوه ، وكذلك لما شبهوا الوقف بالوصل فى نحو قوله عليه الصلاة والسلام : والرحمت ، وقوله : « بل جَوْزِتيهاء كظهر الحجَفَتْ » ، وقوله :

الله نجّاك بكفّىْ مَسْلَمَتْ من بعد ما وبعدما وبعدمت

صارت نفوس القوم عند الغلصمت وكادت الحرة أن تدعى أمتْ

كذلك شبهوا أيضا الوصل بالوقف فى قولهم ثَلَثَهَرْبَعَه ، يريد ثلاثة أربعة ، ثم تخفف الهمزة فيقول ثلثهَرْبَعَهْ ، وكما وضع الضمير المنفصل موضع المتصل فى قوله : إليك حتى بلغت إيّاكا

ومنه قول أمية :

بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت إياهم الأرض فى دهر الدهارير

كذلك وضع أيضا المتصل موضع المنفصل فى قوله :

فما نبالى إذا ما كنت جارتنا ألا يجاورنا إلاك ديّار

هذا كلامه — فانظر رعاك الله إلى تلك الفلسفة اللغوية التى تراها تكاد تسيل رقة ، ولها فى النفوس محبة ومقة ، لأنها من صميم لغتنا ، وجوهر أساليبها ، وقد قال ابن زيدون : واللبيب يحنّ إلى وطنه ، حنين النجيب إلى عطنه .

الطور الثانى

عصر عبد القاهر والزمخشرى وابن الأثير

يبتدئ هذا الطور بأبى بكر عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ الذى جمع متفرقات هذا العلم ، وأقام بناءها على آساس متينة ، وركز دعائمها على أرض جدد لا تنهار ، وأملى فيه كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، وأحكم بناءهما بضرب الأمثلة والشواهد ، مع التحقيق العلمى البديع ، الذى حاكه بلسان عربى مبين ، وقرن فيهما بين وضع القواعد الفنية ، وصوغها بالأساليب الأدبية ، فجمع بين العلم والعمل ، إذ هو جد عليم بأن مسائل الفنون إن لم تؤيد بالأمثلة والشواهد لا تتضح حق الوضوح ولا تتمثل فى الأذهان تمام التمثل .

وفى الحق أن كتابيه يعدان أول المؤلفات العلمية فى هذه الفنون بما اشتملا عليه من تحقيق علمى للمباحث التى عرض لها ، مع أسلوب أدبى لم يعبه ذلك الملح المنطق الذى خلط به كلامه ، ولم يطغ على أسلوبه كما طغى على أساليب المؤلفين بعده كما سيجىء ؛ فلا عجب إذا رأيناهم يقولون إن أول من وضع هذه الفنون الإمام عبد القاهر .

كذلك من الحق أن نقول إن عبد القاهر بوضعه هذين الكتابين

أنشأ منه البيان كاملا — كما فعل سيبويه فى الكتاب ، إذ به أوجد النحو كاملا ، وفعل الخليل من قبل ، إذ أوجد العروض علما تاما ، وكل من جاء بعد عبد القاهر فمن نور علمه قبس ، ومن ينبوع بحره اغترف ، وما زيد بعده من المسائل فقشور لا يضير العالم تركها ؛ فهو الذى نهض بهذا العلم نهضة جديدة ، وأوجد فيه حياة لم تكن معروفة قبل ؛ وهو وإن كان أدخل البحوث الفلسفية لإثبات قضايا هذا العلم بإسراف حينا ، واقتصاد حيناً آخر ، أبقى الصبغة الأدبية سليمة لا يعتورها وهن ولا ضعف ، فأنت تراه يذكر فى التعريفات محترزات القيود كما هى طريق المناطقة فى تواليفهم ، كقوله فى أسرار البلاغة فى تقسيم الاستعارة (الذى يستحق بحكم هذه الجملة أن يكون أولا من ضروب الاستعارة ما يرى فيه معنى الكلمة المستعارة موجودا فى المستعار له من حيث عموم جنسه على الحقيقة ، إلا أن لذلك الجنس خصائص ومراتب فى الفضيلة والنقص والقوة والضعف ؛ فأنت تستعير لفظ الأفضل لما هو دونه كاستعارة الطيران لغير ذى الجناح إذا أردت السرعة ، وانقضاض الكواكب للفرس إذا أسرع فى حركته من علو)[1] ، وقوله فى تعريف المجاز وبيان حقيقته ، والفرق بينه وبين المنقول والمشترك : (لأن قصدى فى هذا الفصل أن أبين أن المجاز أعم من الاستعارة ، وأن الصحيح من القضية فى ذلك ، أن كل استعارة مجاز ، وليس كل مجاز استعارة ، وذلك أنا نرى العارفين بهذا الشأن أعنى علم الخطابة ونقد الشعر ، والذين وضعوا الكتب فى أقسام البديع ، يجرى على أن الاستعارة نقل الاسم عن أصله إلى غيره للتشبيه على حد المبالغة[2]) .

---

(١) صفحة ٣٩ (٢) صفحة ٣٢٦

وقوله فى موضع آخر : (وإن ماتجده فى كتب اللغة من إدخال ماليس طريق نقله التشبيه — فى الاستعارة كما صنع أبو بكر بن دريد فى الجمهرة ، فانه ابتدأ بابا فقال باب الاستعارات — ثم ذكر فيه أن الوغى اختلاط الأصوات فى الحرب ، ثم كثرت وصارت الحرب وغى وأنشد :

إضمامة من دونها الثلاثين لهاوغى مثل وغى الثمانين[1]

يعنى اختلاط أصواتها — وذكر بين ماذكره من هذه الكلمة أشياء هى استعارة على الحقيقة على طريقة أهل الخطابة ونقد الشعر ، لأنه قال الظمأ العطش وشهوة الماء ، ثم كثر ذلك حتى قالوا ظمئت إلى لقائك ، وقالوا الوَجور ماأوجره الإنسان من دواء أوغيره ، ثم قالوا أوجره الرمح ، إذا طعنه فى فيه .

فالوجه فى هذا الذى رواه من إطلاق الاستعارة على ماهو تشبيه ، كما هو شرط أهل العلم بالشعر ، وعلى ماليس من التشبيه فى شئ ، ولكنه نقل اللفظ عن الشئ إلى الشئ بسبب اختصاص ، وضرب من الملابسة بينهما ، وخلط أحدهما بالآخر ، أنهم كانوا نظروا إلى ما يتعارفه الناس فى معنى العارية ، وأنها شئ حُوِّلَ عن مالكه ، ونقل عن مقره الذى هو أصل فى استحقاقه إلى ماليس بأصل ولم يراعوا عرف القوم)[2] .

فهأنت ذا تجده ينسب الطريقة البلاغية الاصطلاحية إلى أهل الخطابة ويعتبر أصحاب علم الخطابة ونقد الشعر هم العارفين بهذا الشأن البلاغى ، وأنت جدّ عليم بأن الخطابة بحث من بحوث المنطق بحسب التقسيم المعروف فى هذا العلم .

---

(١) الاضمامة : الجماعة من الرجال . (٢) صفحة ٣٣٧ من أسرار البلاغة .

وشئ آخر تجده فى سياق كلامه — هو محبته للبديع اللفظى ؛ فتراه متى وجد للجناس والسجع سبيلا لايتورّع أن يستعملهما ، مع ماقد يستتبع ذلك من هُجْنة فى الكلام بتقديم أوتأخير أواستعمال للفظ ناب عن موضعه لايتم السجع أو الجناس إلابه ، فهو إن كان قد عاب مثل هذا النوع كثيرا وأعاد وأبدأ وأزرى بمن يستعمل هذه الأنواع بكثرة ، وجعل المثل لذلك أبا تمام وأبا الفتح البستى ، وقع فى استعمال مانهى عنه ، ولم يصل إلينا شئ من آثار عبد القاهر الأدبية ورسائله التى كتبها فى أغراض مختلفة ، حتى يتاح لنا أن نحكم على أسلوبه الكتابى ، كما حكمنا على أسلوبه العلمى ، ولو وصل إلينا شئ من ذلك لكان يكون الحكم أدق والبحث أشمل .

وقد سار على هذا النهج بتلطف جار الله الزمخشرى فى كشافه عن بيان الأسرار البلاغيـة التى فى الكتاب الكريم ، مع جفوة عن ذكر المصطلحات العلمية بالطريق المعروفة لنا ، والكشاف هو عمدة السكاكى فى بحوثه الكثيرة المبعثرة فى كتاب [المفتاح] وقد عددناه من المؤلفين فى البلاغة وإن لم يؤلف فيها كتابا ، من قِبل أن تفسيره مشحون بلآلئ من هـذه الفنون ، والقوم عالة عليه فيها (لاسيما علم البيان) فقد أجاد فى أوائله أيما إجادة ، وصار المؤلفون ينقلون عباراته دون أن يزيدوا أو ينقصوا منها حرفا .

وقد جاء الزمخشرى فى عصر بدأ الكتاب والمؤلفون يرون للزخرف اللفظى بهجة ورواء فى أساليبهم ، فتأسى بهم ، وسار على دربهم ، مع شئ من الحيطة والحذر ، وها كم بعض رسائله تحكموا بصحة ما ادعينا . قال فى كتابه أطواق الذهب :

استمسك بحبل مواخيك ، ما استمسك بأواخيك ، واصحبه ماصحب الحق وأذعن ، وحلّ مع أهله وظعن ؛ فان تنكرت أنحاؤه ، ورشح بالباطل إناؤه ، فتعوّض عن صحبته و إن عوّضت الشّسْع (١) ، وتصرف بحبله ولو أعطيت النِّسْع (٢) .

وقال : الكريم إذا ريم على الضيم نبا ، والسَّرِىُّ متى سيم الخسف أبى ، وقلما عرفت الأنفة والإباء فى غير من شرفت منه الآباء .

وكتب إلى أبى طاهر السلفى ، ردا على كتاب كتبه إليه يستجيزه به .

مامثلى مع أعلام العلماء ، إلا مثل السها ، مع مصابيح السما ، والجهام الصُّفْر والرِّهام ، مع الغوادى الغامرة للقيعان والآكام ، والسُّكَّيْت المخلف عن خيل السباق ، والبغاث مع الطير العتاق ؛ وما التلقيب بالعلامة ، إلا شبه الرقم والعلامة ، والعلم مدينة أحد بابيها الدراية ، والثانى الرواية ، وأنا فى كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ، ظلى فيها أقصر من ظل حصاة ؛ أما الرواية فحديثة الميلاد ، قريبة الإسناد ، لم تستند إلى علماء نحارير ، ولا إلى أعلام مشاهير ؛ وأما الدراية فثمد لايبلغ أفواها ، و بَرْض مايَبَلّ شفاها . والكتاب طويل نجتزئ منه بما ذكرنا ، وذلك كاف فى معرفة طريقته .

أما ضياء الدين بن الأثير الموصلى فتدقيقاته العلمية ، أجلّ من كتابته الأدبية ، وما أودعه فى كتابه [المثل السائر] من مسائل هذه الفنون قلما

---

(١) زمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها ، يقال : أدنى من الشسع .
(٢) سير من أدم يكون عريضا على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال .

يوجد فى سواه من المؤلفات ، لـكن قد تخفى عليه أسرار من الفن فطن إليها فطاحل البلغاء ؛ فقد اعترض على الزمخشرى فى قوله : إن التقـديم فى قوله تعالى : (إياك نعبد) للاختصاص . وقال : بل التقديم لمكان النظم لأنه لو قال نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن مالقوله إياك نعبـد و إياك نستعين ؛ ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى : (الحمـد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين) فجاء بعد ذلك قوله (إياك نعبد و إياك نستعين) وذلك لمراعاة حسن النظم السجعى الذى هو على حرف النون ، ولو قال نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن ، وهذا غير خاف على أحد من الناس فضلا عن أرباب علم البيان ، وعلى نحو منه ورد قوله تعالى (فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى) وتقدير الكلام فأوجس موسى فى نفسه خيفة ، و إنما قدم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول و بحرف الجر قصدا لتحسين النظم ؛ وعلى هذا فليس كل تقديم لما مكانه التأخير يكون من باب الاختصاص ، فبطل إذاً ماذهب إليه الزمخشرى — هذا كلامه ؛ ولايذهب عن بالك أن ما ارتضاه يبعد عن سر الفصاحة ، إذ أن التقديم للحلية اللفظية لايجنح إليه البلغاء إلا إذا عدموا الأسرار المعنوية التى يوجه إليها اختيار أسلوب من الكلام دون آخر على نحو مافعل الزمخشرى .

وقال فى موضع آخر : اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه حروفا ، فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا ؛ لأن الألفاظ أدلة على المعانى وأمثلة للإبانة عنها ، فإذا زيد فى الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعانى ، وهذا لا نزاع فيه لبيانه،

وهذا النوع لا يستعمل إلا فى مقام المبالغة ؛ فمن ذلك قولهم خشن واخشوشن ، فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو نحو فعل وافعوعل ، وكذلك قولهم أعشب المكان ، فإذا رأوا كثرة العشب قالوا اعشوشب .

ومما ينتظم فى هذا السلك قدر واقتدر ، فمعنى اقتدر أقوى من معنى قدر . قال الله تعالى : (فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) فمقتدر هنا أبلغ من قادر ، وإنما عدل إليه للدلالة على تفخيم الأمر وشدة الأخذ الذى لا يصدر إلا عن قوة الغضب ، أو للدلالة على بسط القدرة ، فإن المقتدر أبلغ فى البسطة من القادر ، وذاك أن مقتدراً اسم فاعل من اقتدر ، وقادراً اسم فاعل من قدر ، ولا شك أن افتعل أبلغ من فعل ، وعلى هذا ورد قول أبى نواس :

فعفوت عنى عفو مقتدر　　حلت له نقم فألغاها

أى عفوت عنى عفو قادر متمكن القدرة لا يرده شىء عن مضاء قدرته ، وأمثال هذا كثيرة فى كلامه .

وأما رسائله التى أودعها كتابه من عهود وبيعات وحلٍّ للنظم فدون المتوسط ، ولا يصح أن تكون أمثلة تحتذى وينسج على منوالها ، فمن ذلك قوله فى كتاب فى ذم الزمان : ولكنها الأيام تبدى لنا من جوهرها كل غريبة ، وتسوسنا سياسة العبد المجدّع الذى كأن رأسه زبيبة ، وليس للمرء فيما يلقاه من أحداثها نعمى كانت أو بؤسى ، إلا أن يكل الأمور إلى وليها ويقول حاج آدم موسى ، وهذا مأخوذ من الخبر النبوى « حاج آدم موسى ، فقال له موسى أنت أخرجت الناس بخطيئتك من الجنة وأشقيتهم ،

فقال له آدم أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلامه ؟ أتلومنى على أمر كتبه الله تعالى علىّ قبل أن يخلقنى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحجّ آدم موسى » .

ومما كتبه رسالة فى وصف مصر :

ولقد شاهدت منها بلداً يشهد بفضله على البلاد ، ووجدته هو المصر وما عداه هو السواد ، فما رآه راء إلا ملأ عينه وصدره ، ولا وصفه واصف إلا علم أنه لم يقدر قدره ، ومن عجائب الآثار مالا يضبطها العيان ، فضلا عن الإخبار من ذلك الهرمان ، اللذان هرم الدهر وهما لا يهرمان ، قد اختص كل منهما بعظم البناء ، وسعة الفناء ، وبلغ من الارتفاع غاية لا يبلغها الطير على بعد تحليقه ، ولا يدركها الطرف على مدة تحديقه ، فإذا أضرم برأسه قبس ظنه المتأمل نجما ، وإذا استدار عليه قوس السما كان سهما .

الطور الثالث

عصر السكاكى والعضد والطيبى والخطيب وبدر الدين بن مالك

ابتدأ هذا الطور بكتاب المفتاح الذى وضعه السكاكى وسماه [مفتاح العلوم] وفى هذه الآونة كان للمنطق والفلسفة سلطان مطاع لا يرد له قول ، ولا ينقض له أمر ، وأصبحت الأساليب العربية تقاس بحدود المنطق ورسومه ، ولا يقام لها وزن إن لم يحلها بميسمه ، ويختمها بطابعه ، ولا اعتداد لها إن لم يكن لها منه طُغْراء ، ويكون لها إليه انتساب واعتزاء ، وصار الكاتب والشاعر يشيد بذكراهما ، ويحلى كل منهما كلامه بحلاهما ، وعلى مقدار ما يوضع من مصطلحاتهما فى الكلام يعلو شأنه ، ويرتفع

فى الأعين قدره ، وصار الإغراب بذكر الكم والكيف والأين والمتى والعدم والملكة والماهية والكيفية والاضطقصّات وأرسطو وأفلاطون ، والطبيعة وما وراء الطبيعة ، والمهملة والكلية والجزئية ، والسالبة والموجبة ، والكلى والجزئى ، والطعوم والروائح ، والجنس والفصل والعرض العام والخاص ، والمعدولة المحمول والموضوع ، والسالبة تصدق بنفى الموضوع — شِنْشِنة الأدباء والمتأدبين ، ولا تروج سوق لأديب أوشاعر إلا إذا نهل من معينهما وارتوى من حوضهما ، حتى بلغ الأمر بالسكاكى أن ادعى فى مفتاحه أن الاستعارة والكناية وغيرهما من مسائل علم البيان ما هى إلا أقيسة منطقية وإلزامات يستعملها المتكلمون لإقناع المخاطبين بما يريدون إثباته أو نفيه من نظريات وآراء .

وهاك ما قاله فى كتابه لتعلم منه كيف كان الداء دويا ، وعلاجه مستعصيا لا يرجى له برء ، و يعز منه الشفاء . قال :

و إذ قد تحققت أن علم المعانى والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام ، ومعرفة صياغات المعانى ، ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها بحسب مايفى به قوة ذكائك — وعندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها ، وشعبة فردة من دوحتها ، علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالى ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعانى والبيان[1] .

ويذكر بعدئذ أن معرفة علوم البيان مما تساعد على نظم الدليل المنطق

(١) صفحة ٢٢٩ من الطبعة الأدبية .

فيقول : ولولا إكمال الحاجة إلى هذا الجزء من علم المعانى وعظم الانتفاع به لما اقتضانا الرأى أن نرخى عنان القلم فيه ، علما منا بأن من أتقن أصلا واحداً من علم البيان كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة ووقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب ، أطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل ، وكأنى بكلامى هذا وأين أنت عن تحققه أعالج من تصديقك به ، ويقينك لديه ، بابا مقفلا لا يهجس فى ضميرك سوى هاجس ، دبيبه فعل النفس اليقظى إذا أحست بنبأ من وراء حجاب ، لكنا إذا أطلعناك على مقصود الأصحاب من هذا الجزء على التدريج مقررين لما عندنا من الآراء فى مظانّ الاختلاف بين المتقدمين منهم والمتأخرين — رجعنا إلى هذه المقالة بإذن الله محققين ، ورفعنا إذ ذاك الحجاب الذى يوارى عنك اليقين[1] .

ثم تنتهى به خاتمة المطاف إلى أن يحكم حكما لا هوادة فيه — بأنّ عمل صاحب البيان ، وعمل صاحب الاستدلال يتساويان ، فيقول بعد ذكر أبحاث الاستدلال والقياس والتقسيم والسبر والاستقراء .

وهذا أوان أن نثنى عنان القلم إلى تحقيق ماعساك تنتظر منذ افتتحنا الكلام فى هذه التكملة أن تتحققه أو علّ صبرك قد عيل له — وهو أن صاحب التشبيه أو الاستعارة أو الكناية كيف يسلك فى شأن متوخاه مسلك صاحب الاستدلال ، وأنى يعشو أحدهما إلى نار الآخر ، والجد وتحقيق المرام مثنة هذا ، والهزل وتلفيق الكلام مظنة هذا ، فنقول وبالله التوفيق .

---

(١) صفحة ٢٢٩ أيضا .

أليس قد تلى عليك أن صور الاستدلال أربع لا مزيد عليهن ، وأن الأولى هى التى تستبد بالنفس ، وأن ماعداها تستمد منها بالارتداد إليها ، فقل إن كانت هذه التلاوة أفادت شيئا — هل هو غير المصير إلى ضروب أربعة ، بل إلى اثنين ، محصولهما إذا أنت وفيت النظر إلى المطلوب حقه ، إلزام شىء يستلزم شيئا فيتوصل بذلك إلى الإثبات ، أو يعاند شيئا فيتوصل بذلك إلى النفى ، ما أظنك أنّ صدق الظن يجول فى ضميرك جائل سواه .

ثم إذا كان حاصل الاستدلال عند رفع الحجب ، هو ما أنت تشاهد بنور البصيرة فوحقك إذا شبهت قائلا (خدّها وردة) تصنع شيئا سوى أن تلزم الخد ما تعرفه يستلزم الحمرة الصافية ، فيتوصل بذلك إلى وصف الخد بها ، أوهل إذا كنيت قائلا (فلان جم الرماد) تثبت شيئا غير أن تثبت لفلان كثرة الرماد المستتبعة للقرى ، توصلا بذلك إلى اتصاف فلان بالمضيافية عند سامعك ، أوهل إذا استعرت قائلا (فى الحمام أسد) تريد أن تبرز من هو فى الحمام فى معرِض من سداه ولحمته شدة البطش ، وجراءة الإقدام مع كمال الهيبة — فاعلا ذلك ليتسم فلان بهاتيك السمات .

أو هل تسلك إذا رمت سلب ماتقدم فقلت (خدها باذنجانة سوداء) أو قلت (قدر فلان بيضاء) أو قلت (فى الحمام فراشة) مسلكا غير إلزام المعاند بدل المستلزم ، ليتخذ ذلك ذريعة إلى السلب هناك .

أرأيت والحال هذا أن ألقى إليك زمام الحكم — أتجدك لاتستحى أن تحكم بغير ماحكمنا ، أو أن تهجس فى ضميرك أنى يعشو صاحب التشبيه أو الكناية أو الاستعارة إلى نار المستدل — ما أبعد التمييز بمجرده أن يسوغ

ذلك فضلا أن يسوغه العقل الكامل ، والله المستعان [١]

ونحن بعد هذا نسائل أنفسنا لنتبين ، ماذا أراد السكاكى بعقد هذه الصلة بين علوم الاستدلال وعلوم البيان — هل أراد أن طرق التعبير لدى العرب واليونان قد توافقت ؟ أو أن العربى نحا فى أساليب قضاياه منحى المنطق فى أقيسته ، لكن على نمط يشاكل مزاج العربى الذى يكتفى بالإيجاز واللمحة الدالة ، ويستغنى بالإيماء والتلويح دون حاجة إلى الإظهار والتصريح ؟.

فإن كان قد أراد الأول ، فمن ذا الذى يستطيع أن ينازع فى مثل هذا ؟ فالعقول فى مناحى التفكير كثيراً ماتتفق ، والآراء قد تتلاقى فى وسائل الإفهام ؛ فالإنسان هو الإنسان أنى كان ، وكيف وجد ، والفوارق التى تحصل بين أمة وأخرى ، لاتوجد اختلافا فى الجوهر بل فى العرض ، وفى اختصار الطريق أو طوله عند التخاطب ، والنتيجة واحدة فى كلتا الحالين .

وإن كان قد أراد الثانى فما البرهان عليه ؟ بل الأجدر به أن يرجع الاستدلال المنطقى إلى أسلوب كنائى أوتشبيهى أواستعارى لا العكس لنعلم أن العربى لم يكن مقلدا المنطق فى إثبات قضاياه وأساليب حججه .

ولقد كان من صواب الرأى أن يقول إن كل أمة لها من وسائل الإقناع ماهو أنسب ببيئتها التى تعيش فى أكنافها ، وفيها شب أهلها ودرجوا ، وبما تعودوه فى مخاطباتهم على مر الأجيال والأحقاب ، وحينئذ لاحاجة به إلى عقد هذه الصلة بين علوم الاستدلال وعلوم البيان ، ولا إلى توثيق الرابطة بين مصطلحاتهما ، فتلك فى واد ، وهذه فى واد .

---

(١) صفحة ٢٦٨ من الطبعة الأدبية .

سارت مشرّقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

وبعد، فهذا موضوع يحتاج إلى بحث مستقل، ولعلنا نوفق إلى الخوض فيه بإسهاب يكون موائمًا لجليل خطره، فما أجدر الكتاب والباحثين أن يدلوا بدلائهم فيه، وإذ ذاك نخرج منه بالرأى الناضج والقول الفصل.

كذلك نراه فى مواضع أخرى من المفتاح يقسم الجامع المصحح للوصل إلى حقيقى ووهمى وخيالى، ويطيل فى إيضاح هذا وشرحه، بذكر الخيال لدى أرباب الصناعات المختلفة من نجارين وحدادين وخبازين، وما يدور فى خلد كل منهم من أدوات وماعون، ويقسم وجه الشبه إلى داخل وخارج، وإلى ما اشترك فيه الطرفان فى الجنس أو فى النوع أو فى خاصة من الخواص، ويشرح الفارق بين سلب العموم وعموم السلب، ويستدل على ذلك بمثل من كلام الأقدمين.

وهكذا تراه يسير قدما فى حشو كتابه بالمصطلحات المنطقية، فيذكر الألوان والطعوم والروائح والحواس ومقارها، والوهم والخيال والحس المشترك والوجدان، والكلام على الفاعل الحقيقى واختلاف الآراء فى ذلك، ومع كل هذا فقد كان فى قلمه أثارة من الأسلوب الأدبى الذى درج عليه من سبقه من المؤلفين فى علوم الفصاحة.

فنحن إن أخذنا عليه تلك النبوة فى الأسلوب والشغف بالمصطلحات المنطقية والفلسفية، نغتفر له تلك الهناة كفاء ماقام به من جليل العمل فى تهذيب مصطلحات هذه الفنون والسير بها قدما نحو الكمال فى استيفاء مباحثها، وتخليص أقسامها بعضها من بعض، حتى صارت متمايزة مختلفة المناحى والأغراض بحسب ماتراءى له وظنه مستقيما جهد الطاقة.

وفى هذا مقال سننفرد له بحثا خاصا سيرد عليك بعد ؛ وفى الحق أن كتابه يعدّ خاتمة المؤلفات فى هذه الفنون ، فبه تمت مباحثها ، وأصبح لكل علم منها كيان مستقل ووحدة خاصة عرف بها الغرض الذى لأجله يدرس ، وكل من جاء بعده من المؤلفين ، اتبع سبيله ، وسار سيرته ، ولم يأت بجديد ؛ بل فسر مبهما ، أو فصل مجملا ، أو اختصر مطولا .

وقد عنى بهذا الكتاب جماعة من جلة العلماء اشتغلوا بتلخيص وشرح مبهمه ، و إيضاح مغلقه على طرق شتى ، كلهم كانوا فى عصر واحد .

(١) بدر الدين بن مالك المتوفى سنة ٦٨٦ اختصره فى كتاب سماه : [المصباح فى اختصار المفتاح] واستمر ردحا طويلا من الزمن قبلة طلاب البلاغة فى بلاد المغرب ، وعنى بشرحه جماعة من المؤلفين سيأتى ذكرهم بعد ، فكان مثله فى تلك البلاد مثل تلخيص القزوينى فى البلاد الشرقية ، وقد أشاد بذكره ابن خلدون فى مقدمة تاريخه عند الكلام على علم البيان .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزوينى . المتوفى سنة ٧٣٩ هـ اختصره فى كتاب سماه : [تلخيص المفتاح] طبقت شهرته الخافقين ، وعنى بشرحه الجمّ الغفير من الشرقيين والمصريين والترك فى كل العصور ، وسيأتى ذكرهم بعد .

وكل من ألف بعده فى البلاغة ، فإما أن يكون شارحا لكتابه أو مختصرا له أو ناظما له . أما الشراح فلا يحصى لهم عد كثرة ؛ وأما المختصرون فمنهم ابن جماعة اختصره فى كتاب سماه [تلخيص التلخيص] وبرويز الرومى وزكريا الأنصارى .

وأما ناظموه : فمنهم خضر بن محمد مفتى أماسيه نظمه وسمى نظمه :

[أنبوب البلاغة] وزين الدين أبو العز بن طاهر ، وجلال الدين السيوطى وسمى نظمه [مفتاح التلخيص] وشرحه بشرح سماه [عقود الجمان] ونظمه عبد الرحمن الأخضرى وسمى نظمه [الجوهر المكنون فى الثلاثة الفنون] .

ومن العجيب حقا أن يدعى الخطيب القزوينى أن كتابه تلخيص للمفتاح وحده ، مع أنه ملخص من كتب عدة ، فلعبد القاهر فى كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز فيه الشىء الكثير الذى يتضح وضوحا تاما بمراجعة الكتابين ، كما للأمير بن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة حظ وافر من المقدمة ، إذ مقدمته لاتعدو أن تكون مقدمة ابن سنان بأسلوبها وأمثلتها وشواهدها مع تغيير طفيف ، وقد كان من الأمانة العلمية ألا يغمط هذين العالمين فضلهما على كتابه ، بل يشير إلى مالهما من عمل واضح فيه .

وللمؤلف كتاب آخر سماه : [الإيضاح] وهو كالشرح للتلخيص ، أسلوبه مهلهل سهل جمع فيه كثيرا من أمهات المسائل بعبارة واضحة فيها روح من أسلوب عبد القاهر الجامع بين الرصانة والتحقيق العلمى الذى امتاز به كتاباه ، فلا غرو إن عددناه من الكتب التى ينبغى أن تكون مقصد طلاب البلاغة ، ينهلون من معينه العذب ، ويغترفون من بحاره السائغة المورد ، وقد نقض فيه بعض نظريات أقرها عبد القاهر والسكاكى ، ولكن لم يسلم له ذلك ، فجاء المؤلفون بعده وفندوا هذه الاعتراضات وقد أفردت مؤلفات خاصة لذلك ، فألف أحمد الكاشانى كتابا سماه : [حل الاعتراضات التى أوردها الإيضاح على المفتاح] .

(٣) عبد الرحمن بن أحمد عضد الدين الإيجى الشيرازى القاضى الشافعى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، وقد لخصه فى كتاب سماه [الفوائد الغيائية]

عمله لغياث الدين محمد بن سلطان الوزراء ، وهو أصغر من تلخيص القزوينى جارى فيه الأصل فى ترتيبه ، فلم يقدم ولم يؤخر كما فعل القزوينى ، وقد شرحه ناس كثيرون سيذكرون بعد .

أما كتاب [لطائف التبيان فى علوم البيان] للطيبى وشرحه له فلم نطلع عليهما حتى نحكم على نهج تأليفهما ، ولكن شرحه للكشاف ، وما فيه من جودة التصنيف ، وحسن الترتيب والتبويب يدلنا على مانهجه المؤلف فى كتابه .

المختصر
الشرح
حاشية
تقرير

الطور الرابع
عصر الشروح والحواشى

فى هذا العصر اتجهت العناية إلى خدمة المؤلفات فى هذا الفن ، عوضا من خدمة الفن ، فبدأ سيل جارف من الشروح للمفتاح وتلخيصاته كالمصباح والتلخيص والفوائد الغياثية فى القرون الثلاثة وهى : السابع والثامن والتاسع ، ثم الحواشى على هذه الشروح فى القرون العاشر والحادى عشر والثانى عشر ، والتقريرات على الحواشى فى الثانى عشر والثالث عشر ؛ فبدأ العلامة قطب الدين الشيرازى المتوفى سنة ٧١٠ هـ بشرح المفتاح ، وسمى شرحه [مفتاح المفتاح] ثم قفاه الخلخالى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ، ثم سعد الدين التفتازانى المتوفى سنة ٧٩١ هـ ، ثم السيد الشريف الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، ثم ابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠ ، وبدأ الخطيب الخلخالى المتوفى سنة ٧٤٥ بشرح تلخيص القزوينى ، وقفاه بهاء الدين السبكى المتوفى سنة ٧٧٣ ، ثم سعد الدين التفتازانى المتوفى سنة ٧٩١ ، والزوزنى شمس الدين محمد

ابن عثمان المتوفى سنة ٧٩٢ ، وناظر الجيش المتوفى سنة ٧٧٨ ، والبابرتى المتوفى سنة ٧٨٦ ، وشمس الدين القونوى المتوفى سنة ٧٨٨ ، وجلال الدين التبريزى المتوفى سنة ٧٩٣ ، والسيد عبد الله المتوفى حوالى سنة ثمانمائة ، وعصام الدين بن عربشاه المتوفى سنة ٩٥١ ، والتبريزى وسمى شرحه نفائس التنصيص فى شرح كتاب التلخيص ، وابن يعقوب المتوفى سنة ١١٠٨ .

حواش على شرح السيد للمفتاح

حاشية للبسطامى المتوفى سنة ٨٧١ ، حاشية للمولى اللطفى المتوفى سنة ٩٠٠ ، حاشية لأسعد الناجى المتوفى سنة ٩٢٢ ، حاشية لمحيي الدين جلبى المتوفى سنة ٩٥٤ ، وحاشية للبسنوى المتوفى سنة ١٠٧٠ ، وحاشية للشهاب الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩ .

حواش على المطول لسعد الدين التفتازانى

حاشية للسيد الشريف الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ ، وحاشية لعز الدين ابن جماعة المتوفى سنة ٨١٩ ، وحاشية لشمس الدين الفنارى المتوفى سنة ٨٣٨ ، وحاشية للبساطى المتوفى سنة ٨٤٢ ، وحاشية لأبى الليث السمرقندى المتوفى فى النصف الثانى من القرن العاشر ، وحاشية لملاخسرو الرومى المتوفى سنة ٨٨٥ ، وحاشية لأسعد الناجى المتوفى سنة ٩٢٢ ، وحاشية لعبد الحكيم السيالكوتى المتوفى سنة ١٠٦٧ .

حواش على المختصر لسعد الدين التفتازانى

حاشية أحمد بن يحيى حفيد سعد الدين المتوفى سنة ٩٠٦ ، حاشية نظام الدين الخطائى المتوفى سنة ٩٠١ ، حاشية يس العليمى المتوفى سنة

١٠٦١ وله حاشية أخرى على حاشية حفيد السعد ، وحاشية الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩ ، وحاشية الحفنى المتوفى سنة ١١٨١ ، وحاشية البنانى من علماء القرن الثالث عشر ، وحاشية الدسوقى المتوفى سنة ١٢٣٠ ، وحاشية للصفوى القلعاوى المتوفى سنة ١٢٠٥ .

تقريرات على المطول لسعد الدين

تقرير لعبد الرحمن الشربينى شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة نيف وعشرين وثلثمائة وألف .

تقريرات على المختصر لسعد الدين

تقرير محمد بن محمد شمس الدين الانبابى الشافعى شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٣١٣ .

شراح الفوائد الغياثية

(١) شرح شمس الدين الكرمانى المتوفى سنة ٧٨٦ ، وسماه [تحقيق الفوائد] .

(٢) شرح شمس الدين محمد بن حمزة الفنرى المتوفى سنة ٨٣٤ .

(٣) « محمد بن السيد الشريف الجرجانى المتوفى سنة ٨٣٨ .

(٤) « السيد عيسى بن محمد الصفوى المتوفى سنة ٩٥٥ .

(٥) « المولى أحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ ، وهو شرح جامع شامل لما وجه على شرحى سعد الدين مطوله ومختصره مع الإجابة عن ذلك ، وقد اختصره فى شرح أقل منه حجما .

(٦) شرح العلامة الشريف مير على البخارى ، المتوفى سنة ٩٥٠ بالقسطنطينية .

(٧) شرح محمد بن حاجى البخارى الشهير (بقال أقول) أهداه إلى أبى الفوارس شاه شجاع ؛ وقد كان من أجلّ شروح التلخيص شرح مسعود سعد الدين التفتازانى ؛ فقد أوضح مبهمه ، ودفع ماتوجه عليه من نقد فى تعريفاته أوفى بعض قضاياه العلمية ، لكنه سلك فى ذلك طريق أهل الجدل ، لاطريق أهل الأدب ، فتراه يسير وراء القاعدة الجدلية (بيان المراد بدفع الإيراد) سواء أوافقت النهج الذى تسيغه قواعد اللغة ، أم كان للرأى والهوى فيه دخل كبير ؛ والأمثلة من ذلك كثيرة ، وحسبك المثل الآتى :

قال صاحب التلخيص : (لاشك أن قصد المخبر بخبره إما الفائدة أولازمها) فاعترض عليه الخلخالى بأنّ قصد المخبر بالخبر لاينحصر فى هذين ، فقد يكون الخبر ملقى للاستعطاف أو الاسترحام أوالتهكم أوغير ذلك من الأغراض التى يستعمل فيها الخبر مجازاً — فأجاب عن ذلك بأن المراد بالمخبر من يكون بصدد الإخبار والإعلام ، وأنت جدّ عليم بأن فى هذا الجواب مجانفة عن الصواب ، وحيدة عن جادة الحق ، إذ اسم الفاعل (مخبر) إنما يدل على من تلفظ بالخبر لامن كان بصدد الإخبار .

وأسلوب التأليف فى تلك الحقبة ضعيف ركيك ، وفيه مخالفة للقواعد التصريفية أو النحوية فى بعض الأحايين ، فترى سعد الدين فى مختصره يقول : (لابد وأن يكون) ، ويقول : (لا يجتمعان قط) ، ويقول :

(وإلا لربما كان كذا — وإلا لما صح القول بكذا) ، والذى أفسده أمران :

الأول : خلطه بالاصطلاحات المنطقية والفلسفية .

الثانى : قلة إلمام المؤلفين بفصيح الأساليب ، إذ أنهم من بيئة فارسية أوهندية أو تركية ؛ ثم هم لم يمرنوا على استعمال جيد التراكيب ، ولم يحذقوا نثيرها ونظيمها ، قراءة وفهما ، حتى يحاكوا ماقرءوا واستظهروا .

وقد كان من الخير أن تكون أساليب التأليف فى فنون الفصاحة الغاية فى الفصاحة ، حتى تكون تطبيقا عمليا على المسائل المؤلفة فيها ، فلئن كان فن أجدر بهذه الميزة ، ليكونن ذا فن الفصاحة ، ولكن شاءت إرادة الله أن تكون المؤلفات فى هذه الفنون بعيدة كل البعد عن أن تكون المثل الأعلى أومايقرب منه .

ومازال التأليف ينحدر من المستوى الأدنى حتى وصل إلى حد الإلغاز ، وتبارى المؤلفون فى الاختصار ، حتى احتيج إلى حواش تبين مغازى الشراح من عباراتهم ، وتشرح مقاصدهم وأغراضهم ، ولكن لم تكن الحواشى فى عباراتها بأوضح بيانا من الشراح ، وصدق عليها المثل « وفسر الماء بعد الجهد بالماء » ، فأصبحت الحاجة ملحة إلى وضع تقريرات توضح ماانبهم من تلك الشروح والحواشى ، فوصلت الحال إلى مايشبه التسلسل ، واستدعت الحال طول النظر فيها و إعادة البحث ، لكنه بحث عقيم ، إذ هو بحث فى الصيغ والألفاظ ، لافى فقه العلم ودرك مسائله ، ومن ثم كانت نتيجة مدارستها ضئيلة لاتستحق العناء والتعب الذى يحصل من مدارستها ، وكلنا جد عليم بما يلاقيه الناظرون فيها من الكد والجهد

الذى يولد السآمة والملل ، وكثيرا مايؤدى ذلك إلى اليأس من متابعة الدرس وترك دور العلم ، لازهدا فى العلم ولاتمردا عليه ، ولـكن ذلك لصعوبة وسائله ، واعوجاج طرقه .

وإن دراسة تلك الـكتب لتبعد الغرض منها ، عوضاً من أن تقرّبه ، فترك المتعلم وفطرته أحرى بأن يجعله على السليقة العربية ، بدلا من أن يجعله يتأسى بأسلوب هؤلاء المؤلفين البعيد عن الأسلوب العربى المبين .

وقصارى القول أن أساليب العلماء فى هذه الفنون أثواب أسمال ليس فيها رُواء ولا بهجة للناظرين ، لا تقرُّ برؤيتها العيون ، ولا تستمتع بقراءتها العقول ، فنحن إذا سبرناها كتابا كتابا ، وقلبنا صفحاتها وقرأناها بابا فبابا ، لنرى أيها يصح أن يكون نبراساً يستضاء بهديه ، أو أنموذجا ينبغى أن يتأسى به ، لانجد من بينها طلبتنا ، فالعجمة قد ملـكت عليها أمرها ، ومصطلحات المنطق والفلسفة جلبت عليها بخيلها ورجلها ، فاذا أنت تاقت نفسك أن تقرأ منها كتابا ، خيل إليك أنك بين يدى أرسطو يجاذبك الحديث وتجاذبه ، ويشدك وأنت تدفعه ، فى غير هوادة ولا رفق ؛ فما أجدرها أن تكون مؤلفات تعلم القدرة على الحوار والجدل ، وترشد إلى طريق التغلب على الخصم فى المناظرة ؛ وأخلق بها بعدئذ أن تبعد الفائدة المرموقة عن طالبيها ، فالغايتان تتباعدان ولا تتلاقيان ، وتفترقان ولا تجتمعان . فالأولى تشحذ الفكر ، وتوسع مدارك العقل . والثانية ترقق الشعور والخيال ، وتنمى العواطف والوجدان .

شتان مايومى على كورها ويوم حيان أخى جابر

فلاعجب إذا رأينا أن الأساليب لم ترق بقراءة هذه المؤلفات ، بل

اعتورها الضعف ، وزادت بها العلة ، واستشرى الداء ، وعز الدواء ، ونخر السوس فى عظامها ، وصارت هيا كل نزع منها الدهن واللحم ، أو هى أشجار يبست أغصانها ، وذبلت أوراقها ، فقلّ غناؤها ، وأصبحت عديمة الجدوى .

ونحن نسائل أنفسنا حينئذ ونقول : أهذا العقم الذى حدث ، وجعلنا لانستفيد من دراستها شيئا ، يرجع إلى أن الدراســـة لا تجدى ، أو أن أسلوب المؤلفين هو الذى كان عاملا له أثره فى الوصول إلى هذه النتيجة .

و إنا لنجيبك عن هذا باختيار القسم الثانى ؛ فأساليب المؤلفين ، والتواء مناحى البحث فيها ، وكد الفكر فى فهم مغازيها ومراميها ، جعل النتيجة وهمية لاحقيقية ، حتى ليصدق فيها المثــل : « أسمع جعجعة ولا أرى طِحْنا » .

الطور الخامس

التأليف فى العصر الحاضر

ندع القول فى الطور السالف على كره منا ، وننتقل بك إلى عصر بدا فيه بصيص من الأمل فى إحياء ما درس من كتب الأقدمين فى هذه الفنون ، واخضرت أزهار الآداب بعد ذبولها ؛ عصر حاول فيه العلماء جهد الطاقة القضاء على البحوث الفلسفية العقيمة التى أضاعت جهوداً كثيرة من طلاب العلم دون الحصول على جدوى ، وأنفق فى فهمها كثير من الوقت كانوا فى شديد الحاجة إليه ، لارتشاف كئوس العلم من ينابيعها العذبة السائغة ، والشرب منها عللا بعد نهل .

عصر رأى العلماء أنه أولى بهم أن يوجهوا جهودهم إلى فقه العلم ودرك مسائله ، وقد هداهم البحث إلى أن خير الوسائل للوصول إلى بغيتهم ، أن يرجعوا إلى أمهات الكتب المدونة فى هذه الفنون ، و يطرحوا مختصراتها وراءهم ظهريا ، و يأخذوا الثمر الجنى من كتب المتقدمين الذين كتبوا فيها ككتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، وكتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، وكتب الموازنات بين الشعراء ، كالوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى عبد العزيز الجرجانى ، وكتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، وكتاب العمدة لابن رشيق القيروانى ؛ والكتب المؤلفة فى إعجاز القرآن ، ككتاب إعجاز القرآن للباقلانى وغيره ، ثم يضعوا ذلك فى قالب سهل التناول على طالبيه ، إلى بعض تطبيقات ونماذج تضاف إلى أبواب الكتاب .

وقد عاد ذلك بالنفع العظيم على قارئيها ، وأمكنهم فى قصير الزمن أن يحصلوا كثيراً من الفوائد التى قلما كان يحصّل معشارها دارسو الكتب التى وضعت فى العصور الأخيرة ، إذ من الجلىّ أن اللغة إنما تستفاد بالمحاكاة والقدرة بما تقرأ وتسمع ، وهذه الكتب نبراس للناظرين فيها لجميل أسلوبها ، و بديع ترتيبها .

وقد انتحى بعض الأساتذة والمؤدبين فى دراسة هذه العلوم طريقا هو أشكل بالعلوم الرياضية منه بالفنون الأدبية ، فتراهم يشرحون مسألة ، ثم يأتون أثرها بقطعة من الشعر أو النثر يجعلونها نموذجا لما درسوه ، و يطلبون من تلاميذهم الإجابة عنها وفق مادرسوا من القواعد ، وعلينا أن نسير فى هذه الطريق الهوينى حتى لاينعكس بنا القصد ونضل الطريق ، لأن

هذا النهج إن نفع فى حل المعادلات الرياضية ، فلن يجدى فى تربية الملكة الأدبية ، وتنمية الذوق البلاغى ، والوقوف على أسرار الفصاحة والبلاغة فى الكلام .

وخير للطلاب وأجدر بهم أن توجه أنظارهم إلى تفهم أسرار التراكيب للكتاب الكريم ، والسنة النبوية ، ومختار كلام العرب منثوره ومنظومه ، ومدارسة الموسوعات الأدبية ، مع إرشادهم إلى أوجه الحسن التى اشتملت عليها ، والمزايا التى بها استحقت الفضل ، والرجحان على مايماثلها فى الغرض ، ويختلف عنها فى الصنعة ، فذلك أعود بالفائدة ، وأجل فى الوصول إلى الغرض ، والله المستعان .

واضع علمى المعانى والبيان

سيبويه

قد تبدو هذه النظرية غريبة بادئ الرأى ، ويخيل إلى سامعها أنها بعيدة عن التمحيص العلمى ، إذ هى لاتعتصم بحجة وبرهان ، لكنا سندلى إليك بساطع الحجة والبرهان ، ونؤيدها بسلطان لها بعد سلطان ، وحينئذ ترى أنا أحسنا إلى العلم وأهله ، وأظهرنا ما كان مكنونا فى الدفاتر ، وما كان لنا إلا صدق البحث والاستقراء فى مؤلفات جلة العلماء ، الذين أفادوا العلم والأدب ، وأظهروا محاسن اللغة للناظرين فيها .

ولا يستبين ذلك حق البيان إلا إذا شرحنا قضية ربما خفى على الناس أمرها ، ولم يهتدوا فيها إلى وجه الصواب ، وهى :

ماذا قصد الأئمة من (النحو) وعلام كان معوّلهم فى تفريع مسائله ، وتطويل مباحثه فى الحقبة الأولى ، وماذا أراد به العلماء بعد ؟

إن سيبويه وأضرابه أرادوا بالنحو السبيل الذى سلكته العرب فى التعبير عن أغراضها ومقاصدها ، ويشمل ذلك شيئين :

(١) تأليف الجمل ، وبيان ما يجب أن تكون عليه الجملة وحدها ، أو الجملة مع الجمل التى تؤدى الأغراض التى تختلج صدور المتكلمين .

(٢) ضبط أواخر الكلمات التى تتألف منها تلك الجملة أو الجمل .

ذاك أن لكل كلمة وحدها معنى خاصا تكفلت اللغة بشرحه وبيانه ، وللكلمات وهى فى التركيب معنى خاص ، هو صورة لما يقوم بأنفسنا من المعانى التى نريد إفهامها المخاطبين ، كذلك لكل لغة قوانين خاصة فى أساليبها تجرى على سننه ، ولا تفهم العبارة حتى تجرى على نهجه ، وتكون وفقا له ، وذلك القانون هو الذى كشفه العلماء فى صدر الإسلام ، ودوّنوه وبسطوا أصوله وفروعه وسموه (علم النحو) .

وليس هذا التحليل منا لهذا الاسم حدثا جديدا ، بل نص عليه الأئمة من قبل ، وأفاضوا فى شرحه وبيانه .

قال أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبانى النحوى المعروف بالسيرافى شارح الكتاب المتوفى سنة ٣٦٨ (أثناء مناظرة جرت بينه وبين متّى ابن يونس القنائى الفيلسوف فى مجلس الوزير أبى الفتح الفضل بن جعفر ابن الفرات — ادعى فيها الفيلسوف أن النحو وغيره من العلوم فى حاجة إلى المنطق ، ولكن المنطق ليس فى حاجة إلى شىء منها ، وما زال أبو سعيد به حتى ألزمه الحجة ، وأبان له خطل رأيه ، وأثبت أن المنطق هو المحتاج

إلى النحو ، وليس النحوى بحاجة إلى المنطق ، وهى مناظرة ممتعة أثبتها ياقوت الحموى فى معجم الأدباء فى ترجمة أبى سعيد من صفحة ١٩٠—٢٢٧ من الجزء الثامن) .

معانى النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف فى مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير ، وتوخى الصواب فى ذلك ، وتجنب الخطأ ؛ وإن زاغ شىء عن النعت فإنه لايخلو من أن يكون سائغا بالاستعمال النادر ، والتأويل البعيد ، أومردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم .

وقال أبوالفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ فى كتاب الخصائص فى الصفحة ٣٢ من الجزء الأول : النحو — هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها فى الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منهم ، أو إن شذ عنها بعضهم رد به إليها ، وهو فى الأصل مصدر شائع ، أى نحوت نحوا ، كقولك قصدت قصدا ، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم ؛ كما أن الفقه فى الأصل مصدر فقهت الشىء أى عرفته ، ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم ، وكما أن بيت الله خص به الكعبة ، وإن كانت البيوت كلها لله ، وله نظائر فى قصر ما كان شائعا فى جنسه على أحد أنواعه .

وقال أبو بكر عبد القاهر النحوى ، المتوفى سنة ٤٧١ فى كتابه [دلائل الإعجاز] :

واعلم أن النظم ليس إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل بشىء منها ، فتنظر فى الخبر إلى الوجوه التى تراها فى قولك زيد منطلق ، وزيد ينطلق ، وينطلق زيد ، ومنطلق زيد ، وزيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، وزيد هو المنطلق ، وزيد هو منطلق .

وفى الشرط والجزاء إلى الوجوه التى تراها فى قولك : إن تخرج أخرج ، وإن خرجتَ خرجتُ ، وإن تخرج فأنا خارج ، وأنا خارج إن خرجتَ ، وأنا إن خرجتَ خارج ؛ وفى الحال إلى الوجوه التى تراها فى قولك جاءنى زيد مسرعا ، وجاءنى يسرع ، وجاءنى وهو مسرع ، وجاءنى وقد أسرع ، فيعرف لكلٍّ مواضعه ، ويجىء به حيث ينبغى له (١) .

ثم قال هـذا هو السبيل فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ — إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معانى النحو قد أصيب به موضعه ، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه ، واستعمل فى غير ماينبغى له ، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظمه أو فساده ، إلا وأنت تجد مرجع الصحة ، أو ذلك الفساد إلى معانى النحو وأحكامه (٢) .

وقال فى أسرار البلاغة : إنه إذا عدل بالكلام عن سنن النظم الذى يقتضيه المعنى لم يكن مفهما ، ولا دالا على المراد منـه ، انظر إلى قول امرىء القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

---

(١) ٦٤ (٢) ٦٥

لو أنك خالفت فيه النظم ، وعدلت عن سننه ، وقلت :

نبك قفا حبيب من ومنزل ذكرى

لكان لغوا من الكلام وعبثا[١] .

وقال فى الدلائل : أترى أنه يتصور أن يجب فى ألفاظ الكلم التى تراها فى قوله : * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * هذا الترتيب من غير أن يتوخى فى معانيها ماتعلم أن امرأ القيس توخاه ، من كون نبك جوابا للأمر ، وكون من معدية له إلى ذكرى ، وكون ذكرى مضافة إلى حبيب ، وكون منزل معطوفا على حبيب ، أم ذلك محال ، فان شككت فى استحالته له تكلم[٢] .

من هذا يستبين لنا — أن النحو كما يتجه همه إلى ضبط أواخر الكلم ، يعنى أيضا بتأليف الجمل وجعلها وفقا للنهج الذى سنته العرب لكلامها .

أما المتأخرون من النحويين فقد عرّفوه : بأنه علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعرابا و بناء[٣] ؛ فغاية النحو إذاً بيان الإعراب وتفصيل أحكامه ، وفى هذا التحديد تضييق لدائرة البحث النحوى ، وقصر له على بعض أغراضه ، وهم بذلك أساءوا إلى النحو من جهات عدة :

(١) أن بحوثه صارت لفظية تبين الأحوال المختلفة للفظ من رفع

---

(١) الصفحة الثانية (٢) ٢٧٨

(٣) حاشية الصبان على الأشمونى عند تعريف النحو ، وكتاب الحدود فى النحو للفاكهى .

ونصب ، دون النظر إلى ما يتبع ذلك من آثار فى المعانى التى قصد التعبير عنها .

(٢) أن أسرار التراكيب بعدت عنهم ، ودقائق تصوير الكلام خفيت عليهم ، وأصبحت دلالات التراكيب غامضة عليهم لايستطيعون كشف قناعها ، ولا النظر إلى جمالها ، فقد غطيت عنهم بغطاء كثيف حجب ماوراءه من المحاسن والمناظر الخلابة .

(٣) أنهم أخذوا القشور وتركوا اللب ، أو تركوا الجوهر وتشبثوا بالعرض ، وليتهم أخذوا أحاسن البحوث وأجلها ، إنهم لو فعلوا ذلك لكان فى هذا سلوة عن الباقى ؛ بيد أنا نظن أن الذى جعلهم يهتمون بضبط أواخر الكلم ، ويلقون وراءهم ظهريا ماهو أهم فى النحو وهو تأليف الجمل أمران :

(١) أن أسرار التراكيب كانت معروفة بالسليقة لهم لايحتاجون إلى تعرفها ، ولم يكن قد طرأ مايشوهها .

(٢) أنهم رأوا العرب فى صدر الإسلام كانوا يعنون أيما عناية بالإعراب ويعدونه عنوانا للأدب والثقافة العالية ، والتهذيب الكامل ، حتى قالوا : اللحن هجنة على الشريف ، وكان الرجل منهم إذا تكلم فلحن سقطت منزلته من أعينهم ، وقد قال مرة بلال بن أبى بردة والى العراق لخالد بن صفوان أحد البلغاء اللحانين كما يقول الجاحظ : تحدثنى حديث الخلفاء ، وتلحن لحن السقاءات ، وكان الخليفة أو الأمير إذا رقى المنبر حرص كل الحرص أن لايخطىء ، ويتعمد الإعراب جهد الطاقة ؛ ويؤثرون عن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان أنه قال : شيبنى إرتقاء المنابر ، وتوقع

اللحن ، ويروون عن الحجاج وهو ماهر فصاحة ولسنا ، أنه كان يسأل المرة بعد المرة يحيي بن يعمر النحوى — هل تسمع منى لحنا فى كلامى ؟ ويذكرون أن أبا الأسود الدؤلى ظالم بن عمرو كان يقول : إنى لأجد للحن غَمَرًا كغَمَرِ اللحم ؛ والنحو بالمعنى الذى عناه المتقدمون ، هو الذى عنى مثله أبوعبيدة معمر بن المثنى بالمجاز عند ماسمى كتابه : [المجاز فى القرآن] وهو طريق العرب فى التعبير عن مقاصدهم وأغراضهم ، و بيان ماقد يطرأ على الجملة العربية من تقديم أوتأخير أوحذف إلى نحو أولئك ، وهو ماسماه الثعالبي آخر كتابه فقه اللغة [سر العربية] . فما جاء فى مقدمة كتاب المجاز قوله :

ومن مجاز ماخبر عن اثنين مشتركين أو أكثر من ذلك ، وجعل الخبر لبعض دون بعض ، وكفى عن خبر الباقى قوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله) .

ومن مجاز ماجعل فى هذا الباب الخبر للأول منهما أومنهم قوله تعالى : (وإذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا إليها) .

ومن مجاز ماجاء خبراً عن غائب ثم خوطب الشاهد قوله تعالى : (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) .

ومن مجاز المكرر للتأكيد قوله تعالى : (إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) فقد أعاد فيها الرؤية .

ومن مجاز المقدم والمؤخر قوله تعالى : (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) أراد ربت واهتزت .

ومن مجاز مايحول خبره إلى شئ من سببه ويترك خبره قوله تعالى :

(فظلت أعناقهم لها خاضعين) حوّل الخبر إلى الكناية التى فى آخر الأعناق .

وكل هذه بحوث تتعلق بتأليف الكلام ونظمه ، و بيان صور من الأساليب العربية يجمل بدارسى كلام العرب أن يتأملوها ويتأسوا بها فى صوغ أساليبهم . بعد كل ماتقدم نأتى لك بمثل من كتاب سيبويه ، تبين لك كيف إنه عنى بتأليف الجمل ، كما عنى بضبط أواخر الكلم .

(١) قال فى الصفحة الثامنة من الجزء الأول : هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب ؛ فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ، وسآتيك غدا ؛ وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول أتيتك غدا ، وسآتيك أمس ؛ وأما المستقيم الكذب فقولك حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه ؛ وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ فى غير موضعه ، نحو قولك قد زيداً رأيت ، وكى زيدٌ يأتيك ، وأشباه هذا .

وأما المحال الكذب فأن تقول سوف أشرب ماء البحر أمس ، وقد نقل هذا البحث أبو هلال العسكرى فى كتاب الصناعتين فى الصفحة الحادية والخمسين .

(٢) وفى الصفحة عينها : اعلم أنه يجوز فى الشعر مالايجوز فى الكلام من صرف ما لاينصرف ، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء ، لأنها أسماء كما أنها أسماء ، وحذف مالايحذف يشبهونه بما قد حذف ، واستعمل محذوفا كما قال العجاج :

قواطنا مكة من وُرْق الحَمِي[١]

يريد الحمام ، وكما قال النجاشي :

فلست بآتيه ولا أستطيعه ولاك اسقنى إن كان ماؤك ذا فضل

وقد يبلغون بالمعتل الأصل ، فيقولون رادد فى رادّ ، وضننوا فى ضنُّوا ، ومررت بجواريَ قبل . قال قَعنب بن أم صاحب :

مهلا أعاذل قد جربت من خلق إنى أجود لأقوام وإن ضننوا

(وقد حظر متأخرو علماء البلاغة هذا الجنس من الضرورات فى النثر والنظم وسموه مخالفة القياس ، وجعلوه مخلا بالفصاحة ؛ وهأنت ذا ترى سيبويه يجيزه شعراً ولا يجيزه نثرا) .

(٣) وقال فى الصفحة الرابعة عشرة : فى باب الفاعل الذى يتعدى فعله إلى مفعول ، وذلك قولك ضرب عبد الله زيدا ، فعبد الله ارتفع وشغلت ضرب به ، وانتصب زيد لأنه مفعول به تعدى إليه فعل الفاعل ، وإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى فى الأول ، وذلك قولك ضرب زيدا عبد الله لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما ، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا فى اللفظ ، فمن ثم كان حد اللفظ فيه أن يكون الفاعل مقدما وهو عربى جيد كثير ، كأنهم

---

(١) قال الأعلم : وفى ذلك أوجه أحسنها عندى وأشبهها بالمستعمل من كلام العرب ، أن يكون اقتطع بعض الكلمة للضرورة وأبقى بعضها لدلالة المبقى على المحذوف منها وبناها بناء يدوم وجبرها بالإضافة وألحقها الياء فى اللفظ لوصل القافية ؛ ووجه آخر أن يكون حذف الألف من زيادتها فبقى الحمم وأبدل من الميم الثانية ياء استثقالا للتضعيف كما قالوا تظنيت فى تظننت ، ثم كسر ماقبل الياء لتسلم من الانقلاب إلى الألف فقال الحمى .

إنما يقدمون الذى بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم .

وقد نقل هذه الفقرة الإمام عبد القاهر فى الدلائل فى باب التقديم وشرحها بمثل : قال شراح الكتاب .

(٤) وقال فى الصفحة الثانية والعشرين : واعلم أنه إذا وقع فى هذا الباب (باب كان) نكرة ومعرفة ، فالذى تشغل به كان المعرفة لأنه حد الكلام ، لأنه شىء واحد ، وليس بمنزلة قولك ضرب رجل زيدا ، لأنهما شيئان مختلفان ، وهما فى كان بمنزلتهما فى الابتداء إذا قلت عبد الله منطلق تبتدئ بالأعرف ثم تذكر الخبر ، وذلك قولك كان زيد حليما ، وكان حليما زيد ، لاعليك قدمت أم أخرت إلا أنه على ماوصفت لك فى قولك ضرب زيداً عبد الله ، فإذا قلت كان زيد فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك ، فإنما ينتظر منك الخبر ، فإذا قلت حليما فقد أعلمته مثل ماعلمت ، وإذا قلت كان حليما فإنما ينتظر أن تعرفه صاحب الصفة ، فهو مبدوء به فى الفعل وإن كان مؤخراً فى اللفظ ، فإن قلت كان حليم أو رجل ؛ فقد بدأت بنكرة ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور .

(وقد استفيد من عبارته — أولا : أنه يصح أن يكون الفاعل نكرة ومفعوله معرفة ، ولا يصح أن يكون المبتدأ ولا اسم كان منكورين ؛ لأنه لايخبر عن المنكور . ثانيا : أنه يصح تقديم خبر كان على اسمها ، ويصح تأخيره بحسب المعنى الذى يريد المتكلم إخبار السامع به ، كما يصح ذلك فى الفاعل والمفعول كما تقدم) .

(٥) وفى الصفحة نفسها يقول فى قول عمرو بن شاس :

بنى أسد هل تعلمون بلاءنا   إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

أضمر (يريد إضمار اسم كان) لعلم المخاطب بما يعنى وهو اليوم ، وهذا هو ماقاله علماء البلاغة فى باب الإيجاز والإطناب ، من جواز حذف المسند إليه للعلم به ، ومثلوا له بقوله تعالى (كلاّ إذا بلغت التراقى) أى الروح .

(٦) وفى الصفحة السادسة والعشرين : هـذا باب تخبر فيه بالنكرة عن النكرة ، وذلك قولك ما كان أحد مثلك ، وليس أحد خيراً منك ، وما كان أحد مجترئا عليك ، وإنما حسن الإخبار هاهنا عن النكرة حيث أردت أن تنفى أن يكون فى مثل حاله شئ أو فوقه ، لأن المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل ذلك ؛ وإذا قلت كان رجل ذاهبا فليس فى هذا شئ تعلمه كان جهله ، ولو قلت كان رجل فى قوما فارسا لم يحسن ، لأنه لايستنكر أن يكون فى الدنيا فارس ، وأن يكون من قوم ، ولو قلت كان رجل من آل فلان فارسا حسن ، لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذلك فى آل فلان وقد يجهله ، فعلى هذا النحو يحسن ويقبح .

(فانظر رعاك الله إلى لطف تعليله لحسن بعض التراكيب ، وقبح بعضها الآخر ، وبيان أن مدار الأمر فى ذلك كله هو حاجة المخاطب إلى أن تعلمه جديدا هو فى حاجة إلى علمه أو عدم إفادته شيئا بإخبارك إياه) .

(٧) وقال فى الصفحة الحادية والأربعين بعد المائة : هذا باب يحذف منه الفعل لكثرته فى كلامهم حتى صار ذلك بمنزلة المثل ، وذلك قولك هذا ولا زعماتك : أى ولا أتوهم زعماتك ، ومن ذلك قول ذى الرمة وذكر المنازل والديار :

يادارَميــــة إذمىّ مساعفة ولايرى مثلها عُجم ولا عرب

كأنه قال : اذكر ديارمية ، ولـكنه لايذكر ، اذكر لـكثرة ذلك فى كلامهم واستعمالهم إياه ؛ ومن العرب من يرفع الديار كأنه قال : تلك ديارمية ، وقال الشاعر :

اعتاد قلبك من سلمى عوائده وهاج أهواءك المكنونة الطلل

ربع قَواء أذاع المعصرات به وكلّ حيرانَ سارٍ ماؤه خضل

كأنه أراد ذاك ربع ، أو هو ربع رفعه على ذا وما أشبهه ، سمعناه ممن يرويه عن العرب .

(وقد نقل هذا عبد القاهر فى الدلائل ، ثم قال : قال شيخنا ولم يحمل البيت الثانى على أن الربع بدل من الطلل ، لأن الربع أكثر من الطلل ، والشىء يبدل مما هو مثله أو أكثر منه ، فأما الشىء من أقل منه ففاسد لايتصور) .

(٨) وجاء فى الصفحة التاسعة والستين بعـــد المائة : فى شرح قول الخنساء :

ترعى إذا نسيت حتى إذا ادّكرت فإنمـــا هى إقبال وإدبار

فجعلها الإقبال والإدبار مجازاً على سعة الكلام ، كقولك نهارك صائم وليلك قائم .

(وهذا هو الذى ذكره المتأخرون من علماء البيان فى باب المجاز العقلى .

وقال أبو سعيد السيرافى فى شرحه للكتاب : يقدرون مثل هـذا على تقديرين : أحدهما أن يقدروا مضافا إلى المصدر ويحذفونه كما يحذفون فى اسأل القرية ، والوجه الثانى أن يكون المصدر فى موضع اسم الفاعل ،

وكان الزجاج يأبى إلا الوجه الأول ؛ ومما يقوى الثانى أنك تقول رجل ضخم وعبل فتجعلهما فى موضع اسم الفاعل وليسا بمصدرين لضخم وعبل ، وعلى كلامه ؛ فالمجاز مجاز حذف أو مجاز مرسل علاقته التعلق الاشتقاق ، لكن عبد القاهر فى الدلائل اختار أن يكون مثل هذا من المجاز الحكمى أى المجاز العقلى انظر صفحة ٢٣٣) .

(٩) وقال فى الصفحة الثالثة والثمانين والمائتين : هذا باب مايحسن عليه السكوت فى هذه الأحرف الخمسة لإضمارك مايكون مستقرا لها وموضعا لو أظهرته ، وليس هذا المضمر بنفس المظهر ، وذلك إن مالا و إن ولدا و إن عدداً : أى إن لهم مالا ؛ فالذى أضمرت (لهم) ويقول الرجل للرجل هل لكم أحد إن الناس ألب عليكم فيقول إن زيدا و إن عمرا ، أى إن لنا ، وقال الأعشى :

إن محلا و إن مرتحلا　　　و إن فى السَّفْر إذ مضوا مهَلا

(قال عبد القاهر فى صفحة سبع وأربعين ومائتين من الدلائل : ومن تأثير إنّ فى الجملة أنها تغنى إذا كانت فيها عن الخبر فى بعض الكلام ، ووضع صاحب الكتاب فى ذلك بابا ، فقال هذا باب ما يحسن عليه السكوت — إلى آخر الفقرة السالفة) .

(١٠) وجاء فى صفحة ثلثمائة : هذا باب مالا يعمل فى المعروف إلا مضمراً ، وذلك لأنهم بدءوا بالإضمار لأنهم شرطوا التفسير ، وذلك نووا فجرى ذلك فى كلامهم هكذا ، وذلك قولهم نعم رجلا عبد الله ، كأنك قلت حسبك به رجلا عبد الله لأن المعنى واحد ، ومثل ذلك ربه رجلا ، كأنك قلت ويحه رجلا فى أنه عمل فيما بعده ، كما عمل ويحه فيما بعده لافى

المعنى ، وحسبك به رجلا مثل نعم رجلا فى المعنى وفى العمل ، وذلك لأنهما ثناء فى استيجابهما المنزلة الرفيعة .

(فانظر حفظك الله إلى حسن بيانه و بديع تعليله ، لأن المحذوف فى باب نعم لابد أن يكون ضميراً إذا فسر بتمييز ، لأنهم قصدوا الإبهام ثم التفسير ليكون أوكد فى النفس وأثبت فى الذهن ، كما قصدوا نحو هذا فى باب رب وحسب) .

(١١) وقال فى الصفحة الثامنة عشرة بعد الثلثمائة : فى قول مهلهل ابن ربيعة التغلبى :

يالبكر أنشروا لى كليبا ‏ ‏ ‏ ‏ يالبكر أين أين الفرار

فاستغاث بهم لأن ينشروا له كليبا ، وهذا منه وعيد وتهديد ، وأما قوله يالبكر أين أين الفرار ، فإنما استغاث بهم لهم ، أى لم تفرونه استطالة عليهم ووعيدا .

(يشير بهذا إلى أن المعنى يالبكر أدعوكم لأنفسكم مطالبا لكم فى إنشار كليب و إحيائه ، وهذا منه استطالة ووعيد ، وكانوا قتلوا كليبا أخاه فى أمر البسوس وخبرها مشهور ، ومن هذا تعلم أن الاستغاثة فى هذا المقام استعملت للتهديد والوعيد والاستطالة عليهم ؛ كما أن الاستفهام بعده استعمل فى مثل هذا المعنى ، وقد أخذ علماء البلاغـــة البيت ، واستشهدوا به على مثل مااستشهد به صاحب الكتاب) .

هذا قُلٌّ من كُثْرٍ ولمعة يسيرة مما ذكره صاحب الكتاب فى بيان أسرار النظم ، ولولا خوف الإطالة لنقلت لك كثيراً من تلك الدرر الغوالى التى نثرها فى كتابه ، وجعلها حيلة لمباحثه ، فرحم الله ذلك العقل الجبار

الذى ألهم مالم يلهمه غيره ممن كتبوا فى هذا العلم ؛ وفى الحق أنه لم يفهم الكتاب حق الفهم أحد ممن جاء بعده ، ولم يتدبره حق التدبر ، ولم يستنبط منه العلم الغزير إلا عبد القاهر فقد فرّع منه أمهات المسائل المبثوثة فى الدلائل والأسرار وغيرهما من كتبه العظيمة الفوائد التى اعتبرها العلماء إماما يقتدون به فى وضع هذه المباحث وطريق شرحها و بيانها ، وأخذوا الأمثلة والشواهد التى ذكرها فى كتبه ولم يحيدوا عنها ، حتى قيل — وبحق ماقيل — : إن من جاء بعده عيال عليه اغترفوا من بحره ونهلوا من معينه .

فإن قلت إذا كان أمر النحو كما ذكرت ، فلم لم تقل إن واضع علمى البيان والمعانى أبو الأسود الدؤلى أو يحيى بن يعمر أو عنبة الفيل أو عيسى ابن عمر الثقفى ؟ أجبناك بأنه لم يصل إلينا شىء من تأليف هؤلاء الأئمة ، ولم نعلم النهج الذى اتبعوه ، ولا الطريق الذى سلكوه حتى نحكم عن علم ، فقد يكون فى مؤلفاتهم إشارة إلى مثل هذه المباحث ، فننسب الفضل إلى من ابتكر ؛ ونشيد بمن بدأ وشيد وزخرف ونجد .

لكنه لم يصل إلينا شىء من ذلك ، ولو كان قد وصل إلينا لوصل إلينا خير كثير .

فوجب نسبة الفضل إلى فاعله اقتداء بالحديث الشريف « لايشكر الله من لايشكر الناس » ولعلك بعد أن سمعت ماقصصنا عليك علمت علم اليقين صحة مادعينا ، وآمنت بصدق ماقلنا ، ولله الحمد فى الآخرة والأولى

التعريف بعلماء البلاغة

مع ترتيبهم بحسب ترتيبهم الزمنى

أبو بشر عمرو سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبَر، الإمام الثبت الحجة الذى خلد التاريخ ذكره ، وذاع فى الخافقين صيته ، وكفاه فخراً أنه صاحب (الكتاب) الملقب بسيبويه ، ومعناه باللغة الفارسية (رائحة التفاح) ولقب به لأن وجنتيه كانتا كأنهما تفاحتان لجمالهما وحسن شكلهما ، أو لأن كل من كان يلقاه يشمّ منه رائحة التفاح ، وكان مولى من موالى بنى الحرث بن كعب فى لسانه حُبْسَة .

مولده ونشأته :

ولد بالبيضاء بفارس حوالى سنة ١٤٠ هـ ، ونشأ بالبصرة ، وأخذ النحو عن الخليل بن أحمد الفراهيدى وأبى الخطاب الأخفش ويونس وعيسى بن عمر الثقفى ، والحديث عن حماد بن سلمة .

سبب تعلمه النحو :

كان سبب تعلمه النحو أنه كان يوما يستملى على حماد قوله عليه الصلاة والسلام : « مامن أحد من أصحابى إلا وقد أخذت عليه ، ليس أبا الدرداء » فقال سيبويه ليس أبو الدرداء ، فقال حماد لحنت ياسيبويه ، فقال لاجرم لأطلبنّ علما لاتلحننى فيه أبدا ، ثم لزم الخليل .

آراء الأئمة فيه :

قال الأزهرى اللغوى : كان سيبويه علامة حسن التصنيف ، جالس

الخليل وأخذ عنه ، وما علمت أحداً سمع منه كتابه لأنه احتضر شابا ، وقد نظرت فى كتابه فرأيت فيه علما جما . وقال بعض العلماء : كنت عند الخليل ابن أحمد ، فأقبل سيبويه ، فقال الخليل مرحباً بزائر لا يُمَلّ ، وقال جار الله الزمخشرى يمدحه :

ألا صلى الإله صلاة صدق على عمرو بن عثمان بن قنبر

فإن كتابه لم يَغْنَ عنه بنو قلم ولا أبناء منبر

وصف الكتاب : قيل ليونس إن سيبويه قد ألف كتابا فى ألف ورقة من علم الخليل ، فقال يونس : ومتى سمع سيبويه هذا كله من الخليل ؟ جيئونى بكتابه ، فلما نظر فيه رأى كل ماحكى ، فقال . يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فى جميع ماحكاه ، كما صدق فيما حكاه عنى . وكان المبرد يقول لمن يريد أن يقرأ عليه الكتاب : أركبت البحر ؟ تعظيما واستصعابا . وقال المازنى : من أراد أن يعمل كتابا كبيراً فى النحو بعد كتاب سيبويه فليستحى . وقال الجرمى : فى كتاب سيبويه ألف وخمسون بيتاً سألت عنها ، فعرف ألف ولم يعرف خمسون . وقال ابن النديم فى الفهرست : قرأت بخط أبى العباس ثعلب : اجتمع على صنعة كتاب سيبويه أربعون إنسانا منهم سيبويه ، والأصول والمسائل للخليل . وحدّث بن سلام عن الأخفش قال : إنه قرأ كتاب سيبويه على الكسائى فى جمعة فوهب له سبعين دينارا . قال : وكان الكسائى يقول لى . هذا الحرف لم أسمعه فاكتبه لى فأفعل . وحدث هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات . قال : دخل الجاحظ على أبى وقد افتصد . فقال له : أدام الله صحتك ، ووصل غبطتك ، ولاسلبك نعمتك ، قال : ما أهديت لى يا أبا عثمان ؟ قال : أظرف شىء ،

كتاب سيبويه بخط الكسائى وعَرْض الفرّاء ، وهذا كتاب اشتريته من ميراث الفراء . قال : والله ما أهديت إلىّ شيئا أحب منه .

وقال صاعد الجَيّانى الأندلسى : لاأعرف كتابا ألف فى علم من العلوم قديمها وحديثها ، فاشتمل على جميع ذلك العلم ، وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب : أحدها المجسطى لبطليموس فى علم هيئة الأفلاك . والثانى كتاب أرسطاطاليس فى علم المنطق . والثالث كتاب سيبويه البصرى النحوى ، فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه شئ من أصول فنه إلا مالا خطر له . وقال أبو الطيب اللغوى : قال ثعلب يوما فى مجلسه : مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيبويه .

مناظرة بين سيبويه والكسائى

قدم سيبويه بغداد أيام هرون الرشيد، وكانت سنه إذ ذاك ثنتين وثلاثين سنة قاصدا الوزير يحيى بن خالد البرمكى، لينال جوائزه وصلاته ، فعزم يحيى أن يجمع بين عالمى البصرة والكوفة، وحدد لذلك يوماً اجتمع فيه الجم الغفير من أساطين العلماء ، وحضر سيبويه المجلس قبل الكسائى ، فتقدم إليه صاحبا الكسائى الفراء والأحمر عبد الله بن المبارك ، وعرّفاه بأنفسهما ثم سأله الأحمر عن مسألة فأجابه . فقال له أخطأت ، ثم سأله ثانية وثالثة وهو يجيبه ويقول له أخطأت . فقال له سيبويه : هذا سوء أدب منك . فقال له الفراء : إن فى هذا الرجل حدة وعجلة ، ولكن ماتقول فيمن قال هؤلاء أبون ، ومررت بأبين ، كيف تقول على مثال ذلك من وأيت ، أوأويت ؟ فأجابه ، فقال أعد النظر . فقال لا أكلمكما حتى يحضر صاحبكما ، فلما حضر الكسائى قال له : تسألنى أوأسألك ؟ فقال سيبويه : سل أنت ،

فقال له كيف تقول : قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي ، أو هو إياها ، فقال سيبويه : فإذا هو هي ولا يجوز النصب ، ثم جعل يورد عليه أمثلة نحو ذلك ، نحو خرجت فإذا عبد الله القائمُ أو القائمَ ، فقال له كل ذلك بالرفع ، فقال الكسائي : العرب ترفع كل ذلك وتنصبه ، فقال يحيي : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما ، فمن يحكم بينكما ؟ فقال الكسائي : هذه العرب ببابك قد وفدوا عليك وهم فصحاء الناس فاسألهم ، فقال يحيي أنصفت ، فجيء بأبي فقعس وأبي دثار وأبي الجراح وأبي ثروان ، فوافقوا الكسائي ؛ فاستكان سيبويه ، وقال : أيها الوزير سألتك إلا ماأمرتهم أن ينطقوا بذلك ، فإن ألسنتهم لاتجري عليه ، وكانوا إنما قالوا : الصوابُ ماقاله الكسائي ، وبعدئذ قال الكسائي ليحيي : أصلح الله الوزير إنه قد وفد إليك من بلده مؤملا ، فإن رأيت ألا ترده خائبا ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج إلى فارس ولم يعد للبصرة بعدئذ . قال ابن هشام في مغني اللبيب : وجواب سؤال الفراء : أن أبون جمع أب ، وأب فعل بفتحتين ، وأصله أبو ، فإذا بنينا مثله من أوى أو من وأى قلنا أوى كهوى أو قلنا وأى كهوى أيضا ، ثم نجمعه بالواو والنون فتحذف الألف كما تحذف ألف مصطفى ، وتبقى الفتحة دليلا عليها ، فتقول أوون ، أوون رفعا ، وأوين أووين جرا ونصباً ، كما تقول في جمع عصا (اسم رجل) عصَوْن وعصَيْن ، وليس هذا مما يخفى على سيبويه ولا على أصاغر الطلبة ، لكنه كما قال أبو عثمان المازني : دخلت بغداد فألقيت عليّ مسائل ، فكنت أجيب فيها على مذهبي ، ويخطئونني على مذاهبهم اه ، وهكذا اتفق لسيبويه رحمه الله .

وجواب سؤال الكسائي ماقاله سيبويه ، وهو فإذا هو هي ، هذا هو وجه الكلام مثل (فإذا هي حية تسعى) وأما فإذا هو إياها إن ثبت فخارج عن القياس واستعمال الفصحاء كالجزم بلن ، والنصب بلم ، والجر بلعل ، وسيبويه وأصحابه لايلتفتون لمثل ذلك وإن تكلم به بعض العرب ، وفي توجيهه أمور ، أشهرها ماقاله ابن مالك أن ضمير النصب استعير في مكان ضمير الرفع ، ويشهد له قراءة الحسن (إياك يُعبد) ببناء الفعل للمفعول ، وأما النصب في قولك فإذا زيد القائم بالنصب ، فعلى أنه نعت مقطوع ، أو حال بزيادة أل ، وليس ذلك مما ينقاس — هذا كلامه باختصار .

مرضه :

لما مرض سيبويه وضع رأسه في حجر أخيه ، فبكى أخوه لما رأى مابه ، فقطرت من عينه قطرة على وجه سيبويه ففتح عينه فرآه يبكي فقال :

أخيين كنا فرّق الدهر بيننا إلى الأمد الأقصى ومن يأمن الدهرا؟

ولما اشتدت به العلة جعل يجود بنفسه ويقول :

يؤمل دنيا لتبقى له فمات المؤمل قبل الأمل

حثيثا يروى أصول النخيل فعاش الفسيل ومات الرجل

ودخل النظام على سيبويه وهو في مرضه فقال له : كيف تجدك ياأبا بشر ؟ قال أجدني ترحل العافية عني بانتقال ، وأجد الداء يخامرني بحلول ، غير أني وجدت الراحة منذ البارحة ، قلت فما تشتهي ؟ قال أشتهي أن أشتهي ، فلما كان من بعد ذلك اليوم دخلت إليه وأخوه يبكي ، وقد قطرت من دموعه قطرة على خده ، فقلت كيف تجدك ؟ فقال :

يسر الفتى ما كان قدّم من تقى إذا عرف الداء الذى هو قاتله

ثم مات من يومه .

وفاته :

قال ثعلب فى أماليه : قدم سيبويه العراق فى أيام الرشيد وهو ابن نيف وثلاثين سنة ، وتوفى وعمره نيف وأربعون سنة بفارس . قال الأصمعى : قرأت على قبر سيبويه بشيراز هـــذه الأبيات ، وهى لسليمان بن يزيد العدوى :

ذهب الأحبة بعد طول تزاور ونأى المزار فأسلموك وأقشعوا
تركوك أوحش ما تــكون بقفرة لم يؤنسوك وكربةً لم يدفعــوا
قُضى القضاء وصرت صاحب حفرة عنك الأحبة أعرضوا وتصدعوا

وقال المرزبانى مات بشيراز سنة ثمانين ومائة هجرية .

أبو عبيدة معمر بن المثنى
المتوفى سنة ٢٠٨ هـ

هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصرى العليم باللغة والأنساب والأخبار مولى بنى تيم ، تيم قريش لا تيم الرباب .

مولده ونشأته :

ولد بباجَرْوانَ من أعمال بلخ بفارس من أب يهودى ، ثم تلقى العلم عن يونس بن حبيب وأبى عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو عثمان المازنى وأبو حاتم السجستانى .

آراء الأئمة فيه :

قال الجاحظ : لم يكن فى الأرض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلوم من أبى عبيدة . وقال يزيد بن مرة : كان أبو عبيدة مايفتَّش عن علم إلا من كان يفتشه عنه يظن أنه لايحسن غيره ، ولا يجود بشىء أجود من قيامه به .

وقال ابن قتيبة : كان الغريب أغلب عليه ، وأيام العرب وأخبارها . وقال أبو حاتم : وكان مع علمه إذا قرأ البيت لم يقم إعرابه وينشده مختلف العروض .

موازنة بينه وبين الأصمعى وأبى زيد الأنصارى

قال المبرد : كان أبو عبيدة عالما بالشعر ، والغريب ، والأخبار ، والأنساب . وكان الأصمعى أعلم منه بالنحو ، وكان أعلم من الأصمعى وأبى زيد بالأنساب . وكان أبو نواس يتعلم منه ويمدحه ويذم الأصمعى ؛ وقد سئل عن الأصمعى فقال : بلبل فى قفص ؛ وعن أبى عبيدة فقال : أديم طوى على علم . وقال بعض العلماء : كان الطلاب إذا أتوا مجلس الأصمعى اشتروا البعر فى سوق الدر ، وإذا أتوا مجلس أبى عبيده اشتروا الدر فى سوق البعر لأن الأصمعى كان حسن الإنشاء والزخرفة قليل الفائدة ، وأبو عبيدة بضد ذلك ألثغ فاحش اللثغة .

سبب قدومه إلى بغداد :

حدث أبو عبيدة أن الفضل بن الربيع وزير الرشيد أنفذ إليه مالا جزيلا ، واستقدمه إلى بغداد سنة ١٨٨ ، فلما قدم إلى بغداد استأذن فى الدخول عليه فأذن له وأكرم وفادته وأدناه منه وتبسط معه فى الحديث ،

ثم سأله الإنشاد فأنشده فطرب وضحك ، ثم دخل عليه إبراهيم بن إسماعيل الكاتب ، فأجلسه إلى جانبه وقال له أتعرف من هذا ؟ قال لا ، قال هـذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه ، فدعا للوزير وقرظه لفعله ، وقال إنى كنت إليك مشتاقا ، وقد سئلت عن مسألة ، أفتأذن لى أن أعرفك إياها ، فقلت هاتِ ، قال : قال الله عز وجل : (طلعها كأنه رءوس الشياطين) وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله ، وهذا لم يعرف ، فقلت إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلنى والمشرفىّ مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ، ولـكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به ، فاستحسن الفضل ذلك ، واستحسنه السائل ، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتابا فى مثل هذا وأشباهه وما يحتاج إليه من علمه ، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابى الذى سميته [المجاز فى القرآن] .

أبو عبيدة والأصمعى فى مجلس الرشيد :

قال المازنى : سمعت أبا عبيدة يقول : أدخلت على الرشيد ، فقال يامعمر بلغنى أن عندك كتابا حسنا فى صفة الخيل ، أحب أن أسمعه منك ، فقال الأصمعى : وما تصنع بالـكتاب يحضر فرس ونضع أيدينا على عضو ونسميه ونذكر مافيه ، فقال الرشيد ، ياغلام أحضر فرسى ، فقام الأصمعى فوضع يده على عضو عضو ، وجعل يقول هذا كذا ، قال الشاعر فيه كذا حتى انقضى قوله ، فقال لى الرشيد : ماتقول فيما قال ؟ فقلت له قد أصاب فى بعض وأخطأ فى بعض ، والذى أصاب فيـه شىء نعلمه ، والذى أخطأ فيه لا أدرى من أين أتى به .

مؤلفاته :

له من التواليف مايقرب من مائتى مصنف؛ منها مجاز القرآن . وغريب القرآن . ومعانى القرآن . وغريب الحديث . والديباج . والتاج . والخيل . والبازى . والمثالب . وخلق الإنسان . والدلو . والبكرة . وبيوتات العرب . واللغات . قضاة البصرة . لصوص العرب . أخبار الحجاج . قصة الكعبة . ماتلحن فيه العامة . الأوس والخزرج . الأيام . السرج واللجام . الجمل وصفين . الأضداد .

أخلاقه :

كان وسخا مدخول الدين ، ميالا إلى مذهب الخوارج ، طعاناً فى أعراض الناس وأنسابهم ؛ ولم يكن بالبصرة أحد إلا يداجيه ويتقيه على عرضه ؛ ومن ثم لم تقبل له شهادة لدى حاكم .

وفاته :

توفى سنة ثمان ومائتين . وقال الصولى سنة ٢٠٧ ؛ وقال المظفر ابن يحيى سنة ٢٠٩ ولم يحضر جنازته أحد ، لأنه لم يسلم من لسانه لاشريف ولا وضيع بالبصرة .

أبو عثمان الجاحظ

المتوفى سنة ٢٥٥

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى ولاء ، الملقب بالجاحظ والحدقى لجحوظ عينيه وكبر حدقته .

مولده ونشأته :

ولد بالبصرة سنة مائة وخمسين هجرية ، كما حدّث بذلك عن نفسه ، ونشأ ببغداد ؛ وتعلم على مشيخة البلدين (البصرة والكوفة) كأبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد الأنصارى ، وأساطين أهل الكلام فيهما ؛ وتخرّج فى مذاهب الاعتزال على أبى إسحق إبراهيم بن سيار النظام ؛ وفى الحديث على يزيد بن هرون ، وأبى يوسف القاضى ، والحجاج بن محمد بن سلمة . وتخرج على يديه أبو بكر عبد الله بن داود السجستانى ، وأبو العباس محمد ابن يزيد المبرد ، ويموت بن المزرّع (والجاحظ خال أمه) .

طريقته فى الترسل :

للجاحظ طريقة فى الترسل اختص بها من بين الكتاب ، ونسبت إليه ، فقيل : (الطريقة الجاحظية) عجز كتاب العربية وجهابذتهم عن محاكاتها ؛ فهو شيخ الأدباء ، والإمام فى الفصاحة والبيان ، وسيد الكتاب فى العربية .

سعة اطلاعه :

له القِدْح المعلّى فى كثير من الفنون ؛ فقد قرأ كثيراً من كتب الحكمة ، والفلسفة لليونان والفرس والهند ؛ فما نقل كتاب منها إلى العربية فى مختلف الفنون إلا قرأه قراءة تفحص واستبصار ، مع ماله من حافظة مطاوعة ، ورواية واسعة ، وحجة قوية ، وبرهان ناصع ، وقد ملأت تواليفه سَمْع الدنيا وبصرها ، وانتفع بها الجم الغفير من الناس ، حتى لقد قال أحد الكتاب من الصابئة : ما أحسد الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس : عمر بن الخطاب فى سياسته وحذره ، ودينه ويقينه . والحسن

ابن أبي الحسن البصرى فى ورعه وعفته ، وفقهه ومعرفته ، وفصاحته ونصاعة مواعظه . وأبى عثمان الجاحظ خطيب المسلمين ، وشيخ المتكلمين ، ومِدْره المتقدمين والمتأخرين ، إن تكلم حكى سحبان بلاغة ، وإن ناظر ضارع النظام جدلا .

نِحلته :

تفرد بنحلة خاصة فى الكلام ، وصار رئيس فرقة من المعتزلة تسمى الجاحظية ، من قواعدها أن أفعال العباد تقع منهم طباعا ، وأنها تجب بإرادتهم ، وأن معرفة الله واجبة على الإنسان من حين البلوغ ؛ وحدّث الجاحظ عن نفسه قال : قلت لأبى يعقوب الخزيمى ، من خلق المعاصى ؟ قال الله . قلت فمن عذب عليها ؟ قال الله . قلت فلم ؟ قال : لا أدرى والله .

مناظراته :

كانت بين الجاحظ ومخالفيه من أرباب النحل والمذاهب من ملاحدة ومرجئة ورافضة ، مصاولات ومحاورات عنيفة ، كتب له فيها النصر والفلج عليهم والظفر بهم .

آراء العلماء فيه :

اختلفت آراء العلماء فيه ؛ فمن قادح له يتهمه بالكذب ، ويرميه بكل شنيع من القول . فابن قتيبة يقول : إنه من أكذب الأمة وأوضعهم للحديث ، وأنصرهم للباطل ؛ والأزهرىّ اللغوى يقول : إن الجاحظ روى عن الثقات ماليس فى كلامهم ، وقد أوتى بسطة فى لسانه ، وبيانا فى خطابه ، غير أن أهل العلم والمعرفة ذموه ، وعن الصدق دفعوه ؛ والبديع يقول فى المقامة الجاحظية : إن الجاحظ فى أحد شقى البلاغة يقطف ، وفى الآخر

يقف ، والبليغ من لم يقصر نظمه عن نثره ، ولم يزر كلامه بشعره ؛ فهل ترون للجاحظ شعراً رائقاً ؟ قلنا لا ، قال : فهلموا إلى كلامه ، فهو بعيد الإشارات ، قريب العبارات ، قليل الاستعارات ، منقاد لعريان الكلام يستعمله ، نفور من معتاض يهمله ؛ والمسعودى يقول : وزعم الجاحظ فى كتابه الأمصار : أن نهر السند من النيل ، بدليل وجود التماسيح فيه ، والكتاب كله غاية فى الغثاثة ، وهو فيه حاطب ليل ، ينقل من كتب الورّاقين ، إذ هو لم يسلك البحار ، ولم يتعرف الأقطار والأمصار . ومن مادح له يقدره قدره ، ويشيد بفضائله ؛ ومن أولئك أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد . قال : مارأيت أحرص على العلم من ثلاثة : الجاحظ ، والفتح ابن خاقان ، وإسماعيل بن إسحق القاضى . فأما الجاحظ ، فانه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان . وأما الفتح بن خاقان ، فانه كان يحضر لمجالسة المتوكل ، فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتابا من كمه أوخفه وقرأه إلى حين عودته . وأما إسماعيل فانى مادخلت عليه إلا رأيته ينظر فى كتاب ، أويقلب كتبا ، أوينفضها[١] . والرئيس أبو الفضل ابن العميد ، فقد كان من المعجَبين به ، المتوفّرين على قراءة كتبه ومصنفاته ، المغترفين من بحار علومه وآدابه ، المتبعين مذهبه فى الكتابة ، حتى لقد لقب بالجاحظ الثانى . ومما أثر عنه أنه قال : كتب الجاحظ تعلم العقل أوّلا ، والأدب ثانيا . والقاضى بن خلكان إذ يقول : الجاحظ صاحب التصانيف فى كل فن ، وله مقالة فى أصول الدين . ومن أحسن

---

(١) نفض فلان المكان: نظر جميع مافيه ليعرفه .

تصانيفه وأمتعها كتاب الحيوان ، فقد جمع فيه كل غريبة ، وكذلك البيان والتبيين .

نوادره :

كان الجاحظ على جلالة قدره ، وسموّ منزلته ، وشديد لدده ، وقوة حجته ، وعظيم بيانه ، حلو الدُّعابة ، ظريف الفكاهة ، ميالا إلى اللطائف والملح ، كثير التندر والسخرية ، لا يكترث برواية النادرة وتدوينها ، وإن كان فيها مايحط من قدره ، ويزرى بحلى وقاره ؛ فمن ذلك ماحدّث به عن نفسه . قال : ذكرت للمتوكل على الله لأكون مؤدبا لبعض ولده ، فحين رآنى استبشع منظرى ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى . وقال مرة : ماأخجلنى أحد مثل امرأتين ، رأيت إحداهما فى العسكر وكانت طويلة القامة ، وكنت على طعام ، فأردت أن أمازحها ، فقلت انزلى كلى معنا ، فقالت : اصعد أنت حتى ترى الدنيا . وجاءت الأخرى وأنا على باب دارى فقالت لى : إليك حاجة ؟ وأريد أن تمشى معى ، فقمت معها إلى أن أتت إلى صائغ يهودى ، وقالت له مثل هذا وانصرفت . فسألت الصائغ عن قولها ؟ فقال : إنها أتت إلىّ بفص وأمرتنى أن أنقش لها عليه صورة شيطان . فقلت لها : ياستى مارأيت الشيطان ، فأتت بك وقالت ماسمعت . وقال : وقفت يوما على قاض فأردت الولَع به ، فقلت لمن حوله : إنه رجل صالح لايحب الشهرة ، فتفرقوا عنه ، فنظر إلىّ وقال : حسبك الله . وقال : أتانى بعض الثقلاء ، فقال : سمعت أن لك ألف جواب مسكت ، فعلمنى منها ، فقلت نعم . فقال : إذا قال لى شخص يازوج القحبة ، ياثقيل الروح ، أى شىء أقول له ؟ قلت قل له صدقت .

رسائله :

منها ما كتب به إلى قليب المغربى قال :

والله ياقليب ، لولا أن كبدى فى هواك مقروحة ، وروحى بك مجروحة ، لساجلتك هذه القطيعة ، وبادلتك حبل المصارمة ، وأرجو أن الله يديل صبرى من جفائك ، فيردك إلى مودتى وأنف القلى راغم ، فقد طال العهد بالاجتماع ، حتى كدنا نتذاكر عند الالتقاء .

ومن كلامه :

ينبغى للكاتب أن يكون رقيق حواشى اللسان ، عذب البيان ، إذا حاور سدّد سهم الصواب إلى غرض المعنى ، لايكلم العامة بكلام الخاصة ، ولا الخاصة بكلام العامة .

شذرات من شعره :

شعر الجاحظ إذا ووزن بنثره كان فى المرتبة الدنيا ، وقد علمت رأى البديع فيه ، وقلّ من يجيد الشعر والنثر معاً ، فمن ذلك قوله :

يطيب العيش أن تلقى حكيما   غذاه العلم والفهم المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل   وفضل العلم يعرفه اللبيب
سقام الحرص ليس له شفاء   وداء الجهل ليس له طبيب

وقوله :

إن حال لون الرأس عن لونه   ففى خضاب المرء مستمتع
هب من له شيب له حيلة   فما الذى يحتاله الأصلع

وكثيراً ما كان ينشد :

أترجو أن تكون وأنت شيخ   كما قد كنت أيام الشباب

كذبتك نفسك ليس ثوب دَرِيس كالجديد من الثياب

مؤلفاته :

له من المؤلفات مانيف على المحسين بين كتب ورسائل ، وقد ذاع صيت اثنين منها وهما : كتاب الحيوان ؛ وقد جمع فيه من اللطائف والنوادر مايدهش اللب ، ويحار فيه العقل ؛ وقد صدق القاضى بن خلكان فى قوله فيه : إنه جمع كل غريبة . وكتاب البيان والتبيين ؛ وقد أكثر فيه من مختار كلام العرب نثيره ونظيمه ، فقد تكلم فيه على السلاطة والهذر ، والعىّ والحصر ، وعلى الضيافة وآدابها عند العرب ، وعلى خطباء الأمصار وشعرائهم ، وعلى البلاغة والبلغاء ، وعلى المخاصر والعصىّ ، وشىء من نوادر الأعراب ، وكتاب العصا ، وكتاب الزهد ، وأخلاط من شعر وأحاديث ونوادر ، وآداب الملوك .

جوائزه على بعض كتبه :

قال ميمون بن هرون الكاتب : قلت للجاحظ : ألك بالبصرة ضيعة ؟ فتبسم وقال : إنما أنا وجارية وجارية تخدمها وخادم وحمار ؛ أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، فأعطانى خمسة آلاف دينار ؛ وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى ابن أبى دؤاد ، فأعطانى خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولى ، فأعطانى خمسة آلاف دينار ، فانصرفت إلى البصرة ، ومعى ضيعة لاتحتاج إلى تجديد ولا تسميد .

مرضه :

قال أبو العباس المبرد : عدت الجاحظ فسمعته يقول : أنا من جانبى

الأيسر مفلوج (١) فلو قرض بالمقاريض ماعلمت ، ومن جانبي الأيمن مُنَقْرَس (٢) فلو مر بي الذباب لألمت ، وبي حصاة لاينسرح لى البول معها وأشد ماعلىّ ست وتسعون . وقال يموت بن المزرع : وجّه المتوكل فى السنة التى قتل فيها وهى سنة ٢٤٧ أن يحمل إليه الجاحظ من البصرة بطلب من وزيره الفتح بن خاقان ، فقال الجاحظ لمن أراد حمله : مايصنع بامرئ ليس بطائل ، ذى شق مائل ، ولعاب سائل ، وفرج بائل ، وحقل زائل ، ولون حائل ؟ .

وقال أبو طاهر : صرت إلى الجاحظ ومعى جماعة ، وقد أسنّ واعتلّ فى آخر عمره ، وهو فى منظرة له وعنده ابن خاقان جاره ، فقرعنا الباب فلم يفتح لنا ، وأشرف من المنظرة ، وقال ألا : إنى قد حوقلت ، وحملتُ رُمَيْح أبى سعد (٣) ، وسقت الغنم (٤) فما تصنعون بى ، سلموا سلام الوداع فسلمنا وانصرفنا .

وشكا يوما لطبيبه علّته ، فقال : قد اصطلحت الأضداد على جسدى إن أكلت بارداً أخذ برجلى ، وإن أكلت حاراً أخذ برأسى .

وما زالت العلة تزداد به حتى سقطت عليه مجلدات الكتب ، فمات فى سنة خمس وخمسين ومائتين هجرية .

---

(١) الفالج داء يحدث فى أحد شقى البدن طولا فيبطل إحساسه وحركته .

(٢) مصاب بالنقرس : وهو ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين وفى إبهامهما أكثر . (٣) أبو سعد رجل من العرب أسن فاستعان بالعصا ، فقيل لكل من شاخ وكبر : أخذ رميح أبى سعد .

(٤) كناية عن الهرم ، لأن سائق الغنم يطاطئ من رأسه .

محمد بن يزيد المبرد

المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

اسمه ونسبه :

هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدى البصرى النحوى اللغوى الأديب الفصيح البليغ الكثير النوادر والملح الثقة الثبْت.

لقبـــه :

يلقب بالمبرد ، وقد لقبه به أستاذه المازنى ، ذاك أنه حين صنف كتابه [الألف واللام] سأله عن دقيقه وعويصه ؟ فأجابه بأحسن جواب ، قال له قم فأنت المبرِّد أى المثبت للحق ، فحرفه الكوفيون وفتحوا الراء زراية به .

مولده ونشأته :

ولد بالبصرة يوم الاثنين غداة عيد الأضحى سنة عشرة ومائتين ، وقد تلقى العلم على أبى عمرو الجرمىّ ، وأبى عثمان المازنى ، وقرأ عليهما كتاب سيبويه ، وعلى أبى حاتم السجستانى ؛ وأخـــذ عنه أبو بكر الصولى ونِفطويْه .

آراء الأئمة فيه :

قال السيرافى: سمعت أبابكر بن مجاهد يقول: مارأيت أحسن جوابا من المبرد فى معانى القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم ، وقال سمعت نفطويه يقول: مارأيت أحفظ للاخبار بغير أسانيد من المبرد وأبى العباس بن الفرات ، ومن ثم كان يتهم بالوضع لكثرة حفظه للغة وغريبها .

المنافرة بينه و بين ثعلب :

كان بينه و بين أبى العباس ثعلب ما يكون بين المعاصرين من المنافرة وقد اشتهر ذلك بين الأدباء ، حتى قال بعض الشعراء :

كفى حزنا أنا جميعا ببــــلدة ويجمعنا فى أرضها شر مشهد
وكل لكل مخلص الود وامق ولـكنه فى جانب عنه مفرد
نروح ونغـــدو لاتزاور بيننا وليس بمضروب لنا يوم موعد
فأبداننا فى بــلدة والتقاؤنا عسير كلقيا ثعلب والمــبرد

وكان المبرد يحب الاجتماع بأبى العباس ثعلب للمناظرة ، وثعلب يكره ذلك ، لأن المبرد كان حسن العبارة ، حلو الإشارة ، فصيح اللسان ، ظاهر البيان ؛ وثعلب دونه فى ذلك فإذا اجتمعا فى محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن .

مناظرة بينه و بين الزجاج :

لما قدم المبرد بغداد عزم الزجاج على مناظرته ، وكان تلميذ ثعلب ، فلما باحثه ألجمه المبرد بالحجة ، وألزمه الزامات لم يهتد إليها ، فأقرله بالفضل ، ورجاحة العقل ، وأخذ يلازمه و يستفيد من علمه وأدبه .

مديح الشعراء له :

قال أحمد بن عبد السلام بن رُغبان ديك الجن يمدحه :

رأيت محمد بن يزيد يسمو إلى الخيرات فى جاه وقــدر
جليس خلائف وغذى مَلْك وأعلم من رأيت بكل أمر
وقالوا ثعلب رجـــل عليم وأين النجم من شمس وبدر ؟
وقالوا ثعلب يفتى ويمــــلى وأين الثعلبان من الهزبر ؟

وقال بعضهم فى مدح المبرد وثعلب :

أيا طالب العلم لاتجهلنْ وعذ بالمبرد أو ثعلب
عـلوم الخلائق مقرونة بهذين فى المشرق والمغرب

أهاجى الشعراء له :

قال عبد الصمد بن المعذّل :

سألنا عن ثمالة كل حىّ فقال القائلون ومن ثماله
فقلت: محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهمُ جهاله

وقال آخر :

وفتى من مازن أستاذ أهل البصره
أمه معـــــرفة وأبوه نكره

ومن شعره قوله :

حبـذا ماء العناقيـــد بريق الغانيات
بهما ينبت لحمى ودمى أىّ نبات
أيها الطالب أشهى من لذيذ الشهوات
كل بماء المزن تفا ح خدود الفتيات

وقوله وقد بلغه أن ثعلبا نال منه :

رب من يعنيه حالى وهو لايجرى ببالى
قلبه ملآن منى وفؤادى منه خالى

تواليفـــــه :

له من المؤلفات الشىء الكثير ؛ فمن ذلك كتاب الكامل فى الأدب وهو أشهر كتبه ، وقد تكلم فيه على فنون كثيرة من مباحث البلاغة ؛

كذكر الضروريات القبيحة كبيت الفرزدق * ومامثله فى الناس إلا مملكا *
وقول خالد بن عبد الله القسرى : أطعمونى ماء ، وتكلم على المجاز العقلى
فى قوله تعالى (بل مكر الليل والنهار) وعلى التغليب فى نحو قوله :

* قدنى من نصر الخبيبين قدى *

وعلى مباحث التشبيه مع ذكر ماقالته العرب فيه ، وتقسيمه أربعة :
أضرب : مفرط ، ومصيب ، ومقارب ، وبعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم
بنفسه ، وعلى الأمثال السائرة والأخبار المأثورة ، وعلى مجاز آيات من
القرآن الكريم ، ويريد بمجازها تقدير تأويلها كما فعل أبو عبيدة فى كتابه
[مجاز القرآن] .

والمقتضب فى النحو وهو أكبر مصنفاته ، وكتاب البلاغة (ولاندرى
النهج الذى سلكه فيه) وكتاب الروضة ، والمدخل فى كتاب سيبويه ،
وشرح شواهد سيبويه ، وكتاب التصريف ، وكتاب العروض ، وكتاب
القوافى ، وكتاب أدب الجليس ، وكتاب طبقات النحويين ، وكتاب الرد
على سيبويه ، وكتاب معانى القرآن ، ويعرف بالكتاب التام .

وفاته :

توفى فى شوال سنة ٢٨٥ ، فى خلافة المعتضد ، وصلى عليه أبو محمد
يوسف بن يعقوب القاضى ، ودفن فى دار فى مقابر باب الكوفة ، ورثاه
ثعلب قال :

ذهب المبرد وانقضت أيامه	وليذهبنْ إثر المبرد ثعلب
بيت من الآداب أضحى نصفه	خربا وباقى النصف منه سيخرب
وتزودوا من ثعلب فبكأس ما	شرب المبرد عن قريب يشرب

عبد الله بن المعتز

المتوفى سنة ٢٩٦

هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل الشاعر المطبوع ، الحسن الإبداع للمعانى ، الجيد القريحة ، المعدود فى جملة الأدباء والعلماء ، وقد كان شديد السمرة مسنون الوجه ، يخضب بالسواد .

مولده ونشأته :

ولد سنة ٢٤٧ ، وأخذ الأدب عن أبى العباس المبرد ، وعن أبى العباس ثعلب وغيرهما .

مصنفاته :

له من التصانيف : كتاب الزهر والرياض ، وكتاب مكاتبات الإخوان بالشعر ، وكتاب الجوارح والصيد ، وكتاب السرقات ، وكتاب أشعار الملوك ، وكتاب طبقات الشعراء ، وكتاب الجامع فى الغناء ، وأرجوزة فى ذم الصبوح .

وكتاب البديع — وهو أول كتاب ألف فى البديع ، وهو اسم أعم مما اصطلح عليه المتأخرون ؛ فقد ذكر من أنواعه الاستعارة والتشبيه والكناية والتمثيل ، وقال فى أوله ، وما جمع قبلى فنون البديع أحد ، ولا سبقنى إلى تأليفه مؤلف ، وألفته سنة ٢٧٤ فمن أحب أن يقتدى بنا ، ويقتصر على هذه فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع ، ورأى فيه غير رأينا فله اختياره ؛ وزاد معاصره قدامة عشرين

نوعا اتفق معه فى سبعة منها ، فكان جملة مازاده ثلاثة عشر ، فكمل ماجمعه ثلاثون نوعا ، ثم أوصلها أبو هلال العسكرى فى كتابه [الصناعتين] إلى خمسة وثلاثين نوعا ، وجمع ابن رشيق فى كتابه العمدة مثلها ، وتلاهما شرف الدين الشاشى فبلغ بها السبعين ؛ وصنف ابن منقذ كتابه [التفريع فى البديع] فجمع فيه خمسة وتسعين نوعا ، وانتهت خاتمة المطاف بالمدحة النبوية لصفى الدين الحلى المسماة : [الكافية البديعية] جمع فيها مائة وأربعين نوعا .

نثره :

من ذلك قوله : البلاغة البلوغ إلى المعنى ، ولما يطل سفر الكلام ؛ وكان يقول : لو قيل لى : أى شعر أحسن ما تعرفه ؟ لقلت قول العباس ابن الأحنف .

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا   وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم   وصادق ليس يدرى أنه صدقا

شعره :

له الشعر الرائق المعجب والتشبيهات الحسنة ، فمن ذلك قوله :

وجاءنى فى قميص الليل مستتراً   يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقمت أفرش خدى فى الطريق له   ذلا وأسحب أذيالى على الأثر
ولاح ضوء قمير كاد يفضحنا   مثل القلامة قد قدّت من الظفر
وكان ما كان مما لست أذكره   فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وقوله فى الخمر :

خليلىّ قد طاب الشراب المورّد   وقد عدت بعد النسك والعود أحمد

فهاتا عقاراً فى قميص زجاجة كياقوتة فى درة تتوقد

وفاته :

مات رحمه الله قتيلا بيد مؤنس خادم المقتدر سنة ست وتسعين ومائتين ودفن فى خربة بإزاء داره . وكان من حديث ذلك أن رؤساء الجند ووجوه الكتاب شغبوا على المقتدر بالله وخلعوه من الخلافة ، وبايعوا عبد الله ابن المعتز ولقبوه بالمرتضى بالله ، وأقام على ذلك يوما وليلة ، ثم تجمع أصحاب المقتدر وحاربوا أنصار ابن المعتز وشتتوا شملهم ، وأعادوا المقتدر إلى الدست ، واختفى ابن المعتز فى دار أبى عبد الله الحسين الجصاص الجوهرى ، فقبض عليه وقتل يوم الخميس فى شهر ربيع الأول من تلك السنة ، ورثاه على بن محمد بن بسام قال :

لله درك من ميت بمضيعة ناهيك فى العلم والآداب والحسب

ما فيه لوٌ ولا ليتٌ فتنقصه وإنما أدركته حرفة الأدب

قدامة بن جعفر الكاتب

المتوفى سنة ٣٣٧ هـ

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البليغ ، والفيلسوف المشار إليه بالبنان ، فى علم المنطق والحساب ، أدرك ثعلبا والمبرد وأبا سعيد السكرى وابن قتيبة ، ومن فى طبقتهم ، وبرع فى الحساب والبلاغة ونقد الشعر ؛ وقد ظهرت آثار علم المنطق فى كتبه .

كان نصرانيا وأسلم على يد المكتفى بالله ، ولم يزل يتردد فى خدمة

الديوان ببغداد إلى سنة سبع وسبعين ومائتين ، ثم تولى مجلس الزمام (إدارة الحسابات) مدة وزارة أبى الحسن بن الفرات .

مؤلفاته :

له كتاب نقد الشعر ، وقد تعرض لنقده أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، وكتاب نقد النثر وقد طبعا بمصر ، وكتاب فى الخراج وصناعة الكتاب ، وهو كتاب بلغ الغاية فى بابه ، وقد رتبه مراتب ، وأتى فيه بكل ما يحتاج إليه الكاتب الأديب ، وكتاب السياسة ، وكتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب فيه أبا تمام ، كتاب صناعة الجدل ، كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر ، كتاب زهر الربيع فى الأخبار ، كتاب صابون الغم ، كتاب صرف الهم ، كتاب جلاء الحزن ، كتاب ترياق الفكر .

وفاته :

توفى سنة سبع وثلاثين وثلثمائة أيام المطيع لله .

أبو الحسن على بن العزيز الجرجانى

المتوفى سنة ٣٦٦ هـ

قال فى صفته الثعالبى فى يتيمة الدهر :

هو حسنة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، ودرة تاج الأدب ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحترى ، وقد كان فى صباه خلف الخضر فى قطع عرض الأرض ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به فى العلماء علما ، وفى الكمال عالما ، ثم عرج على حضرة الصاحب ابن عباد ، فألقى بها عصا التسيار ، وحل منه محلا بعيداً فى رفعته ، قريبا

فى أسرته ، وسير فيه قصائد أخلصت على قصد ، وفرائد أتت من فرد ، ثم تصرفت به أحوال فى حياة الصاحب . و بعد وفاته من الولاية والعطلة ، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالرى ولم يعزله إلا موته ؛ وقد حدث القاضى قال : انصرفت يوما من دار الصاحب قبيل العيد ، فجاءنى رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان :

يأيها القاضى الذى نفسى له   مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطرا مثل طيب ثنائه   فكأنما أهدى له أخلاقه

مؤلفاته :

الوساطة بين المتنبى وخصومه ، ألفه بعد أن ألف الصاحب كتابه فى مساوى المتنبى ، فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد فى فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره فى الأدب وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ ، وقوة النقد ، فسار كتابه مسير الرياح ، وطار فى البلاد بغير جناح ؛ وقد مدحه بعض شعراء نيسابور فقال :

أيا قاضيا قد دنت كتبه   وإن أصبحت داره شاحطه
كتاب الوساطة فى حسنه   لعقد معاليك كالواسطه

ومنها تفسير الكتاب الكريم ، وكتاب تهذيب التاريخ .

شعره :

له ديوان شعر كبير . فمن ذلك قوله فى الغزل :

أفدى الذى قال وفى كفه   مثل الذى أشرب من فيه
الورد قد أينع فى وجنتى   قلت فمى باللثم يجنيه

وقوله فى الأنس بالكتاب والبعد عن مخالطة الناس :

ماتطعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس شىء أعز عندى من العلـــم فلم أبتغى سواه أنيسا
إنما الذل فى مخالطة الناس فدعهم وعش عزيزا رئيسا

ومن شعره السائر قوله فى الحكم :

يقولون لى فيك انقباض و إنما رأوا رجلا فى موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وما زلت منحازا بعرضى جانبا من الذم أعتدُّ الصيانة مغنما
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما

وقوله فى الغزل :

انثر على خدى من وردك أودع فمى يقطفه من خدك
ارحم قضيب البان وارفق به قد خفت أن ينقد من قدّك
وقل لعينيك بنفسى هما يخففان السقم عن عبدك

وفاته :

توفى بالرى سلخ صفر سنة ست وستين وثلثمائة ، وعمره ست وسبعون سنة .

أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى

المتوفى سنة ٣٦٨ هـ

هو أبوسعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافى النحوى ، الإمام فى النحو واللغة والشعر والعروض والقوافى والقرآن والفرائض والحديث والفقه والكلام والحساب والهندسة .

مولده ونشأته :

ولد بسيراف بفارس على ساحل البحر مما يلى كِرمان ، وبها ابتدأ يطلب العلم ، ومنها خرج إلى عمان وتفقه بها ، وأقام بعسكر مُكرم مدة ، ثم انتقل إلى بغـداد وأقام بها حتى مات ، وقرأ القرآن على أبى بكر ابن مجاهد ، واللغـة على أبى بكر بن دريد ، والنحو على أبى بكر ابن السراج .

أخلاقه :

كان ورعا زاهدا لا يأكل إلا من كسب يده ، فكان لايخرج إلى مجلس الحكم ، ولا إلى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات ، يأخذ أجرتها عشرة دراهم تكون كفاية مئونته .

توليه القضاء :

ولى القضاء ببغداد على الجانب الشرقى ، ثم على الجانبين ، وأفتى فى جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبى حنيفة ، ماعثر له على زلة ، ولا وجد له خطأ ، مع دين وافر وأمانة تامة ؛ وقد كتب إليه عدة ملوك كتباً مصدّرة بتعظيمه ، وفيها أسئلة عن مسائل فى الفقه واللغة والنحو .

رفضه العمل فى ديوان الإنشاء :

طلب إليه أن يعمل فى ديوان الإنشاء فأبى ، وقال هذا أمر يحتاج إلى دُرْبة وأنا منها عار ، وسياسة وأنا فيها غريب .

مناظرة بينه و بين فيلسوف :

جرت بينه و بين متّى بن يونس القنائى المنطقى الفيلسوف مناظرة فى مجلس الوزير أبى الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، ادّعى فيها متّى أن المنطق لازم لكل صناعة ، ولكل علم حتى النحو ، إذ هو ميزان لمعرفة الحق من الباطل ، والصدق من الكذب ، والخير من الشر ، والحجة من الشبهة ، والشك من اليقين ؛ وبه يعرف صحيح الكلام من فاسده ، وفاسد المعنى من صالحه ، كالميزان فانه يعرف به الرجحان من النقصان ، والشائل من الجانح ، لكن أبا سعيد مازال ينتقل به من فن إلى فن ، ومن مسألة إلى أخرى ، حتى أثبت له حاجة المنطق إلى النحو لا حاجة النحو إلى المنطق . ومما قاله له : ماتقول فى قول القائل : زيد أفضل الإخوة . قال: صحيح. قال: فما تقول إن قال زيد أفضل إخوته ، قال صحيح . قال: فما الفرق بينهما مع الصحة؟ فجف ريقه وعىّ بالجواب . فقال أبو سعيد : أفتيت على غير بصيرة ولا استبانة ؛ فطلب إليه ابن الفرات بيان الفصل بينهما . فقال : إن إخوة زيد هم غير زيد ، وزيد خارج من جملتهم ، بدليل أن سائلا لو قال من إخوة زيد ، لم يجز أن تقول زيد وعمرو و بكر وخالد ، وإنما تقول عمرو و بكر وخالد ، إذ هو غيرهم ؛ فلا يجوز أن تقول أفضل إخوته ، ولكنك إذا قلت أفضل الإخوة جاز ، لأنه أحد الإخوة ، والاسم يقع عليه وعلى غيره ، فهو بعض الإخوة ؛ ومازال يتصرف معه فى هذا وأمثاله حتى تقوّض

المجلس وأهله يتعجبون من رباطة جأش أبى سعيد وتصرف لسانه، وتهلل وجهه، وتتابع فوائده، ثم قال له الوزير: عين الله عليك أيها الشيخ فقد ندَّيت أكباداً، وأقررت عيوناً، وبيضت وجوهاً، وحكت طرازاً لاتبليه الأزمان، ولا يتطرقه الحدثان.

وقد حكى هذه المناظرة بإسهاب صاحب معجم الأدباء فى الجزء الثامن فلتراجع هناك؛ فهى ممتعة غاية الإمتاع، وفيها بهجة ورواء وظرف.

مؤلفاته :

كتاب صنعة البلاغة والشعر، ولم نطلع عليه حتى نعلم الطريق التى سلكها فيه، فربما كان فيه نهج جديد فى التأليف يخالف نهج معاصريه.

كتاب شرح كتاب سيبويه، فى ثلاثة آلاف ورقة بخطه فى السليمانى وماعمل مثله أحد، كتاب المدخل إلى كتاب سيبويه، كتاب شواهد كتاب سيبويه، كتاب الوقف والابتداء، كتاب ألفات القطع والوصل، كتاب أخبار النحويين البصريين، كتاب مقصورة ابن دريد، كتاب جزيرة العرب.

شعره ونثره :

لم يروله المؤرخون شيئاً من الشعر ولا الرسائل، لكنهم قالوا: إنه كثيراً ما كان ينشد فى مجالسه :

اسكن إلى سكن تسرّ به ذهب الزمان وأنت منفرد
ترجو غدا وغد كحاملة فى الحى لايدرون ماتلد

وكان بينه و بين أبى الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى تنافس

و بغضاء ، كما جرت العادة بمثله بين المعاصرين ، فهجاه أبو الفرج قال :

لست صدرا ولا قرأت على صد ... ر ولا علمك البكئ بشاف

لعن الله كل شعر وكل نحو ... وعروض يجئ من سيراف

وفاته :

توفى يوم الاثنين ثانى رجب من سنة ثمان وستين وثلثمائة فى خلافة الطائع ، ودفن فى مقابر الخيزران .

الحسن بن بشر الآمدى

المتوفى سنة ٣٧١

هو أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، ذو الفهم الحسن ، والرواية الواسعة فى علم الشعر ومعانيه .

مولده ونشأته :

هو آمدى الأصل ، بصرى المنشأ ، أخذ العلم عن الأخفش والزجاج وابن دريد وابن السراج ، و إليه انتهت رواية الشعر والأخبار بالبصرة ، وكان كثير الشعر ، جيد الصنعة ، مشتهرا بالتشبيهات النادرة .

أعماله :

كتب للقضاة من بنى عبد الواحد بالبصرة ، وكتب بمدينة السلام لأبى جعفر هرون بن محمد الضبي زمن المقتدر بالله وغيره من بعده ، ثم لزم بيته إلى أن مات .

شعره :

روى ياقوت فى المعجم من قوله فى ذم بعض القضاة :

رأيت قلنسوة تستغيـــث من فوق رأس تنادى خذونى
وقد قلمت وهى طورا تميـــل من عن يسار ومن عن يمين
فطورا تراها فُويق القفا وطورا تراها فُويق الجبين
فقلت لها أى شىء دهاك ؟ فردت بقول كئيب حزين
دهانى أن لست فى قالبى وأخشى من الناس أن يبصرونى

مؤلفاته :

كتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، وهو كتاب حسن فى بابه ، طرق فيه بحوثا كثيرة من صميم البلاغة ، قد نقل عبد القاهر بعضا منها فى كتابه أسرار البلاغة . قال ياقوت فى معجمه : وقد عيب عليه فى مواضع منه ، ونسب إليه الميل مع البحترى فيما أورده ، والتعصب على أبى تمام فيما ذكره ، وفريق من الناس وافق الآمدى فى حكمه على كلا الرجلين ، وفريق خالفه . وقال إن أبا القاسم جد واجتهد فى طمس محاسن أبى تمام ؛ وحسبك أنه بلغ فى كتابه إلى قول أبى تمام :

* أصم بك الناعى وإن كان أسمعا *

وشرع فى إقامة البراهين على تزييف هذا الجوهر الثمين ؛ فتارة يقول هو مسروق ، وتارة يقول هو مرذول ، ولا يحتاج المتعصب إلى أكثر من ذلك ، ولو أنصف وقال فى كل واحد بقدر فضائله لكان فى محاسن البحترى كفاية عن التعصب بالوضع من أبى تمام .

وقال أبو الفرج الببغاء : الآمدى يدعى المبالغات على أبى تمام ويجعلها

استطرادا لعيبه إذا ضاق عليه المجال فى ذمه ؛ ألا تراه يقول عند ما أورد قصيدته التى أولها :

* من سجايا الطلول ألا تجيبا *

خضبت خدها إلى لؤلؤ العقـــد دما أن رأت شواتى خضيبا

كل داء يرجى الدواء له إلـــلا الفظيعين ميتــة ومشيبا

هذه من المبالغات المسرفة ، لكنها والله المبالغة التى يبلغ بها السماء .

وفى هذا الكتاب يقول ابن الأثير فى المثل السائر : وما من تأليف فى علم البيان إلا وقد تصفحت شينه وزينه ، وعلمت غثه وسمينه ، فلم أجد ماينتفع به فى ذلك إلا كتاب الموازنة لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، وكتاب سر الفصاحة لأبى محمد عبد الله بن سنان الخفاجى ، غير أن كتاب الموازنة أجمع أصولا ، وأجدى محصولا ، وكتاب سر الفصاحة وإن نبه فيه على نكت منيرة فإنه قد أكثر فيه مما قل به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف . وله كتاب المختلف والمؤتلف فى أسماء الشعراء ، وكتاب نثر المنظوم ، كتاب فى أن الشاعرين لاتتفق خواطرهما ؛ كتاب تبيين غلط قدامة بن جعفر فى كتاب نقد الشعر ألفه لأبى الفضل محمد بن الحسين ابن العميد وقد قرأه عليه ، كتاب معانى شعر البحترى ، كتاب الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام ، كتاب فعلتُ وأفعل وهو كتاب لم يصنف مثله ، كتاب الخاص والمشترك ، تكلم فيه على الفرق بين الألفاظ والمعانى التى تشترك العرب فيها ، ولاينسب مستعملها إلى السرقة وإن كان قد سبق إليها ، وبين الخاص الذى ابتدعه الشعراء وتفردوا به ، ومن تبعهم وقصر

فى إيضاح ذلك وتحقيقه ، وكتاب تفضيل امرئ القيس على غيره من الجاهليين .

وفاته :

توفى سنة إحدى وسبعين ومائتين هجرية .

محمد بن عمران المرزبانى

المتوفى سنة ٣٧٨ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن عمران المرزبانى الراوية الأخبارى الثقة الصدوق المصنف لأخبار الشعراء والأمم والرجال .

مولده ونشأته :

هو خراسانى الأصل ، بغدادى المولد ، حدّث عن عبد الله بن محمد البغوى ، وأبى بكر السجستانى فى آخرين ، وروى عن أبى بكر بن دريد وأبى بكر بن الأنبارى ، وروى عنه أبو عبد الله الصيمرى ، وأبو القاسم التنوخى ، وأبو محمد الجوهرى .

مؤلفاته :

كان حسن الترتيب لمصنفاته حتى فضله بعضهم على الجاحظ فى جودة ترتيبه ، ومن أشهرها كما قال صاحب المعجم : المفصّل فى البيان والفصاحة نحو ثلثمائة ورقة ، ولاندرى النهج الذى سلكه فى تأليفه ، فلا نستطيع أن نحكم عليه حكما صحيحا (الموشح فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء من كسر ولحن ، وعيوب الشعراء وهو مطبوع بمصر) كتاب الشعر (جمع فيه فضائله ، ومحاسنه ، وأوزانه ، وعيوبه ، وأجناسه ، وضروبه ، ومختاره ،

وأدب قائليه ، ومنشديه ، و بيان منحوله ومسروقه ؛ وقد نقل منه بعض فصول الإمام عبد القاهر فى أوائل دلائل الإعجاز ، كتاب أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من المحدثين مع بيان أنسابهم وأزمانهم ابتداء من بشار بن برد إلى عبد الله بن المعتز فى عشرة آلاف ورقة ، أخبار أبى تمام ، أخبار أبى مسلم الخراسانى ، أخبار البرامكة ، المرشد فى أخبار المتكلمين ، المشرّف فى حِكَم النبى صلى الله عليه وسلم وآدابه ، ومواعظه ، ووصاياه ، كتاب المعجم ذكر فيه الشعراء على حروف المعجم فيه نحو خمسة آلاف اسم وهو فى ألف ورقة، الرياض فى أخبار المتيمين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين ، كتاب ذم الحجاب ، كتاب الزهد وأخبار الزهاد ، كتاب الهدايا ، كتاب المرائى ، وقد عدّ له ابن النديم فى الفهرست و ياقوت فى المعجم كثيرا من المؤلفات التى تدل على سعة الرواية وكثرة البحث والاطلاع مما لم يسبق إلى مثله ، ولم يحم أحد حوله .

وفاته :

توفى يوم الجمعة ثانى شوال سنة ثمان وسبعين وثلثمائة هجرية ، وصلى عليه أبو بكر الخوارزمى ، ودفن فى داره بشارع عمرو الرومى ببغداد فى الجانب الشرقى ، وقد كان معاصرا لمحمد بن إسحاق النديم صاحب الفهرست .

تنبيه :

قال ابن الجواليقى فى كتاب المعرب والدخيل : المرزبان بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاى : الرجل العظيم المقدم، وتفسيره بالعربية حافظ الحد.

أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى

المتوفى سنة ٣٩٥ ﻫ

هو الحسن بن عبد الله بن سعد العسكرى[١] الأديب اللغوى الشاعر العالم الفقيه ، كان تلميذ خاله أبى أحمد العسكرى الذى اتفق معه فى اسمه واسم أبيه .

مؤلفاته :

كتاب [الصناعتين] صناعتى النثر والنظم ، وهو الكتاب الذى طبقت شهرته الخافقين وأصبح عمدة من بين كتب الآداب ، كتاب أعلام المعانى فى معانى الشعر وهو مطبوع بمصر ، كتاب جمهرة الأمثال وهو مطبوع بها مع أمثال الميدانى ، كتاب ماتلحن فيه الخاصة ، كتاب معانى الأدب ، كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة ، كتاب التلخيص فى اللغة وهو كتاب مختصر مفيد ، كتاب المحاسن فى تفسير القرآن الكريم فى خمسة أجزاء ، كتاب شرح الحماسة ، كتاب نوادر الجمع والواحد ، كتاب التبصرة ، كتاب ديوان شعره ، كتاب الدرهم والدينار ، كتاب الأوائل .

صناعته :

كان على جلالة قدره فى الأدب والعلم يبيع البزّ فى الأسواق ترفعا بنفسه عن التبذل والدناءة ، وفى ذلك يقول :

جلوسىَ فى سوق أبيع وأشترى   دليل على أن الأنام قرود

---

(١) نسبة إلى عسكر مكرم مدينة بالأهواز تسمى عسكر مكرم ، وهو مكرم الباهلى الذى اختطها فنسبت إليه .

ولا خير فى قوم تذل كرامهم ... ويعظم فيهم نذلهم ويسود
ويهجوهم عنى رثاثة كسوتى ... هجاء قبيحا ما عليه مزيد

شعره :

من ذلك قوله فى شكوى الزمان والإخوان .

إذا كان مالى مال من يلقط العَجَمْ ... وحالى فيكم حال من حاك أو حجمْ
فأين انتفاعى بالأصالة والحجا ... وما ربحت كفى من العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس يبصر حالتى ... فلا يلعن القرطاس والقلم

وقوله فى الغزل ، وقد أنشده فى كتابه الصناعتين :

زعم البنفسج أنه كعذاره ... حسنا فسلوا من قفاه لسانه

ولبعضهم يمدح كتب أبى هلال :

وأحسن ماقرأت على كتاب ... بخط العسكرىّ أبى هلال
فلو أنى جعلت أمير جيش ... لما قاتلت إلا بالسؤال
فإن الناس ينهزمون منه ... وقد ثبتوا لأطراف العوالى

وفاته :

قال ياقوت فى المعجم — لم يبلغنى فيها شىء غير أنى وجدت فى آخر كتاب الأوائل من تصنيفه ، وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلثمائه .

أبو منصور الثعالبى

المتوفى سنة ٤٢٩

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى[1] النيسابورى صاحب يتيمة الدهر .

مولده :

كانت ولادته بمدينة نيسابور سنة خمس وثلثمائة ، وتلقى العلم عن مشهورى علماء عصره ، وجاب فى طلبه الأصقاع والبقاع ، وحصل من العلم ما جعله مضرب الأمثال ، وإليه تشد الرحال ، وجمع أشتات النثر والنظم ، وصار رأس المصنفين فى زمانه ، وطلعت كتبه فى المشارق والمغارب ، طلوع النجم فى الغياهب .

شعره ونثره :

له النثر البديع والرسائل الجيدة التى تشهد بعلو كعبه فى الأدب ، وسعة اطلاعه على منثور كلام العرب ومنظومها ، كما له الشعر الرصين الدالّ على طول الباع ونفاذ القريحة ، وشدة العارضة ، فمن ذلك ما كتب به إلى الأمير أبى الفضل الميكالى .

لك فى المفاخر معجزات جمة	أبدا لغيرك فى الورى لم تجمع
بحران بحر فى البلاغة شابه	شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعى
وترسل الصابى يزين علوّه	خط ابن مقلة ذو المحل الأرفع
كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو	كالوشى فى برد عليه موشع

(١) نسبة إلى خياطة جلود الثعالب لأنه كان فراء .

وله فى وصف فرس أهداه إليه ممدوحه :

يا واهب الطِرف الجواد كأنما	قد أنعلوه بالرياح الأربع
لاشىء أسرع منه إلا خاطرى	فى وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو أننى أنصفت فى إكرامه	لجلال مهديه الكريم الألمعى
أقضمته حب الفؤاد لحبه	وجعلت مربطه سواد الأدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع	برد الشباب لجله والبرقع

تواليفه :

له مؤلفات جيدة الوضع ، حسنة الترتيب منها فقه اللغة وسر العربية ، وفى قسمة الثانى جرى مجرى أبى عبيدة فى كتابه مجاز القرآن ، وكتاب يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، وهو أجلها وأكبرها ، وفيه يقول :

أبيات أشعار اليتيمه	أبكار أفكار قديمه
ماتوا وعاشت بعدهم	فلذاك سميت اليتيمه

ومنها : كتاب مؤنس الوحيد ، ومن غاب عنه المطرب ، وشىء كثير غيرها .

وفاته :

توفى سنة تسع وعشرين وأربعمائة هجرية .

ابن رشيق القيروانى

المتوفى سنة ٤٦٣

هو الحسن بن رشيق القيروانى الأزدى الأديب الشاعر النحوى اللغوى العروضى ، الحسن التصنيف والتأليف .

مولده ونشأته :

ولد بالمحمدية سنة تسعين وثلثمائه من أب مملوك رومى من موالى الأزد يشتغل بالصياغة ، فعلمه أبوه صنعته ، ثم قرأ الأدب بها على أبى عبد الله ابن جعفر القزاز القيروانى النحوى اللغوى ، وعلى غيره من أهل القيروان ، وقال الشعر وتاقت نفسه إلى التزيد منه ، فرحل إلى القيروان لملاقاة أهل الأدب بها ؛ ولما حط رحاله بها اشتهر وذاع صيته ومدح صاحبها المعز بن باديس بن المنصور سنة ٤١٠ هـ ، ولم يزل بها إلى أن هجم عليها العرب وقتلوا أهلها وخربوها، فانتقل إلى قرية بجزيرة صقلية وأقام بها حتى مات.

مهاجاته لابن شرف القيروانى :

كان بينه و بين عبد الله بن أبى سعيد المعروف بابن شرف القيروانى مناقضات ومهاجاة ، وصنف رسائل عدة فى الرد عليه ، منها رسالة تسمى بساجور الكلب ، ورسالة نجح الطلب ، ورسالة قطع الأنفاس ، ورسالة نقض الرسالة الشعوذية ، والقصيدة الدعية ، والرسالة المنقوضة ، ورسالة رفع الإشكال ودفع المحال ، ومما ذكره فى الرد عليه قوله فى نسب ابن شرف : إن شرف هو اسم امرأة نائحة ، ثم قال : وأما أنا فنضر الله وجه هذا الشيخ فى ، وأتم به النعمة على ، فما أبغى بأبى أبا ، ولا أرضى بمذهبه مذهبا رضيت به روميا لادعيا ولا بدعيا .

مؤلفاته :

له كتاب أنموذج الشعراء ذكر فيه شعراء القيروان ، ورسالة قراضة الذهب ، والعمدة فى معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه ؛ وهو كتاب جيد النسج والحوك ، ذكر فيه مسائل من عيون مباحث البلاغة بديعها و بيانها .

وعلى الجملة فمؤلفاته تشهد بتبحره فى الأدب ، وسعة اطلاعه على لغة العرب ، وشدة عارضته فى النقد .

شعره :

من ذلك قوله يمدح المعز بن باديس .

ذمت لعينك أعين الغزلان ۔ قمر أقر لحسنه القمران
ومشت ولا والله ماحقف النقا ۔ مما أرتك ولا قضيب البان
وثن الملاحة غير أن ديانتى ۔ تأبى علىّ عبادة الأوثان

وقوله فى الغزل :

وقائلة ماذا الشحوب وذا الضنى ۔ فقلت لها قول المشوق المتيم
هواك أتانى وهو ضيف أعزه ۔ فأطعمته لحمى وأسقيته دمى

وقوله أيضا :

ومن حسنات الدهر عندى ليلة ۔ من العمر لم تترك لأيامنا ذنبا
خلونا بها ننفى القذى عن عيوننا ۔ بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا
ومالنا لتقبيل الثغور ولثمها ۔ كمثل جنوح الطير يلتقط الحبا

قال الأبِيَوَرْدِىّ — هذا أحسن من قول ابن المعتز :

كم من عناق لنا ومن قُبَل ۔ مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهى خائفة ۔ من النواطير يانع الرطب

وله ـ وقد كبر وضعف مشيه ـ وهو معنى بديع :

إذا ماخففت كمهد الصبا ۔ أبت ذلك الخمس والأربعونا
وما ثقلت كبرا وطأتى ۔ ولكن أجرّ ورائى السنينا

وفاته :

اختلف فى وفاته ، فقيل إنه مات بالقيروان سنة ٤٥٦ عن ست وستين سنة ، وقيل إنه مات بمازَر من جزيرة صقلية ، سنة ثلاث وستين وأربعمائة .

ابن سنان الخفاجى الأمير

المتوفى سنة ٤٦٦ هـ

هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الخفاجى الشاعر الأديب البليغ الشيعىّ الحلبى .

مؤلفاته :

له فى البلاغة كتاب (سر الفصاحة) وهو من أحسن ما ألف فيها ، وفيه يقول صاحب المثل السائر : وما من تأليف إلا وقد تصفحت شينه وزينه ، وعلمت غثه وسمينه ، فلم أجد ما ينتفع به فى ذلك إلا كتاب الموازنة لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، وكتاب سر الفصاحة لأبى محمد عبد الله بن سنان الخفاجى ، وقد نقده فى جملة مواضع منه ، وله ديوان شعر متوسط الحجم ، وكلا الكتابين مطبوع متداول .

شعره .

له شعر يكاد يسيل رقة وظرفا ، ومن ذلك قوله :

بقيت وقد شطت بكم غربة النوى ... وما كنت أخشى أنى بعدكم أبقى
وعلمتمونى كيف أصبر عنكم ... وأطلب من رق الغرام بكم عتقا

فما قلت يوما للبكاء عليكم رويدا ولا للشوق بعدكم رفقا
وما الحب إلا أن أعدّ قبيحكم إلىّ جميلا والقلا منكم عشقا

وقوله :

ما على محسنكم لو أحسنا إنما نطلب شيئا هينا
قد شجانا اليأس من بعدكم فأدركونا بأحاديث المنا
وعدوا بالوصل من طيفكم مقلة تنكر فيكم وسنا
لا وسحر بين أجفانكم فتن الحب به من فتنا
وحديث من مواعيدكم تحسد العين عليه الأذنا

ذكاؤه وفطنته :

كان أميرا على بعض ولايات حلب لدى السلطان محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس الكلابى صاحب حلب ، فعصى السلطان واعتصم بقلعة عزار من أعمال حلب ، وكان بينه و بين الوزير أبى نصر ابن النحاس مودة صادقة ، فأمره السلطان أن يكتب إلى الخفاجى كتابا يستعطفه و يؤنسه ، وقال له إنه لا يأمن إلا إليك ، ولا يثق إلا بك ، فكتب إليه كتابا، فلما فرغ منه وكتب (إنّ شاء الله) شدد النون من إن ، فلما قرأه الخفاجى خرج من عزار قاصدا حلب ؛ و بينما هو فى الطريق أعاد النظر فى الكتاب ورأى التشديد على النون ، فأمسك رأس فرسه وفكر طويلا ، وقال إن ابن النحاس لم يكتب هذا عبثا ، ثم لاح له أنه أراد (إنّ الملأُ يأتمرون بك ليقتلوك) فعاد إلى عزار وكتب الجواب (إنّا الخادم المعترف بأنعام) وكسر الألف من إنا وشدد النون وفتحها ، فلما وقف أبو نصر على ذلك سرّ وعلم أنه قصد به (إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها)

وكتب إليه جوابا يستصوب رأيه ، فكتب إليه الخفاجى .

خف من أمنت ولا تركن إلى أحد   فما نصحتك إلا بعد تجريب
إن كانت الترك فيهم غير وافية   فما تزيد على غدر الأعاريب
تمسكوا بوصايا اللؤم بينهم   وكاد أن يدرسوها فى المحاريب

وفاته :

توفى مسموما سنة ست وستين وأربعمائة ، دس له ابن النحاس السم فى الطعام بعد أن توعده السلطان أنه إن لم يقتله قتله ، فقدم إليه خُشْكُنانة مسمومة فأكلها فقضى نحبه .

عبد القاهر الجرجانى

المتوفى سنة ٤٧١ ﻫ

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى الإمام النحوى المتكلم على مذهب الأشعرى الفقيه الشافعى واضع أسس البلاغة والمشيد لأركانها ، وفاتح مغلق أبوابها ، وكاشف خبيئها ، وموضح مشكلاتها ؛ وعلى نهجه سار المؤلفون بعده ، ونهلوا من معينه ، واغترفوا من بحره ، وأتموا البنيان الذى وضع أسسه .

وقد استطاع ذلك بما آتاه الله من قريحة وقادة ، وعقل فياض ، وقلم سيال ، وفكر غواص على دقائق المعانى التى خفيت على غيره الأحقاب الطوال ؛ ومن ثم قال صاحب الطراز يحيى بن حمزة العلوى المتوفى سنة ٧٤٩ ﻫ : إن عبد القاهر أول من أسس قواعد هذا العلم ، وأوضح براهينه ، ورتب أفانينه ، وفتح أزهاره من أكمامها ، وفتق أزراره

بعد استغلاقها واستبهامها ، بكتابيه [دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة] ولم أقف على شئ منهما ، مع شغفى بحبهما ، وشدة إعجابى بهما ، إلا مانقله العلماء فى تعاليقهم منهما .

توالیفه :

له أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، فى علوم البلاغة ، وشرح الإيضاح لأبى على الحسن بن حمد الفارسى وسماه [المغنى] وهو فى ثلاثين مجلدا واختصره بشرح سماه [المقتصد] فى ثلاث مجلدات ، إعجاز القرآن الكبير والصغير ، كتاب الجمل ، كتاب العوامل المائة ، كتابا المفتاح والعمدة وهما فى التصريف ، وتفسير الفاتحة فى مجلد ، كتاب فى العروض ، والتلخيص وشرحه.

شعره :

يدلنا التاريخ القديم والتاريخ الحديث على أنه قلما يجتمع النظيم والنثير لشخص واحد على طريق التقارب أو الاعتدال ، فنحن أولاء نرى فى عصرنا الحاضر شوقيا الشاعر ليس كشوقيّ الكاتب ، وحافظا الكاتب لايدانى حافظا الشاعر ، والأمر بعينه فى نثر الجاحظ وشعره ، وشعر عبد القاهر وكتابته ، فشعرهما إذا قيس بنثرهما كان ذا فى الثريا وذاك فى الثرى . انظر إلى مارواه الرواة لعبد القاهر من الشعر تحكم بصدق قضيتنا ؛ فمن ذلك قوله :

لا تأمن النفثة من شاعر ... مادم حيا سالما ناطقا
فإن من يمدحكم كاذبا ... يحسن أن يهجوكم صادقا

وقوله :

كبر على العلم ياخليلى ... ومل إلى الجهل ميل هائم
وعش حماراً تعش سعيداً ... فالسعد فى طالع البهائم

وقوله : وقد كتبه فى المدخل فى أوائل دلائل الإعجاز :

إنى أقول مقالا لست أخفيه ولست أرهب خصما إن بدا فيه

مامن سبيل إلى إثبات معجزة فى النظم إلا بما أصبحت أبديه

فما لنظم كلام أنت ناظمه معنى سوى حكم إعراب تزجيه

وفاته :

اختلف فى سنة وفاته ، فالمشهور أنها سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، وقيل سنة أربع وسبعين .

محمود بن عمر الزمخشرى

المتوفى سنة ٥٣٨ هـ

هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى الملقب بجار الله ، وبفخر خوارزم ؛ الإمام الكبير فى التفسير والنحو واللغة والأدب ، المفتن فى شتى الفنون ، القوى العارضة فى الجدل والبحث ، المعتزلى العقيدة ، الحنفى المذهب .

مولده ونشأته :

ولد بزمخشر من أعمال خوارَزم يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب ، سنة سبع وستين وأربعمائة ، ولما ترعرع وشدا أخذ الأدب عن أبى مضر محمود بن جرير الضبى الأصفهانى ، وأبى الحسن على بن المظفر النيسابورى ، وسمع من شيخ الإسلام أبى منصور الحارثى ، ومن أبى سعيد الشقَّانى [1] فى جماعة آخرين .

(١) شقان : قرية من قرى نيسابور .

وأصابته كارثة كانت سببا فى قطع رجله واختلف فيها ؛ فنقل عنه أنه قال: حينما رحلت إلى بخارى فى طلب العلم سقطت عن دابتى فى أثناء الطريق ، فانكسرت رجلى وأصابنى من الألم ما أوجب قطعها ؛ وقيل أصابه برد الثلج فى بعض أسفاره بنواحى خوارزم فسقطت رجله ، وقيل أصابه خرّاج فى رجله فاضطر إلى قطعها واتخذ رجلا من خشب ، وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال فيظن من يراه أنه أعرج .

رحلاته :

سافر إلى مكة وجاور بها زمانا حتى لقب بجار الله ، وأصبح هذا الاسم علماً عليه ، وورد بغداد غير مرة ، وقابله فى إحداها الشريف أبو السعادات هبة الله بن الشجرى مهنئا له بالقدوم ، فلما جلس إليه أنشده متمثلا :

كانت مساءلة الركبان تخبرنى عن أحمد بن داود أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ماسمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

وأنشده أيضا :

وأستكثر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبرَ الخُبْرُ

وحين أتم كلامه شكره ، وعظمه وتصاغر له ، ثم قال: إن زيد الخيل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بصر بالنبى رفع صوته بالشهادتين ، فقال له يازيد الخيل : كل رجل وصف لى وجدته دون الصفة إلا أنت ، فإنك فوق ماوصفت ، وكذلك سيدنا الشريف ، ثم دعا له وأثنى عليه .

نثره :

قال فى كتابه أطواق الذهب : استمسك بحبل مواخيك ما استمسك

بأواخيك ، واصحبه ماصحب الحق وأذعن ، وحل مع أهله وظعن ؛ فإن تنكرت أنحاؤه ، ورشح بالباطل إناؤه ، فتعوّض عن صحبته وإن عوّضت الشّسْع ، وتصرف بحبله ولو أعطيت النّسْع ، فصاحب الصدق أنفع من الترياق النافع ، وقرين السوء أضر من السم الناقع .

وقال : الدنيا أدوار ، والناس أطوار ، فالبس لكل يوم بحسب ما فيه من الطوارق، وجانس كل قوم بقدر مالهم من الطرائق ، فلن تجرى الأيام على أمنيتك ، ولن تنزل الأقوام على قضيتك .

وقال : لاتقنع بالشرف التالد ، فذلك الشرف للوالد ، واضمم إلى التالد طريفا ، حتى تكون بهما شريفا ، ولاتدل بشرف أبيك ، مالم تدلّ عليه بشرفٍ فيك .

وقال : كب الله على مناخره ، من زكى نفسه بمفاخره ، على أنه رب مَساخر ، يعدّها الناس مفاخر .

وقال : مالعلماء السوء جمعوا عزائم الشرع ودونوها ، ثم رخصوا فيها لأمراء السوء وهونوها؟ إنما حفظوا ، وعلقوا ، وصفقوا ، وحلقوا ليُقمِرُوا المال وييسروا ، ويفقروا الأيتام ويوسروا ، أكام واسعة ، فيها أصلال لاسعة ، وأقلام كأنها أزلام ، وفتوى يعمل بها الجاهل فيتوى .

نظيمه :

من ذلك قوله فى الغزل :

لم يبكنى إلا حديث فراقكم	لما أسرّ به إلىّ دموعى
هو ذلك الدر الذى أودعتم	فى مسمعى أجريته من مدمعى

وقوله فى رثاء شيخه أبى مضر منصور المتقدم ذكره :

وقائلة ماهــــذه الدرر التى ... تساقط من عينيك سمطين سمطين

فقلت هو الذى كان قد حشا ... أبو مضر أذنى تساقط من عينى

تصانيفه :

له التصانيف البديعة التى تدل على سعة الباع ، وواسع الاطلاع ، من ذلك ، وهو أجلها تفسير الكشاف ، وهو فيه نسيج وحده لم يؤلف أحد قبله ولا بعده مثله ، حتى ساغ له أن يقول فى وصفه :

إن التفاسير فى الدنيا بلا عــــدد ... وليس فيها لعمرى مثل كشافى

إن كنت تبغى الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافى

والفائق فى غريب الحديث . أطواق الذهب فى المواعظ . مقامات فى المواعظ . شرح هذه المقامات . شافى العىّ من كلام الشافعى . شقائق النعمان فى حقائق النعمان فى مناقب أبى حنيفة . المنهاج فى الأصول . الرائض فى علم الفرائض . المفصل فى النحو ، وقد شرع فى تأليفه فى غرة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، وفرغ منه فى غرة المحرم سنة ٥١٥ .

وقد اعتنى بشرحه خلق كثير منهم المصنف ، والأنموذج فى النحو ، والمفرد والمؤلف فى النحو ، والمحاجاة بالمسائل النحوية ، والأمالى فى النحو شرح أبيات الكتاب ، القسطاس فى العروض ، أساس البلاغة فى اللغة ، جواهر اللغة ، مقدمة الأدب فى اللغة ، كتاب الأسماء فى اللغة ، سوائر الأمثال ، المستقصى فى الأمثال ، ربيع الأبرار فى الأدب والمحاضرات ، أعجب العجب فى شرح لامية العرب ، ديوان خطب ، ديوان رسائل ، ديوان شعر .

وفاته :

توفى بقصبة خوارزم ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسائة بعد رجوعه من مكة ، وقد أوصى أن يكتب على لوح قبره :

يامن يرى مدّ البعوض جناحها   فى ظلمة الليل البهيم الأليل

اغفر لعبد تاب من فرطاته   ما كان منـه فى الزمان الأول

ورثاه بعضهم بأبيات من جملتها :

فأرض مكة تذرى الدمع مقلتها   حزنا لفرقة جار الله محمـــود

مجد الدين بن منقذ الشيزرى

المتوفى سنة ٥٨٤

هو مجد الدين مؤيد الدولة بن أسامة بن مرشد بن منقذ أبى المظفر الشَّيْزَرِى (١) الكلبى المالكى، مؤلف كتاب [التفريع فى البديع] رتبه على خمسة وتسعين بابا ، أولها أجناس التجنيس ، وآخرها باب التهذيب والترتيب .

وفاته :

توفى ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

---

(١) منسوب إلى قلعة شيزر بالشام .

أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازى

المتوفى سنة ٦٠٦

هو أبو عبـــد الله محمد بن عمر بن الحسين الطبرستانى الرازى الملقب فخر الدين المشهور بابن الخطيب ، الفقيه الشافعى الفريد فى عصره ، الفائق أهل زمانه فى علم الكلام والعلوم العقلية والنقلية .

مولده :

ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة بالرى ، وطلب العلم على والده ، ثم قصد الكمال السمعانى واشتغل عليه مدة ، ثم عاد إلى الرى ، واشتغل على المجد الجليلى ، ثم قصد خوارزم ، وقد مهر فى مختلف الفنون ؛ فاشتد الجدل والبحث بينه وبين أهلها فى المسائل الاعتقادية ، فأخرج من البلد ، ثم قصد ماوراء النهر ، وهناك جرى له مثل ماجرى فى خوارزم ، فعاد إلى الرى ، وكان بها طبيب حاذق ذو ثروة ونعمة ، فزوّج بنتيه لابنى فخر الدين ثم مات الطبيب ، فاستولى فخر الدين على أمواله ، وكثرت لديه النعمة الواسعة ، واتصل بالسلطان محمد بن تكسن المعروف بخوارزم شاه ، فحظى عنده بأسمى المراتب ، ولم يبلغ أحد عنده منزلته .

منزلته وفضله :

كان خطيبا مفوّها ، وواعظا مدرها ، باللسانين العربى والفارسى ، كثير البكاء فى مواعظه ، يسأله أهل المذاهب والنحل بمدينة هراة فيجيبهم بأحسن الجوابات ؛ وبحسن إقناعه رجع خلق كثير من الطائفة الكرامية

إلى مذهب أهل السنة ، ولقب فى هراة شيخ الإسلام ، وقصده العلماء من كل صوب ، وشدت إليه الرحال من جميع الأقطار .

شعره :

له شىء من النظم المتوسط الرتبة ؛ فمن ذلك قوله فى العظة :

نهاية إقـــدام العقول عقال   وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا   وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة   فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها   رجال فزالوا والجبال جبال

ومدحه شرف الدين بن عنين بقصيدة منها :

ماتت به بدع تمادى عمرها   دهراً وكاد ظلامها لاينجلى
فعلا به الإسلام أرفع هضبة   ورسا سواه فى الحضيض الأسفل
لو أن رسطاليس يسمع لفظة   من لفظه لعرته هزة أفكل
ولحار بطليموس لو لاقاه من   برهانه فى كل شكل مشكل
ولو أنهم جمعوا لديه تيقنوا   أن الفضيلة لم تكن للأول

مؤلفاته :

له مؤلفات فى كثير من الفنون ، منها فى البلاغـــة [نهاية الإيجاز فى علوم الإعجاز] رتبها على مقدمة وجملتين ، وهى تلخيص كتابى [أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر] وفى الأدب شرح [سقط الزند] للمعرّى وفى النحو شرح [المفصل] للزمخشرى ، ومؤاخذات جيدة على النحاة ، وتفسير القرآن الكريم ، وقد جمع فيه من الغرائب واللطائف الشىء

الكثير لكنه لم يكمله ، وشرح سورة الفاتحة فى مجلد ؛ وفى علم الكلام المطالب العالية ، ونهاية العقول ، وكتاب الأربعين ، والمحصل ، والبيان ، والبرهان فى الرد على أهل الزيغ والطغيان ، والمباحث العمادية فى المطالب المعادية ، وتهذيب الدلائل ، وعيون المسائل ، إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار ، أجوبة المسائل البخارية ، تحصيل الحق ، الزبدة والمعالم ؛ وفى أصول الفقه المحصول ، والمعالم ؛ وفى الحكمة الملخص ، شرح الإشارات لابن سينا ، شرح عيون الحكمة فى الطلسمات ، السر المكنون ، شرح أسماء الله الحسنى ، مصنف فى علم الفراسة ، مصنف فى مناقب الإمام الشافعى .

وعلى الجملة فإن مؤلفاته جيدة ممتعة رزقت حظوة عند الناس ، وانتشرت فى طول البلاد وعرضها ، واشتغل بها العلماء فى كل صوب ، ورفضوا كتب من تقدمه لما امتازت به من جودة الترتيب وكثرة الفوائد التى لم يسبق إليها ؛ وذكر أبو عبد الله الحسين الواسطى أن فخر الدين أنشد بهراة وهو على المنبر عقب كلام عاتب فيه أهل هذا البلد .

المرء ما دام حيا يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

وفاته :

توفى يوم الاثنين يوم عيد الفطر من سنة ست وستمائة بمدينة هراة ، ودفن آخر النهار فى الجبل المصاقب لقرية مزداخان ، وقد أملى وصية فى مرض موته على تلاميذه تدل على عقيدة حسنة وإيمان كامل .

أبو يعقوب السكاكى(١)

المتوفى سنة ٦٢٦ هـ

هو أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر السكاكى الخوارزمى ، الإمام فى العلوم العربية بيانها وأدبها وعروضها وشعرها ؛ المتكلم الفقيه ، المفتنّ فى علوم شتى ، الذى سارت بفضله الركبان ، واشتهر علمه فى كل مكان ، وفيه يقول محمد بن فضل الله العمرى فى كتابه [المسالك والممالك] : هو ذو علوم سعى إليها فحصل طرائقها ، وحفر تحت جناحه طوابقها ، واهتز للمعانى اهتزاز الغصن البارح ، ولزّ من تقدمه لزّ الجذع الضارح ، فأضحى الفضل كله يزم بعنانه ، ويذم السيف ونصله بسنانه ، ونقل عنه أبو حيان فى الارتشاف فى مواضع شتى من الكتاب ، وكفاه فخراً أنه صاحب المفتاح .

مؤلفاته :

أشهرها مفتاح العلوم فيه اثنا عشر علما من علوم العربية ، وقسمه ثلاثة أقسام : الأول فى علم الصرف . والثانى فى النحو . والثالث فى علوم المعانى والبيان والبديع ؛ ثم ختمه بما يكمل به علم المعانى ، وهو تتبع خواص تراكيب الكلام فى الاستدلال ، وذلك علم المنطق ، ثم مابه يتم الغرض من علم المعانى وهو الكلام فى الشعر ، ثم جعل له خاتمة فى إرشاد الضلال فى دفع مايطعنون به فى كلام رب العزة .

---

(١) قال السيوطى فى لب اللباب فى تحرير الأنساب : السكاكى بالفتح والتشديد ، وسماه أبو حيان فى الارتشاف بابن السكاك والنسبة إلى جده ، وكأنه إلى صنعة السكة التى يضرب بها الدراهم .

وقد أحسن فيه غاية الإحسان ، ودل على ماله من طول الباع ، وسعة الاطلاع ، والفضل الجم ، والدقة فى الرواية ، والألمعية فى الدراية .

مولده :

لم يحفظ لنا التاريخ شيئا عن حياته منذ نشأته ، ولا عن شيوخه الذين تلقى عليهم هذا العلم الغزير ، وإنما حفظ لنا أنه ولد سنة أربع وخمسين وخمسمائة كما قال ياقوت : أو خمس وخمسين كما قاله السيوطى فى البغية .

وفاته :

توفى بخوارزم سنة ست وعشرين وستمائة ، ولم يحفظ شىء من مراثى الشعراء له ، ولا من شعره أو نثره فى غير مؤلفاته .

لا وجه لتقسيمه علوم البلاغة أقساما ثلاثة

ولا لجعله تحسين البديع عرضيا لا ذاتيا

لا نعلم أحداً سبق السكاكى إلى قسمة علوم الفصاحة الأقسام الثلاثة المعروفة ، ولا نرى لهذا التقسيم وجها صحيحا ولا مستندا من رواية ولا دراية؛ فليس هناك جهة للتمايز تفصل كل علم عن قسيميه ، ولا فى أغراض كل علم ولا فى موضوعه ما يجعله وحدة مستقلة عن العلمين الآخرين فى بحوثه ومسائله حتى يمكن الناظر أن يقتنع بوجاهة هذا التقسيم ويبرهن على صحته ، بل على العكس نرى بينها اتصالا وثيقا فى الأغراض والمقاصد ، واتحادا فى جهة البحث ، فلا يمكن فصل بعضها من بعض ، وإن أمكن فعلى نحو آخر غير ما ذكره السكاكى ، ومن اقتفوا أثره ، وساروا على سننه دون أن يدلوا بحجة ناصعة .

وقبل أن نفند ما قالوا ونبين بهرجه وزيوفه ، لا بد من تقدمته لك لتكون على ذُكر منه ، فترى الرد متجها على شىء هو أمام ناظريك ، لا على شىء هو بعيد عن متناول يديك ، لايجول بخاطرك ، وإذ ذاك ترى الحجة واضحة ، ونور الحق ظاهرا ، وتسفر الحقيقة عن وجهها ، ولا تغطيها ظلمة الشبهة ، وصدأ الشك والتقليد .

قال صاحب تلخيص المفتاح الخطيب القزوينى فى تعريف علم المعانى : هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال . قال سعد الدين التفتازانى فى شرحه : وبهذا القيد الأخير خرجت الأحوال التى ليست بهذه الصفة كالإعلال والإدغام والرفع والنصب وما أشبه ذلك مما لابد منه فى تأدية أصل المعنى ، وكذا المحسنات البديعية من التجنيس والترصيع ونحوهما مما يكون بعد رعاية المطابقة ، والمراد أنه علم يعرف به هذه الأحوال من حيث إنها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال لظهور أن ليس علم المعانى عبارة عن تصور معانى التعريف والتنكير والتقديم والتأخير والإثبات والحذف وغير ذلك ، وبهذا يخرج عن التعريف علم البيان إذ ليس البحث فيه عن أحوال اللفظ من هذه الحيثية ؛ والمراد بأحوال اللفظ الأمور العارضة له من التقديم والتأخير والإثبات والحذف وغير ذلك ؛ ومقتضى الحال فى التحقيق الكلام الكلى المتكيف بكيفية مخصوصة ، لا نفس الكيفيات من التقديم والتأخير والتعريف والتنكير ، وإلا لما صح القول بأنها أحوال بها يطابق اللفظ مقتضى الحال ، لأنها عين مقتضى الحال ، وأحوال الإسناد أيضا من أحوال اللفظ باعتبار أن التأكيد وتركه مثلا

من الاعتبارات الراجعة إلى نفس الجملة ، وتخصيص اللفظ بالعربى مجرد اصطلاح ، لأن الصناعة إنما وضعت لذلك .

وقال الخطيب فى تعريف علم البيان : هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق وتراكيب مختلفة فى وضوح الدلالة عليه ، بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة و بعضها أوضح .

قال شارحه : أى هو أصول وقواعد معلومة ، وقوله المعنى الواحد : أى المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال ، وقوله واضح الدلالة : أى والواضح خفىّ بالنسبة للأوضح فلا حاجة إلى ذكر الخفاء ؛ وتقييد الاختلاف بالوضوح ليخرج معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى اللفظ والعبارة ؛ واللام فى المعنى الواحد للاستغراق العرفى : أى كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم و إرادته ، فلو عرف أحد إيراد معنى قولنا زيد جواد بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عالما بالبيان .

وقال فى تعريف علم البديع : هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، ورعاية وضوح الدلالة ، وهى ضربان : معنوى ، ولفظى .

قال شارحه : يعرف : أى يتصور معانيها و يعلم أعدادها وتفاصيلها بقدر الطاقة ، وقوله وضوح الدلالة : أى بالخلوّ عن التعقيد المعنوى ، وفى هذا إشارة إلى أن هذه الوجوه إنما تعد محسنة للكلام بعد رعاية الأمرين ، وقوله معنوى أى راجع إلى تحسين المعنى أولا وبالذات و إن كان قد يفيد بعضها تحسين اللفظ أيضا ؛ ولفظى : أى راجع إلى تحسين اللفظ كذلك ، وها نحن أولاء نبدأ بتفنيد هـــذا التقسيم و بيان خطئه فنقول : أما إن الرواية لا تساعده فلوجوه :

(١) أن المتقدمين الذين كتبوا قبله كأبى هلال فى الصناعتين ، وابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة ، وعبد القاهر فى كتابيه أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز ، لم ينحوا هذا النحو الذى نحاه ؛ فإن الأول جعل كتابه عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة وخمسين فصلا : الأول فى الإبانة عن موضوع البلاغة فى أصل اللغة ، الثانى فى تمييز جيد الكلام من رديئه ، الثالث فى معرفة صنعة الكلام ، الرابع فى البيان عن حسن السبك وجودة الرصف ، الخامس فى ذكر الإيجاز والإطناب ، السادس فى حسن الأخذ وقبحه ، السابع فى التشبيه ، الثامن فى ذكر السجع والازدواج ، التاسع فى شرح البديع ؛ وفيه خمسة وثلاثون فصلا ، العاشر فى مقاطع الكلام ومباديه . والثانى تكلم على تعريف الفصاحة والبلاغة ، وشروط الفصاحة فى اللفظ المفرد وجعلها ثمانية ، وفصاحة المركب ، وجعل من ذلك الخلوص من التنافر ، وعدم التقديم والتأخير ، والقلب ، وحسن الاستعارة ، وعدم الحشو ، وعدم المعاظلة ، وألا يعبر فى المدح بألفاظ الذم ، ولا فى الذم بألفاظ المدح ، وحسن الكناية ، والمناسبة بين الألفاظ إما من طريق الصيغة ، وإما من طريق المعنى (المحسنات اللفظية والمعنوية) وعلى الإيجاز والاختصار ؛ ثم تكلم على المعانى المفردة ، وجعل من ذلك صحة التقسيم ، وصحة التشبيه ، وصحة المقابلة فى المعانى ، والمبالغة فى المعنى ، وإرسال المثل ، وحسن التعليل ، والفرق بين المنثور والمنظوم .

وعبد القاهر فى الدلائل تكلم على كثير من أبواب علم المعانى بحسب اصطلاح السكاكى ، وعلى بعض أبواب من البيان كالكناية والاستعارة والتمثيل ، وعلى بعض أنواع من البديع فتكلم على المزاوجة ، وصحة التقسيم

والجمع ، وسمى الجميع بيانا ، فقال فى أول الكتاب : ثم إنك لاترى علما هو أرسخ أصلا ، وأبسق فرعا ، وأحلى جنى ، وأعذب ورداً ، وأكرم نتاجا ، وأنور سراجا من علم البيان الذى لولاه لم تر لسانا يحوك الوشى ، ويصوغ الحلى ، ويلفظ الدر ، وينفث السحر إلى آخر ما قال فى الصفحة الرابعة وما بعدها .

(٢) أن الزمخشرى : وهو ماهو فى علو كعبه فى البلاغة كثيرا مايسمى هذه العلوم بالبيان ، وأحيانا يسميها بالبديع ؛ إذ يقول عند الكلام على قوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) إنه من الصنعة البديعية .

(٣) أن عبد الله بن المعتز ، وقدامة بن جعفر ، وصاحب الصناعتين ابن رشيق فى العمدة أدخلوا فى البديع مباحث البيان فجعلوا من البديع الاستعارة والمجاز والكناية والتعريض ، وكذا عبد القاهر فى أسرار البلاغة ؛ إذ يقول فى الصفحة الثالثة عشرة : وأما الطباق ، والاستعارة ، وسائر أقسام البديع فكونها معنوية أجلى وأظهر إلى آخر ماقال .

(٤) أن فى قول الخطيب القزوينى فى التلخيص : وكثير من الناس يسمى الجميع علم البيان ، وفى قول شراحه لما فى كل من معناه اللغوى وهو الظهور ، وقوله ومنهم من يسمى الأخيرين علم البيان أى كما وقع للزمخشرى فى الكشاف ، وقوله والثلاثة علم البديع : أى كما يستعمله صاحب الكشاف كثيرا فى تفسيره — دليلا على أن التقسيم إلى معان وبيان وبديع لم يقل به أحد قبل السكاكى إذ لم يصرح بعزوه لأحد .

وأما أن الدراية لاتؤيده فلوجوه أيضا :

(١) أن الثمرة المستفادة من علم المعانى وهى معرفة أحوال اللفظ التى

بها يطابق مقتضى الحال ، تستفاد أيضا من علم البيان والبديع لأنا لانعبر باستعارة ولا كناية إلا إذا اقتضاها المقام ، فنوازن بين عدة تعبيرات ، ونرى أنسبها للحال ، بمراعاة حال السامع أو السامعين فنعبر به ، كما قال عبد القاهر فى الدلائل : إنه إذا أريد إثبات الشىء على جهة الترجيح بين أن يكون ولا يكون عبرت عنه بالتشبيه ، فقلت رأيت رجلا كالأسد ، ولم يكن ذلك من حديث الوجوب فى شىء ، وإذا أردت إثباته على سبيل الوجوب ، وجعلته كالأمر الذى نصب له دليل يقطع بوجوبه ، عبرت بالاستعارة ، وقلت رأيت أسداً ، وذلك أنه إذا كان أسداً ، فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة ، وكالمستحيل أو الممتنع أن يعرى عنها ، وحكم التمثيل حكم الاستعارة ؟ فإنك إذا قلت أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فأوجبت له الصورة التى يقطع فيها بالتحير والتردد كان أبلغ لامحالة من أن تجرى على الظاهر ، فتقول قد جعلت تتردد فى أمرك ، فأنت كمن يقول أخرج أو لاأخرج فيقدم رجلا و يؤخر أخرى ، وكذلك إذا أردت إثبات قضية دون حاجة إلى برهان بأن كان السامع مقتنعاً بصحتها دون أن تزيده تأكيداً فى إثباتها عبرت بالحقيقة فقلت زيد كريم ، وإن رأيت أنه فى شك من صحتها أتيت بالقضية يصحبها دليلها ، وعبرت عن ذلك المعنى بطريق الكناية ، فقلت هو جم الرماد ، فأثبت القرى الكثير من وجه هو أبلغ وأشد فى الإيجاب والإثبات ، وذلك أنك أتيت بالدليل والشاهد على صدق القضية ، فلا يشك فيها ، ولا يظن بالمخبر لها التجوز أو الغلط — ومن كلامه هـــذا تعلم أن هناك أحوالا للمخاطبين تقتضى تعبيرات مختلفة فى الوضوح بعضها آكد من بعض فى الإثبات ؛ كما أن

هناك أحوالا تقتضى الإيجاز فى الكلام حينا ، والإطناب حينا آخر ، والتوكيد طورا وعدمه طورا آخر ؛ فالمطابقة لمقتضى الحال مطلوبة فى مباحث كلا العلمين ، والاختلاف فى الوضوح والخفاء موجود فى مسائلها معا .

(٢) أنه كما يصدق هذا على المعانى والبيان يصدق أيضا على البديع ؛ فالجمال الذى يوجد فى التورية من حيث دقة التعبير ولطفه لا يقل عن الجمال الذى يوجد فى الكناية ، والإبداع الذى يوجد فى الطباق والتقسيم ليس بأقل مما يوجد فى الاستعارة . ودليلنا على ذلك أن عبد الله بن المعتز لما وضع علم البديع جعل من أنواعه الاستعارة والتمثيل والكناية ، وسوّى بينها وبين بقية أنواع البديع التى ذكرها ، وسار على نهجه قدامة وأبو هلال وابن رشيق فلم يقولوا بأن بعضا منها يزيد على بعض فى الفصاحة والبلاغة .

فمن أين أتى السكاكى بهذا التفاوت ، وجعل بعضا منها فيما سماه البيان ، وبعضا فيما سماه البديع ، وبعضا منها تحسينه ذاتى ، وبعضا تحسينه عرضى ؛ وإنا لنعلم أن من كان قبله ليس بأقل منه رسوخا فى نقد الكلام وبيان غثه من سمينه ، وجيده من رديئه ، فكيف قد خفى هذا على جلة العلماء مدى القرون الطوال ؛ فجاء السكاكى وكشفه ، اللهم إنا لا نجد وجها لصحة هذا الكشف الجديد ، ولو كنا وجدناه لما شككنا فى صحته ، إذ لسنا من القائلين بتلك النظرية : ماترك الأول للآخر شيئا ؛ إذ لو صحت مااخترع جديد ، ولا تقدم علم ولا تحسنت صناعة .

(٣) إن مما يدل على أن مباحث هذه العلوم ليست متمايزة ، أن بعض المؤلفين أدخل المجاز العقلى فى علم البيان ، بينما غيرهم أدخله فى المعانى ، كذلك نجد جماعة أدخلوا التذييل والاحتراس والاعتراض والحشو فى البديع ،

وأدمجه غيرهم فى المعانى وجعلوه أقساما للإطناب ، فلو كان هناك حدود واضحة تميز قسما من قسم لما جاء مثل هذا الاختلاط والارتباك فى تفريع هذه المسائل ووضعها فى المواضع المناسبة لها .

(٤) إن الذى ينبغى أن يعوّل عليه فى التقسيم شىء آخر هو ماأفصح عنه عبد القاهر فى الدلائل ، إذ قال فى الصفحة التاسعة والعشرين بعد الثلثمائة : اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم قسمين : قسم تُعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم ؛ فالقسم الأول الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد الاستعارة ، وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر ، فما من ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذا وقع على الصواب ، وعلى ماينبغى أوجب الفضل والمزية ، فإذا قلت هو كثير رماد القدر ، كان له موقع وحظ من القبول لايكون إذا قلت هو كثير القرى والضيافة ، وكذلك إذا قلت رأيت أسداً كان له مزية لاتكون إذا قلت رأيت رجلا يشبه الأسد ويساويه فى الشجاعة ، وكذلك إذا قلت أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى كان له موقع لايكون إذا قلت أراك تتردد فى الذى دعوتك إليه ، كمن يقول أخرج أو لاأخرج فيقدم رجلا ويؤخر أخرى .

وقال فى الصفحة السادسة والأربعين بعد الثلثمائة مثل ذلك ، وقال فى الصفحة الثانية بعد المائتين : الكلام على ضربين ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد ، وضرب آخر لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذى يقتضيه موضوعه

فى اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل ، وقد مضت الأمثلة فيها مشروحة مستقصاة

وقال فى الصفحة الثامنة والسبعين : وجملة الأمر أن هاهنا كلاما حسنه للفظ دون النظم ، وآخر حسنه للنظم دون اللفظ ، وثالثا قرى الحسن من الجهتين ، ووجبت له المزية بكلا الأمرين ، والإشكال فى هذا الثالث ، وهو الذى لاتزال ترى الغلط قد عارضك فيه ، وتراك قد خفت فيه على النظم فتركته ، وطمحت ببصرك على اللفظ ، وقدرت فى حسن كان به ، وباللفظ أنه للفظ خاصة .

ومما تقدم ترى أن هاهنا أساسا لبحث علمين متمايزين ، فنسمى العلم الذي يبحث عن فصاحة النظم علم معانى النحو ، أو علم المعانى على سبيل الاختصار فى التسمية ، والعلم الذى يبحث عن فصاحة اللفظ ، أو عن معنى المعنى بعلم البيان وتكون التسمية مجرد اصطلاح ، وإلا فالكل بحث بيانى.

(٥) إن الذى لفت نظر السكاكى إلى تسمية العلم الأول (علم المعانى) أن عبد القاهر أخذ يبدى ويعيد ويقول : ليست أسرار النظم إلا معانى النحو فاختزل هذا الاسم وسماه (علم المعانى) .

(٦) أن من العجب حقا أن تكون فوائد معرفة علم المعانى معرفة أحوال اللفظ العربى التى يطابق مقتضى الحال ؛ فنعرف المواضع التى يكون فيها الإيجاز والتى يكون فيها الإطناب ، والمواضع التى يؤكد فيها الكلام والمواضع التى لايؤكد فيها ، ولم يكن من فائدته أن ننشىء كلاما مشتملا على الخصوصيات التى تعلمناها من هذا العلم ، بينما نقول إن من فائدة

معرفة علم البيان أننا نستطيع أن نعبر عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة ؛ وإذا ففائدة معرفة هذا العلم إيجابية ، وهى القدرة على إنشاء الكلام العربى الفصيح ، ولكن فائدة معرفة علم المعانى هى مجرد المعرفة فقط ويكون ذلك كافيا ؛ وإن شئنا أنشأنا كلاما فصيحا مطابقا لمقتضى الحال .

وقد كان من الخير أن نجعل الفائدة من معرفة العلم الأول كالفائدة من معرفة العلم الثانى ، والعكس بالعكس ؛ فإما أن نقول : إنه علم يعرف به إيراد الأساليب العربية المختلفة المطابقة لمقتضى الحال بعد النظر فى المقامات واختيار الألفاظ التى تناسب كل مقام منها حتى تكون الألفاظ وفق هذه الأحوال والمقامات ، أو نقول إن علم البيان علم نعرف به الفروق بين الأساليب المختلفة الدالة على المعنى الواحد لنحا كيها عند التعبير عن مثل هذه المعانى ، فنجرى على السنن العربى ونسلك الطريق التى سلكوها ، وبذا يكون توافق بين أغراض العلمين ، لاتخالف بينهما كما هو واضح من النظر فى كلامهم .

وأعجب من هـــذا أن كبار الباحثين من العلماء الذين جاءوا بعد السكاكى لم يتنبهوا لهذه الدقائق ، ولم يعيروها جانبا من العناية ، وقد كانت صفحة وجهها بارزة للناظرين ، ووميض برقها يلمع فى الأفق للباحثين ، فكان يمكنهم أن يمدوا أيديهم إليها ويجتذبوها نحوهم فتكون أطوع لهم من بنانهم ، ولكن شاء الله أن تظهر الحقيقة بعد احتجابها ، وكثيرا ماتحجب الحقائق ثم تسفر ، ويتغطى جمال الحقيقة ثم ينكشف ، تقدست ياذا العلم الكامل ، المطلع على خفايا الأمور ، ولله الحمد على أن علم الإنسان مالم يعلم .

عبد اللطيف البغدادى

المتوفى سنة ٦٢٩ هـ

هو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد موفق الدين البغدادى الشافعى النحوى اللغوى المتكلم الطبيب الفيلسوف .

مولده ونشأته :

ولد ببغداد فى أحد الربيعين سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وتلقى العلم على مشهورى زمانه من أعلام العلماء كأبى زرعة المقدسى وشهدة ، وحدث بمصر والقدس ودمشق و بغداد ، وكان ضليعاً بالأدب والطب وعلم الأوائل .

تواليفــــه :

شرح نقد الشعر لقدامة . اختصار العمدة لابن رشيق . قوانين البلاغة . اختصار كتاب النبات . اختصار كتاب الحيوان . كتاب أخبار مصر الكبير . اختصار كتاب الصناعتين . الرد على الفخر الرازى . تفسير سورة الإخلاص . الواضحة فى إعراب الفاتحة . كتاب الألف واللام . شرح بانت سعاد . ذيل الفصيح لثعلب . شرح الخطب النباتية . مقالة فى العطش . مقالة فى الماء . مقالة فى الحواس . كتاب الشيعة . حواش على كتاب البرهان للفارابى . مقالة فى النفس والصوت والكلام . كتاب فى القياس فى أربع مجلدات . مقالة فى الرد على ابن الهيثم .

غرامه بالرحلة :

رحل إلى مصر وأقام بها مدة ، ثم توجه إلى القدس سنة أربع وستمائة

وكان يدرس بها أنواعا كثيرة من العلوم ، ثم رحل إلى حلب ، ثم قصد بلاد الروم وأقام بها عدة سنين فى خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام ، وكان له منه المرتبات والصلات المتواترة ، وصنف باسمه كتبا كثيرة ، ثم توجه إلى مالطية ، وعاد إلى حلب ، ثم إلى بغداد مريضا .

نثره :

من كلامه : اللهم أعذنا من جموح الطبيعة ، وشموس النفس ، وخذ بنا فى سواء الطريق ، ياهادى العمى ، ويا مرشد الضلال ، ويا محيى القلوب الميتة بالإيمان ، خذ بأيدينا من هفوات الهلكة ، وطهرنا من درن الدنيا الدنيئة بالإخلاص لك ، إنك مالك الدنيا والآخرة . سبحان من عم بحكمته الوجود ، واستحق بكل وجه أن يكون هو المعبود . تلألأت بنور وجهك الآفاق ، وأشرقت شمس معرفتك على النفوس إشراقا وأى إشراق .

وفاته :

توفى ببغداد فى ثانى المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة .

أبو الفتح نصر الله ضياء الدين ابن الأثير

المتوفى سنة ٦٣٧ هـ

هو أبو الفتح نصر الله بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيبانى الجزرى الملقب بابن الأثير وزير الملك الأفضل ابن صلاح الدين الكاتب الناثر صاحب التصانيف البديعة والتوليد والاختراع فى رسائله .

مولده ونشأته :

ولد بجزيرة ابن عمر قرب الموصل ونشأ بها ، ثم انتقل مع والده إلى

الموصل ، وبها اشتغل بطلب العلم وحفظ الكتاب الكريم وطرفا صالحا من السنة ، كما حدث عن نفسه فى كتابه المسمى بالوشى المرقوم . قال : وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة مالا يحصى كثرة ، ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين أبى تمام والبحترى وشعر المتنبى ، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة ، وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين ، حتى تمكنت من صوغ المعانى ، ينبغى للكاتب أن يجعل دأبه فى الترسل حل المنظوم ، ويعتمد عليه فى هذه الصناعة .

رحيله إلى مصر :

لما تمكن فى فن الترسل والكتابة قصد إلى صلاح الدين الأيوبى ملك مصر سنة ٥٨٧ فجعله القاضى الفاضل وزير صلاح الدين من كتاب الديوان ، ثم استوزره ولده الملك الأفضل نور الدين بمملكة دمشق ، فصار عليه الاعتماد ، وإليه ينتهى الإصدار والإيراد ، ثم اتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب ، ولكن لم يطل مقامه عنده ، فعاد إلى الموصل ، وصار كاتبا لصاحبها ناصر الدين محمود بن الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان .

رسائله :

كان يعارض فى رسائله الوزير القاضى الفاضل صاحب الطريقة الفاضلية الجامعة بين الترسل والازدواج والسجع والتضمين وإرسال المثل ، وكان بينهما مكاتبات ومجاوبات ، فإذا أنشأ رسالة حاكاه وصنع مثلها ، ولكن : [illegible]

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم

وله من رسالة يصف فيها الديار المصرية ، ومن جملتها فصل فى وصف نيلها إبان زيادته : وعذب رضابه فضاهى جنى النحل ، واحمر صفيحة ، فقلت إنه قتل المحل ، وقد أخذه من قول بعض العرب :

لله قلب مايزال يروعه   برقُ الغمامة منجدا أو مغورا
ما احمرّ فى الليل البهيم صفيحة   متبحرا إلا وقد قتل الكرى

ومثله قول عبد الله بن المعتز فى غلام أرمد :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم   من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت   والدم فى النصل شاهد عجب

وله من رسالة فى ذكر العصا التى يتوكأ عليها الشيخ الكبير — وهذى لمبتدأ ضعفى خبر ، ولقوس ظهرى وتر ، وإن كان إلقاؤها إقامة فإن حملها دليل السفر .

شعره :

ليس له من النظم مايستحق أن يفرد بالذكر ؛ فمن ذلك قوله :

ثلاثة تعطى الفرح   كأس وكوب وقدح
ما ذبح الزق لها   إلا وللهمّ ذبح

تواليفه :

له من التآليف التى تدل على ماله من عظيم الفضل ، وكبير النبل ، وسعة المتبحر الشىء الكثير ، ومن أجلّها قدرا وأشهرها ذكرا المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ؛ وهو كتاب جمع فأوعى ، فلم يترك شيئا يتعلق بصنعة الكتابة إلا ذكره إلى شذرات منيفة ، وتحقيقات شريفة فى فنون البلاغة لم يقصد لها غيره ممن ألفوا فى علوم البلاغة ، وكتاب الجامع الكبير

فى صناعة المنظوم والمنثور . رتبه على قطبين : الأول فى الأشياء العامة ، الثانى فى الأشياء الخاصة . كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم ، وهو على وجازته غاية فى الفائدة والحسن ، وكتاب المعانى المخترعة فى صناعة الإنشاء وهو فريد فى بابه ، والمختارات من شعر أبى تمام ، والبحترى ، والمتنبى ، وديك الجن فى مجلد واحد ، وديوان ترسل فى عـدة مجلدات . اختصره فى مجلد واحد .

وفاته :

توفى ببغداد ، وقد كان توجه برسالة من صاحب الموصل سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ودفن بمقابر قريش فى الجانب الغربى بمشهد موسى ابن جعفر .

عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكانى
المتوفى سنة ٦٥١

هو عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف ، كمال الدين أبو المكارم ابن خطيب زملكا . قال بهاء الدين بن السبكى : كان فاضلا خبيرا بالمعانى والبيان والأدب — مبرزا فى عدة فنون .

مؤلفاته :

أشهرها كتاب التبيان فى علم البيان (علوم البلاغة) وهو عمدة فى هذا الفن . قال ابن السبكى فى عروس الأفراح إنه أحد الكتب التى رجع إليها حين وضع كتابه. وقال صاحب الطراز فى علوم الإعجاز : إنه رابع أربعة اعتمد عليها عند ماصنف كتابه .

وفاته :

قال فى البغية : توفى بدمشق المحروسة سنة إحدى وخمسين وستمائة .

عبد الوهاب الزنجانى

المتوفى سنة ٦٥٤ هـ

هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجى الزنجانى .

مؤلفاته :

المعيار فى علوم البلاغة ، وكتاب فى العروض والقوافى ، وكتاب متن الهادى وشرحه فى الصرف ؛ أكثر الجاربردى فى شرح الشافية من النقل منه ، وكتاب التصريف المشهور بتصريف العِزّى .

وفاته :

توفى حوالى أربع وخمسين وستمائة .

ابن أبى الأصبع

المتوفى سنة ٦٥٤ هـ

هو أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المعروف بابن أبى الإصبع العدوانى الشاعر المشهور .

مؤلفاته :

أشهرها (بديع القرآن) جمعه من نقد قدامة بن جعفر ، و بديع عبد الله ابن المعتز ، وحلية المحاضرة للحاتمى ، وجعله تتمة لكتابه المسمى ببيان البرهان فى إعجاز القرآن ؛ وقد احتوى على ما اشتمل عليه الكتاب

الكريم من أنواع البديع ، ورتبه على مائة باب وثمانية أبواب ، وقال في أوله هذا كتاب هو وظيفة عمرى ، وثمرة اشتغالى فى إبان شبيبتى ، ومباحثتى فى أوان شيخوختى ، مع كل من لقيت من الفضلاء ، ونبلاء البلغاء فى علم البيان ، وكل من له عناية فى تدبر القرآن ، ونقد ثاقب لجواهر الكلام .

وله كتاب آخر يسمى [تحرير التحبير فى علم البديع] .

وفاته :

توفى بمصر فى الثالث عشر من شوال سنة أربع وخمسين وستمائة .

عز الدين بن أبي الحديد

المتوفى سنة ٦٥٥ﻫ

هو أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن أبى الحديد عز الدين المدائنى المعتزلى الفقيه الشاعر أخو موفق الدين .

مولده ونشأته :

ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة ؛ ولما ترعرع اشتغل بالأدب وفنون العلم المختلفة ، وبرع فى الشعر حتى عد من أعيان الشعراء ، وله ديوان شعر مشهور .

تواليفـــه :

الفلك الدائر على المثل السائر صنفه فى ثلاثة عشر يوما ؛ ومن حديث ذلك أنه لما تم تصنيف المثل السائر ووصل إلى بغداد ، تصدى لتزييفه

ونقده فى مواطن كثيرة ، وجمع ذلك فى كتاب سماه بهذا الاسم ، فلما اطلع عليه أخوه موفق الدين أبو المعالى كتب إليه :

المثل السائر ياسيدى صنفت فيه الفلك الدائرا
لكن هـذا فلك دائر أصبحت فيه المثل السائرا

ونظم فصيح ثعلب فى يوم وليلة ، وشرح نهج البلاغة فى عشرين جزءا ، وهو مطبوع متداول فى أربع مجلدات ؛ وهو يدل على علم غزير وفقه جمّ وأدب مستفيض ، وقد اقتبس منه الأستاذ الإمام محمد عبده فى تعليقاته على نهج البلاغة ، وله كتاب العبقرىّ الحسان فى التاريخ والأدب أودعه شيئا من ترسلاته وأشعاره ، وكتاب الاعتبار على كتاب الذريعة فى أصول الشريعة للسيد المرتضى ، وكتاب نقض المحصول فى علم الأصول للفخر الرازى ، وشرح المحصل للفخر أيضا ، وهو يجرى مجرى النقض له ، وشرح مشكلات الغرر لأبى الحسن البصرى فى علم الكلام ، وشرح الياقوت لابن نوبخت فى الكلام ، وانتقاد المستصفى فى الأصول للغزالى ، وحواش على كتاب المفصل فى النحو .

شعره :

له الشعر الجيد ، ذو النسج المحكم ، والحوك البديع ، فمن ذلك قوله :

لولا ثلاث لم أخف صرعتى ليست كما قال فتى العبد
أن أبصر التوحيد والعدل فى كل مكان باذلا جهدى
وأن أناجى الله مستمتعا بخلوة أحلى من الشهد
وأن أتيه الدهر كبرا على كل لئيم أصعر الخد
كذاك لا أهوى فتاة ولا خمراً ولا ذا ميعة نهد

يعنى بقوله كما قال فتى العبد طرَفة إذ يقول ، وقد سئل عن لذات الدنيا ؟ فقال : مركب وطىّ ، وثوب بهىّ ، ومطعم شهىّ : وسئل امرؤ القيس؟ فقال: بيضاء رُعبوبه ، بالشحم مكروبه ، بالمسك مشبوبه . وسئل الأعشى فقال: صهباء صافيه، تمزجها ساقيه، من صوب غاديه. قال العكوّك الشاعر فحدثت أبا دُلف العجلى فقال :

أطيب الطيبات قتل الأعادى   واختيال على متون الجياد
ورسول يأتى بوعد حبيب   وحبيب يأتى بلا ميعاد

وحُدِّثَ بذلك حُميد الطوسى فأنشد أبيات طرفة :

ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى   وجدِّك لم أحفل متى قام عوّدى
فمنهن سبق العاذلات بشربة   كُمَيْت متى ما تعلّ بالماء تزبد
وكرّى إذا نادى المضاف محنّبا   كسِيد الغضا نَبَّهتَهُ المتوردِ
وتقصير يوم الدجْن والدجن معجب   ببهكنة تحت الخباء المعمدّ

وفاته :

توفى سنة خمس وخمسين وستمائة ببغداد رحمه الله .

أبو الحسن حازم الأنصارى القرطبى

المتوفى سنة ٦٨٤ هـ

هو أبو الحسن محمد بن حازم الأنصارى القرطبى واحد زمانه فى النثر والنظم واللغة والعروض والبيان . روى عنه أبو حيان النحوى الأندلسى ، وأطنب فى مديحه والثناء عليه .

وقال عنه ابن رشد فى رحلته : هو حبر البلغاء ، وبحر الأدباء ، ذو اختيارات فائقة ، واختراعات رائقة ؛ لانعلم أحدا ممن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع ، ولا أحكم من معاقد البيان ما أحكم من منقول ومبتدع ؛ أما البلاغة فهو بحرها العذب ، والمتفرد بحمل رايتها فى الشرق والغرب ، وأما حفظ لغات العرب وأشعارها ، فهو حماد راويتها ، وحمال أوقارها ، ضرب بسهم فى العقليات ، والدراية أغلب عليه من الرواية .

تصانيفه :

كان جيد التصنيف بارع الخط ، من ذلك كتاب [منهاج البلغاء ، وسراج الأدباء] فى عدة مجلدات ، وكتاب فى العروض والقوافى ، ومنظومة فى النحو ، منها قوله :

إن الكلام هو القول الذى حصلت ... به الإفادة لما تم والتأما

وما ولات ولا للاسم رافعة ... ولا يزال اسم لات الدهر مكتتما

والنصب فى الخبر المنفى يوجبه ... ذوو الفصاحة من أهل الحجاز بما

وينصب الخبر المنفى لات ولا ... والحين فى لات فى الأخبار قد لزما

شعره :

له مقصورة فى الوعظ شرحها الشريف الغرناطى منها قوله :

من ابتغى مالم يقدّر كونه ... له فإن مستحيلا ما ابتغى

قد يدرك الحاجة من لم يسع فى ... طلابها وقد تفوت من سعى

من يرض مخلوقا بما لا يرتضى ... إلهـه فإنه شر الورى

فاعرف سجايا الناس وارق بين من ... قد لان منهم عوده ومن قسا

ومن ذلك قوله :

من قال حسبي من الورى بشر فحسبي الله حسبي الله
كم آية للإله شاهـــدة بأنه لا إله إلا هـــو

وفاته :

مات ليلة السبت رابع عشر من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة.

بدر الدين بن مالك

المتوفى سنة ٦٨٦ ﻫ

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الإمام بدر الدين الدمشقي الشافعي النحوي . قال الصفدي : كان إماما حادّ الخاطر في النحو والمعاني والبيان والبديع والعروض .

مولده ونشأته :

ولد بجيّان بالأندلس، وهاجر مع والده إلى دمشق ، وتلقى العلم عليه ، ووقع بينه و بينه وحشة للهوه ومجونه وعشرة مالا ينبغي لمثله معاشرته ، فترك دمشق ، وسكن بعلبك ، ودرس عليه جماعة من طلبة العلم منهم بدر الدين ابن زيد .

ولما مات والده طلب إليه الرجوع إلى دمشق ، ووُلى وظيفة والده ، وتصدى للاشتغال بالعلم وتصنيف الكتب .

شعره ونثره :

قال في البغية : كان إماما في موادّ النظم من النحو والمعاني والبيان،

لكنه لم يقدر على نظم بيت واحد مع أن والده ذو النظم الرائق ، والشعر الكثير الجيد ؛ كذلك لم يحفظ لنا التاريخ شيئا من الرسائل المستملحة التى تروى لمثله من أهل العقول الراجحة والزعامة العلمية اه .

مؤلفاته :

المصباح في اختصار المفتاح فى علوم البلاغة . روض الأذهان فى البلاغة . شرح الخلاصة . شرح كافية والده . شرح التسهيل ، لم يتمه . شرح الحاجبية . شرح اللمحة . مقدمة فى العروض . مقدمة فى المنطق .

وفاته :

أصابه مرض القولنج ، وما زال به حتى مات يوم الأحد ثامن المحرم من سنة ست وثمانين وستمائة ؛ ودفن فى جمع حافل كان الحزن فيه باديا على الوجوه ، والأسف شديداً على فقده .

قطب الدين الشيرازى

المتوفى سنة ٧١٠ هـ

هو محمود بن مسعود بن مصلح أبو الثناء قطب الدين الشيرازى الملقب (بالعلامة) الشافعى إمام عصره فى المعقول والمنقول .

مولده ونشأته :

ولد بشيراز سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وقرأ على والده وكان طبيباً ، وعلى عمه الزكى والشمس الكتبى ، ثم سافر إلى النصير الطوسى وقرأ عليه ثم سافر إلى بلاد الروم فأكرمه سلطانها ، وولاه قضاء سيواس وملطية ،

ثم قدم الشام ، ثم سكن تبريز ، وقرأ بها العلوم العقلية ، وحدث بكتاب جامع الأصول عن الصدر القونوى عن يعقوب الهمذانى عن المصنف ، وكان يخالط الملوك بلباس الصوفية ، ويجيد لعب الشطرنج ويديمه ، ويتقن الشعوذة ، ويلازم صلاة الجماعة .

تواليفه :

شرح المفتاح ، ويسمى مفتاح المفتاح ، وشرح مختصر ابن الحاجب ، وشرح كلمات ابن سينا ، وغرة التاج فى الحكمة ، وشرح كتاب الأسرار للسهرُوَرْدى ، وكان إذا أتم تصنيف كتاب صام شكرا لله على نعمائه ، ولحذقه فى التصنيف كانت مسوّدته مبيَضّته .

وفاته :

مات فى الرابع عشر من شهر رمضان سنة عشر وسبعمائة .

محمد بن النحوية

المتوفى سنة ٧١٨ هـ

هو محمد بن يعقوب بن إلياس الدمشقى الإمام بدر الدين المعروف بابن النحوية .

مولده ونشأته :

ولد بحماة سنة تسع وخمسين وستمائة ، وأخذ العلم عن الجمال بن واصل والنجم البارزى ، ثم تحول إلى دمشق وأخذ عن جلة علمائها ، وكان خيّراً وقورا كيّسا ذا منزلة رفيعة فى العربية والمعانى والبيان ؛ وقد قيل إن الجلال

القزوينى قابله فى دمشق وسأله عن قول أبى النجم: كله لم أصنع ؛ من جهة تقديم حرف السلب وتأخيره ، فما أجاب بشىء يعتدّ به ، قال الصفَدى : وقد تكلم على هذا كلاما جيدا فى شرحه لكتابه ؛ والسبب فى ذلك أن كل من وضع مصنفا لا يلزمه أن يستحضر الكلام عليه حتى يطلب منه ؛ لأنه حين التصنيف يراجع الكتب المدونة ، ويحرر الكلام ، ثم يشذ عنه .

مؤلفاته :

قال الصفدى: له اليد الطولى فى الأدب . اختصر [المصباح] لبدر الدين ابن مالك فى المعانى والبيان ، وسماه [ضوء المصباح] وشرحه شرحا لطيفا ، وشرح ألفية ابن معط .

وفاته :

توفى فى صفر سنة ثمان عشر وسبعمائة .

محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزوينى

المتوفى سنة ٧٣٩ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر من سلائل أبى دلف العجلى أبو المعالى قاضى القضاة جلال الدين القزوينى الشافعى .

أوصافه :

كان ذكيا فصيحا ، خطيبا مفوّها ، حلو العبارة ، منصفا فى البحث ، أديبا حسن الخط ، جوادا وسيم الطلعة ، كثير البر والإحسان .

مولده :

ولد سنة ست وستين وستمائة ، واشتغل بالفقه ، ثم تولى القضاء ببلاد الروم ، وكانت سنه دون العشرين ، ثم قدم دمشق ، وأتقن الأصول والعربية والمعانى والبيان ، وتولى الخطابة بجامع دمشق ، ثم طلبه ملك مصر الناصر بن قلاون وولاه قاضيا بالشام ، ثم نقل إلى مصر وتولى قضاءها ؛ فصرف أموال الأوقاف على الفقراء وذوى الحاجة ، فعلا صيته ، وارتفعت منزلته بين الناس ، ثم أعيد إلى قضاء دمشق لما نسب إلى أولاده من تجاوز الحد فى اللهو واللعب ، لا سيما ابنه عبد الله الذى كان يتناول من الناس الرشا باسم والده ، فأقام بها قليلا ، ثم مرض بالفالج ، ومات منه .

منزلته لدى الملوك :

كانت له المنزلة الرفيعة التى لم يبلغها مثله لدى سلطان تركى كالسلطان الناصر بن قلاوون . لما له من جمّ الفضائل ، وقوة العارضة ، وحضور البديهة ، وجمال الطلعة ، والخط الحسن ، وله من الوقائع والحوادث معه مايدل على عظيم تبجيله إياه .

شعره :

لم يؤثر عنه أنه قال شيئا من النظيم على علو كعبه فى الأدب ، وأثر عنه بعض خطب منبرية .

مؤلفاته :

منها تلخيص المفتاح فى المعانى ، والبيان ، والبديع ، وهو من أجلّ

مختصراته ؛ وقد اختصره عز الدين بن جماعة ، وأبرويز الرومى ، وزكريا الأنصارى ، ونظمه خضر بن محمد مفتى أماسية ، وسماه [أنبوب البلاغة] وجلال الدين السيوطى ، وسمى نظمه [عقود الجمان] وشرحه ، وعبد الرحمن الأخضرى ، وسمى نظمه [الجوهر المكنون فى الثلاثة الفنون] وزين الدين ابن أبى العز بن طاهر .

أما شراحه وحواشيه، فهى تعدو كل حصر وسيأتى ذكر بعضها بعد، وعلى الجملة فلم يرزق كتاب من الشهرة والحظوة لدى العلماء ما رزقه هذا الكتاب ، وقد شرحه المصنف بشرح سماه [إيضاح التلخيص] قصد به توضيح مختصره ، وضم إليه ماخلا عنه مما تضمنه المفتاح ، وزيادات أخرى من كتابى [دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة] .

ووضع فخر الدين الرازى شرحا لأبيات الإيضاح ، كما وضع أحمد الكاشانى كتاب [حل الاعتراضات التى أوردها صاحب الإيضاح على المفتاح] وله كتاب السور المرجانى من شعر الأرّجانى .

وفاته :

مات بالفالج سنة تسع وثلاثين وسبعمائة فى منتصف جمادى الأولى .

شرف الدين الطيبى

المتوفى سنة ٧٤٣ هـ

هو الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبى (بكسر الطاء) الإمام فى العلوم العربية والعلوم العقلية . قال ابن حجر فى [الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة] : إنه كان آية فى استخراج الدقائق من القرآن الكريم والسنة ، محبًا لنشر العلم على مابه من تواضع جم وحياء شديد .

وكان شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة مبجلا لمن يعرف منه التمسك بأهداب الشريعة ، ذا ثروة موروثه ومكتسبة من التجارة ، لم يزل ينفقها فى وجوه البر حتى افتقر آخر عمره .

مؤلفاته :

له [لطائف التبيان فى المعانى والبيان] وشرحه ، ولم نعلم الطريق التى سلكها حتى نحكم عليه حكما صحيحا ، وشرح الكشاف المسمى [الكشف للكشاف] وهو عمدة المتأخرين من بعده كأبى السعود العمادى والألوسى ، وقد ذكر فى أوائل هذا الشرح أنه تلقى العلم على أبى حفص السهروردى ، وأنه قبيل الشروع فى الشرح رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وناوله قدحا من اللبن فشرب منه .

وفاته :

قضى نحبه وهو متوجه إلى القبلة يوم الثلاثاء ثالث عشر من شعبان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

محمد بن مظفر الخطيبى الخلخالى

المتوفى سنة ٧٤٥ هـ

هو محمد بن مظفر شمس الدين الخطيبى الخلخالى الحجة فى كثير من العلوم العقلية والنقلية .

مؤلفاته :

له كثير من المؤلفات المشهورة : منها شرح التلخيص ، وسماه [مفتاح تلخيص المفتاح] و [شرح المفتاح] .

وفاته :

توفى سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

يحيى بن حمزة العلوى

المتوفى سنة ٧٤٩ هـ

هو يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوى أمير المؤمنين ببلاد اليمن من سنة ٧٢٩ إلى سنة ٧٤٩ .

مؤلفاته :

منها كتاب [الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز] فى ثلاث مجلدات . سهل العبارة . جيد الترتيب ، قال المؤلف : إنه اختاره من أربعة كتب : المثل السائر لضياء الدين بن الأثير ، والتبيان لعبد الواحد ابن عبد الكريم الزملكانى ، والنهاية لابن الخطيب الرازى ، والمصباح لبدر الدين بن مالك .

وله كتاب [الحاصر لفوائد مقدمة ابن طاهر] وهو شرح على مقدمة أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ بن داود المصرى ، وكتاب [الانتصار على علماء الأمصار، فى تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل الأمة] ، وقد صاغه فى ثمانية عشر مجلدا .

وفاته :

مات سنة تسع وأربعين وسبعمائة عليه من الله الرحمة والرضوان .

صفى الدين الحلى (١)

المتوفى سنة ٧٥٠ هـ

هو عبد العزيز بن سرايا بن على صفى الدين الطائى الحلى الإمام البليغ الناثر الناظم المجيد للقصائد المطولة والمقاطيع ، له ألفاظ مصقولة ، ومعان معسولة ، ومقاصد كأنها سهام راشقة أو سيوف مسلولة .

مولده :

ولد بالحلة يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة ورحل إلى مصر فى سنة ست وعشرين وسبعمائة ، واجتمع بالقاضى علاء الدين بن الأثير كاتب السر ومدحه ، ومدح الملك الناصر بقصيدة أزرى فيها بقصيدة المتنبى التى أولها * بأبى الشموس الجانحات غواربا * وهى بديوانه .

مؤلفاته :

[الكافية البديعية] وقد نسج على منوالها كل من جاء بعده من أرباب البديعيات ومنه لحمتها وسداها ، وأولها :

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم　　واقر السلام على عُرْب بذى سلم

ضمنها مائة وخمسين نوعا من أنواع البديع فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم على مثال ماذكره البوصيرى فى بردته وهمزيته ، وله شرحها المسمى [النتائج الإلهية فى شرح الكافية البديعية] .

---

(١) الحلة : قرية قرب بغداد على فرع من نهر دجلة .

شعره :

شعره فى الغزل يعد الغاية التى يتجه إليها كل قاصد ، والكعبة التى يحج إليها كل راغب ، فمن ذلك قوله :

يامن حكت شمس النهار بحسنها ... وبعاد منزلها وبهجة نورها
هلا عدلتِ كعدلها إذ صيرت ... للناس غيبتها بقدر حضورها

وقوله :

قيل إن العقيق يبطل للسحـــر ... بتختيمه لسحر حقيق
وأرى مقلتيك تنفث سحرا ... وعلى فيك خاتم من عقيق

وقوله :

شكوت إلى الحبيب أنين قلبى ... إذا جن الظلام فقال إنا من الأنين
فقلت أظنك غـــير راض ... بما كابدت فيك فقال إنا بمعنى نعم
فقلت أترتضى أن ناء قلبى ... بأثقال الغـــرام فقال إنا إن واسمها

وقوله : وهو من الموشح المضمن الذى افترعه بثاقب فكره ، ولم يسبق إليه ، وقد نحلها بعضهم أبا نواس وليست له :

وحق الهوى ماحلت يوما عن الهوى ... ولكنّ نجمى فى المحبة قد هوى
ومن كنت أرجو وصله قتلنى نوى ... وأضنى فؤادى بالقطيعة والنوى

ليس فى الهوى عجب ... إذ أصابنى النصب
حامل الهوى تعب ... يستفزه الطـــرب

أخو الحب لاينفك صبا متيما ... غريق دموع قلبه يشتكى الظما
لفرط البكا قد صار جلدا وأعظما ... فلا عجب أن يمزج الدمع بالدما

الغرام أنحله ... إذ أصاب مقتله
إن بكى يحق له ... ليس مابه لعب
ألا قل لذات الخال يار بة الذكا ... ومن بضياء الوجه فاقت على ذُكا
شكوت غرامى لورثيت لمن شكا ... وأطلقت دمعى لوشفا الدمع من بكا
فانثنيت ساهية ... والقلوب واهية
تضحكين لاهية ... والمحب ينتحب
أسرَت فؤادى حين أطلقتُ عبرتى ... وبدلتنى من منيتى بمنيتى
ولما رأيت السقم أنحل مهجتى ... تعجبتِ من سقمى وأنكرت قتلتى
صرت إذا بدا ألمى ... عندما أرقت دمى
تعجبين من سقمى ... صحتى هى العجب
تحجبت من عينى فأيقنت بالشقا ... وآنسنى فرط الحجاب من البقا
فلما أميط الستر وارتحت للقا ... غضبت بلا ذنب وغادرتنى لقا
حين ترفع الحجب ... منك يصدر الغضب
كلما انقضى سبب ... منك عاد لى سبب

وله ديوان شعر ثلاث مجلدات جمعه بنفسه ، وكله من عيون الشعر .

وفاته :

كانت وفاته فى أوائل سنة خمسين وسبعمائة رحمه الله وغفر له .

عبد الرحمن عضد الدين

المتوفى سنة ٧٥٦ ﻫ

هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبـــد الغفار الإيجى الشيرازى الملقب

بعضد الدين ، وقاضى القضاة ، وشيخ الإسلام الإمام فى المعقول والمنقول ، العالم بالكلام وأصول الفقه والمعانى والبيان والنحو .

مولده :

ولد بأيج من أعمال شيراز سنة ثمانين وستمائة .

شيوخه :

أخذ عن مشايخ عصره ، ولازم زين الدين الهنكى تلميذ ناصر الدين البيضاوى .

تلاميذه :

أنجب تلاميذ طبقت شهرتهم الخافقين : منهم الشمس الكرمانى ، والضياء العفيفى ، وسعد الدين التفتازانى .

مؤلفاته :

فى علم الكلام : المواقف ، ومختصرها ، والعقائد العضدية .

وفى الأصول شرح مختصر ابن الحاجب ، ورسالة فى الوضع ، ورسالة فى آداب البحث والمناظرة ، والفوائد الغياثية فى علوم المعانى ، والبيان ، والبديع ؛ وهى تلخيص للقسم الثالث من المفتاح ، حاذى فيها الأصل حذو القذة بالقذة ، وقد لخص أمهات المسائل فقط .

وقد شرحها جمع كثير من العلماء أشهرهم :

(١) شرح شمس الدين الكرمانى المتوفى سنة ٧٨٦ ، وسماه [تحقيق الفوائد] .

(٢) شرح شمس الدين محمد بن حمزة الفنرى المتوفى سنة ٨٣٤ .

(٣) شرح محمد بن السيد الشريف الجرجانى المتوفى سنة ٨٣٨ .

(٤) « السيد عيسى بن محمد الصفوى المتوفى سنة ٩٥٥ .

(٥) « المولى أحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٤٨ ، وهو شرح حافل بالفوائد والنقد لشرحى السيد والسعد على المفتاح ، ثم اختصر هذا الشرح .

(٦) شرح العلامة الشريف مير على البخارى المتوفى بالآستانة سنة ٩٥٠ .

(٧) شرح محمد بن حاجى بن محمد البخارى السعيدى الشهير (بقال أقول) فرغ من تأليفه سنة ٧٦٠ ، وأهداه إلى أبى الفوارس شاه شجاع .

(٨) شرح العلامة أحمد الشهير بالأبهرى من علماء القرن الثامن .

(٩) « محمود بن محمد الفاروقى الجونفورى الهندى ، وقد طبع بالهند سنة ١٣٣١ هجرية ، وسيأتى ترجمة مطولة لهؤلاء الشراح بترتيب وفياتهم .

عمله :

ولى القضاء بمدينة سلطانية ، ثم انتقل إلى إيج واتخذها دار إقامته .

محنته ووفاته :

وقع بينه و بين أحمد الأبهرى مؤلف إيساغى فى المنطق منازعات أدت إلى غضب أمير كرمان عليه فحبسه بقلعة دِرَيْميان حتى مات سجينا .

بهاء الدين السبكى

المتوفى سنة ٧٧٣ ﻫ

هو أحمد بن على بن عبد الكافى العلامة بهاء الدين أبو حامد السبكى ابن شيخ الإسلام تقى الدين أبى الحسن السبكى .

مولده ونشأته :

ولد سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وأخذ العلم عن مشيخة عصره — كالبدر بن جماعة والمزّى وأبيه وأبى حيان ، فى جماعة آخرين ، وبرع فى العلم وهو شاب ، وتولى التدريس بمدارس عدة ؛ كالجامع الطولونى ، وجامع الحاكم والشيخونية ، وتولى القضاء نائبا عن أخيه سنة ، ثم ولى قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ، ثم تولى تدريس التفسير بالجامع الطولونى بعد الأسنوى .

كان كريما محبباً للناس لجزيل برّه وصلاته لهم. أعجب به أبوه فمدحه بقوله :

دروس أحمد خير من دروس على　　　وذاك عند على غاية الأمــل

وقوله :

أبو حامد فى العلم أمثال أنجم　　　وفى النقد كالإبريز أخلص فى السبك
فأولهم من إسفرائين نشؤه　　　وثانيهم الطوسى والثالث السبكى

مؤلفاته :

كتاب [عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح] ، وهو شرح ممتع دل به على سعة اطلاعه وغوصه فى العلوم العربية ، ولولا مافيه من استطراد

ممل ، وحشوه بمسائل خارجة من الفن لكان خير شروح التلخيص : لنصاعة عبارته وسهولة أساليبه وذوقه الأدبى ، وعليه حاشية لمحمد ابن أبى بكر عز الدين بن جماعة ، وشرح مطول على مختصر ابن الحاجب فى الأصول ، وشرع فى شرح مطول على الحاوى .

شعره :

له النظم الرائع الجميل ، فمن ذلك قوله يمدح شيخه أبا حيان :

فداكم فؤاد حان للبعد فقده ... وصبٌّ قضى وجدا وماحال عهدُه
وقلب جريح بالغرام متيم ... وطرف قريح طال فى الليل سهده

فرد عليه أبو حيان بقوله :

أبو حامد حتم على الناس حمده ... لما حاز من علم به بان رشده
غذىّ علوم لم يزل منذ نشئه ... يلوح على أفق المعارف سعده
ذكى كأن قد جاحم النار ذهنه ... ذكاء ومن شمس الظهيرة وقده
ومن حاز فى سن البلوغ فضائلا ... زمان اغتذى بالعى والجهل ضده

وفاته :

توفى فى رجب سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمكة رحمه الله .

محمد بن يوسف ناظر الجيش

المتوفى سنة ٧٧٨ هـ

هو محمد بن يوسف بن أحمد الحلبي محب الدين ناظر الجيش ، العالم باللغة العربية وغيرها .

مولده ونشأته :

ولد سنة سبع وتسعين وستمائة بحلب وتلقى العلم بها ، ثم قدم القاهرة ولازم دروس أبي حيان والجلال القزويني والتاج التبريزي ؛ وسمع الحديث من الحجار وغيره ، فمهر في العربيـة وحدث وأفاد ؛ ودرس بالمدرسة المنصورية التفسير ، وكانت له اليد الطولى في فن الحساب ، ثم ولي نظر الجيش فارتفع قدره ، وعلا ذكره ، ونفذت كلمته وكثر بذله وعطاؤه وبعدت همته ؛ وهو على كرمه وجوده كان بخيلا بطعامه حتى إنه كان يقول : إذا رأيت شخصا يأكل طعامي ظننت أنه يضربني بسكين .

مؤلفاته :

شرح تلخيص القزويني — شرح التسهيل لابن مالك إلا قليلا ، وقد عني بتفنيد اعتراضات أبي حيان على ابن مالك .

وفاته :

توفي ثاني عشر من ذي الحجة سنة ثمـان وسبعين وسبعمائة .

ابن جابر الأندلسى

المتوفى سنة ٧٨٠ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن جابر شمس الدين الأندلسى المرى الهوارى الضرير المالكى .

مؤلفاته :

البديعية التى سماها [الحلة السيرا فى مدح خير الورى] وهى المشهورة ببديعية العميان ، وأولها :

بطيبــة انزل ويمم سيد الأمم ... وانشرله المدح وانثر أطيب الكلم

وقد شرحها شهاب الدين أحمد بن يوسف الغرناطى بشرح سماه [طراز الحلة وشفاء الغلة] .

وفاته :

توفى فى شهر جمادى الآخرة سنة ثمانين وسبعمائة .

محمد البابرتى

المتوفى سنة ٧٨٦ هـ

هو محمد بن محمــد أكمل الدين البابرتى [١] الإمام المتبحر الحافظ للحديث وعلومه، الواسع الاطلاع على اللغة العربية والنحو والصرف والبيان.

---

(١) بابرتا : قرية بنواحى بغداد .

مولده ونشأته :

ولد سنة بضع عشرة وسبعمائة ، وجدّ واجتهد فى تحصيل مختلف الفنون فى بلاده ، ثم رحل إلى حلب وأخذ عن علمائها ، ثم ارتحل إلى القاهرة بعد سنة أربعين وسبعمائة ، وأخذ عن شمس الدين الأصفهانى وأبى حيان ، وسمع الحديث من الدلاصى وابن عبد الهادى .

عظم منزلته :

فوّض إليه شيخون إدارة خانقاه وجعله شيخا لها ، وعظمت منزلته لديه ولدى من بعده ، و بلغ من أمره أن كان الظاهر برقوق يجىء إلى نافذة الشيخونية ، و يكلمه وهو راكب و ينتظره حتى يخرج و يركب معه ، وماذاك إلا لعظيم فضله وعلمه ، ووفرة عقله وعزة نفسه ، وعرض عليه القضاء غير مرة فأبى .

مصنفاته :

شرح تلخيص المفتاح للقزوينى ، شرح ألفية ابن معط ، شرح الهداية فى فقه الحنفية ، شرح المنار فى الأصول ، شرح البزدوى فى الأصول ، شرح مختصر ابن الحاجب ، حاشية على الكشاف .

وفاته :

مات ليلة الجمعة تاسع عشر من شهر رمضان سنة ست وثمانين وسبعمائة ، ودفن بالشيخونية ، وحضر جنازته جم غفير من الناس ، واحتفى به السلطان فمن دونه .

محمد بن يوسف الكرمانى

المتوفى سنة ٧٨٦ ﻫ

هو محمد بن يوسف بن سعيد شمس الدين العلامة فى الفقه والحديث والتفسير والأصول والكلام وعلوم العربية ، الكرمانى ثم البغدادى .

مولده ونشأته :

ولد يوم الخميس السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة عشر وسبعمائة ، وتلقى على والده بهاء الدين ، ثم انتقل إلى كرمان وأخذ عن العضد وغيره ، ومهر وفاق أقرانه ، وفضل أهل زمانه ، ثم دخل دمشق ثم مصر وبها قرأ البخارى على ناصر الدين الفارق ، ثم حج ورجع إلى بغداد واستوطنها .

أخلاقه :

كان فيه بشاشة وتواضع للفقراء وأهل العلم ، لايكترث بالدنيا وزخرفها ولا يأبه بأهل السلطان والجاه ، تأتى الملوك إلى بيته يطلبون منه صالح الدعوات .

تواليفه :

شرح الفوائد الغياثية فى علوم البلاغة ، شرح مختصر ابن الحاجب وسماه السبعة السيارة ، شرح الجواهر ، أنموذج الكشاف ، حاشية على تفسير البيضاوى ، وصل فيها إلى سورة يوسف ، رسالة فى الكحل ، شرح المواقف ، شرح البخارى وهو عمدة الشراح الذين جاءوا من بعده كابن حجر والعينى .

وفاته :

توفى بكرة يوم الخميس عاشر المحرم سنة ست وثمانين وسبعمائة هجرية .

شمس الدين القونوى

المتوفى سنة ٧٨٨ هـ

هو محمد بن يوسف شمس الدين القَونوى الحنفى العالم الزاهد الإمام فى فنون كثيرة لاسيما علمى المعانى والبيان ، وخالف علماء الحنفية فى مسائل إذ وجد الحديث يخالفها .

منزلته :

كان ورعا زاهدا لايقبل وظيفة ولا يمكن أولاده من ذلك ، مع حرمة وجاه عند السلاطين والقضاة ، وهم يقصدونه و يعظمونه ولا يلتفت إليهم ويخاطبهم بغليظ القول و يتقبلون ذلك منه . قال تقى الدين السبكى لا أعلم اليوم مثله فى الدين والعلم ، وكان مولعا بالفروسية وآلات القتال ولا يخرج من بيته لجماعة ولا جمعة و بنى له برجا على الساحل .

مؤلفاته :

له مؤلفات تدل على غزارة علمه ودقيق فهمه ، من ذلك : شرح تلخيص المفتاح للقزوينى ، واختصار المفصل للزمخشرى ، ودرر البحار جمع فيه المجمع وزاد مذهب أحمد ، وشرح عمدة النسفى فى أصول الدين .

وفاته :

توفى خامس جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

الموصـــلى

المتوفى سنة ٧٨٩ هـ

هو على عز الدين بن الحسين الموصلى الحنبلى .

مؤلفاته :

البديعية المسماة (التوصل البديع إلى التوسل بالشفيع) وأولها :

براعة تستهل الدمع فى العلَم عبارة عن نداء المفرد العلَم

وله شرح كبير لها يوازن فيه بين بديعيته و بديعيات من قبله .

وفاته :

توفى سنة تسع وثمانين وسبعمائة هجرية .

سعد الدين التفتازانى

المتوفى سنة ٧٩٢ هـ

هو مسعود بن عمر بن عبد الله مسعود التفتازانى الإمام العالم بالعلوم العربية والكلام والأصول والمنطق ، وكان فى لسانه حبسة .

مولده :

ولد بتفتازان وهى بلدة بخراسان فى صفر سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة .

نشأته :

تلقى العلم على العلامة القطب والعضد وغيرهما .

منزلته :

اشتهر ذكره وطار صيته فى الآفاق ، وكان من محاسن الزمان ، وأحد الأعلام والأعيان ، وقد خلد التاريخ ذكره فى بطون الأوراق .

مصنفاته :

له التآليف التى تدل على عظيم قدرته ، ومزيد فطنته وذكائه : منها

الشرحان الكبير والصغير على تلخيص المفتاح أتم الأول بهراة سنة ٧٤٨ ، والثانى سنة ٧٥٦ ، وشرح الرسالة الشمسية المعروف بالسعدية أتمه فى جمادى الآخرة سنة ٧٥٧ بمزارجام ، وحاشية التلويح على التوضيح فى الأصول أتمها فى ذى القعدة سنة ٧٦٨ هـ بتركستان ، وشرح عقائد النسفى أتمه فى شعبان سنة ٧٦٨ هـ ، وحاشية شرح مختصر ابن الحاجب للعضد أتمها فى سنة ٧٧٠ ، ورسالة الإرشاد أتمها فى سنة ٧٧٤ هـ بخوارزم ، والمقاصد وشرحها فى علم الكلام أتمهما فى ذى القعدة سنة ٧٨٤ بسمرقند ، وتهذيب المنطق والكلام أتمه فى رجب سنة ٧٨٩ ، وشرح المفتاح أتمه فى شوال من تلك السنة بسمرقند ، ومفتاح الفقه أتمه سنة ٧٧٢ ، وشرح تلخيص الجامع الكبير سنة ٧٨٦ بسرخس ، وحواشى الكشاف أتمها فى الثامن من شهر ربيع الأول سنة ٧٨٩ ، وشرح الزنجانى فى الصرف عمله حين بلغ عمره ست عشرة سنة فى شهر شعبان سنة ٧٣٨ ، وشرع فى تأليف الفتاوى الحنفية يوم الأحد التاسع من ذى القعدة سنة ٧٦٩ .

ملاحظتان :

الأولى — اختلف فى المذهب الذى كان يتعبد عليه ، فطائفة جعلوه حنفيا من جراء تصانيفه فى فقه أبى حنيفة ، ومن هؤلاء ابن نجيم المصرى صاحب البحر الرائق فى فقه الحنفية ، قال : إليه انتهت رياسة الحنفية فى زمانه حتى ولى قضاء الحنفية ، وله تكملة شرح الهداية للسروجى ، وفتاوى الحنفية ، وشرح تلخيص الجامع الكبير .

وطائفة جعلوه شافعيا منهم صاحب كشف الظنون ، وحسن جلبى فى حواشيه على المطول والكفوى ، قال: كان التفتازانى من علماء الشافعية وله آثار جليلة فى أصول الحنفية ، والسيوطى فى بغية الوعاة .

الثانية — السيد الشريف وإن فاقه ذكاء وغلبه فى البحث والجدل لا يصل إلى منزلته فى دقة الفكر والغوص على المعانى، وقد كان فى بدء التأليف وأثناء التصنيف يغوص فى بحار تحقيقاته ، ويلتقط الدر من تدقيقاته ، ويعترف برفعة شأنه وجلالة قدره وعلوّ مقامه ، إلا أنه وقعت بينهما منافرة بسبب المناظرة التى كانت فى مجلس تيمورلنك وحل الخلاف محل الوفاق ، والتزم كل منهما تزييف ما قال الآخر .

وقد قال مؤرخ المغرب القاضى عبد الرحمن بن محمد الحضرمى المالكى الشهير بابن خلدون فى مقدمة تاريخه : وقفت بمصر على تآليف متعددة لرجل من عظماء هراة من بلاد خراسان اشتهر بسعد الدين التفتازانى ، تشهد بأن له ملكة راسخة فى علم الكلام وأصول الفقه والبيان ، وفى أثنائها مايدل على أن له اطلاعا على العلوم الحكمية وقدما عالية فى سائر الفنون .

وفاته :

توفى بسمرقند سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة هجرية .

جلال الدين التيزيتى

المتوفى سنة ٧٩٣ هـ

هو جلال بن أحمد بن يوسف التيزيتى المعروف بالتبانى[1] الملقب بجلال الدين .

---

(١) التبانة : خطة معروفة بالقاهرة كان يسكن فيها .

نشأته :

تلقى الحديث على العلاء التركمانى والإتقانى ، والعربية على ابن عقيل وابن هشام وابن أم قاسم .

فضله وعلمه :

برع فى فنون كثيرة ، مع ورع ودين وبر كثير ، وإليه انتهت رياسة الحنفية فى زمانه ، وعرض عليه القضاء مرارا فأبى ، وقال إن هذا يحتاج إلى دُرْبة ومعرفة اصطلاح ولا يكفى فيه العلم وحده .

مؤلفاته :

شرح تلخيص المفتاح ، مختصر شرح البخارى لمغلطاى ، منظومة فى الفقه وشرحها ، شرح المشارق ، شرح المنار فى الأصول ، منع تعدد الجمعة .

وفاته :

توفى بالقاهرة ثالث عشر من رجب سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، عن بضع وستين سنة .

جمال الدين الأقصرائى

المتوفى قبل سنة ٨٠٠

هو محمد جمال الدين بن محمد الأقصرائى .

مؤلفاته :

منها شرح إيضاح القزوينى ، وطريقته فيه أن يكتب الأصل بتمامه

ثم يعلق عليه بكلام أقل منه ، وكانت العادة جارية بأن يكتب المتن بالمداد الأحمر والشرح بالمداد الأسود ، ولما رآه السيد الشريف الجرجانى لم يعجبه وقال (إنه كلحم بقر عليه ذباب) ولما سمع بعض طلبته ذلك قالوا له اذهب تجد تقريره أحسن من تحريره ، فذهب إليـه فى بلده فصادف جنازته حين دخوله بلده ، والتقى هناك المولى محمد الفنارى شمس الدين وارتحلا إلى مصر ، وهناك قرآ على أكمل الدين البابرتى صاحب العناية حاشية الهداية ، ويوجد نسخة مخطوطة من هذا الشرح بدار الكتب المصرية .

وفاته :

لاتعلم سنة وفاته بالضبط ، ولكن المعروف أنه توفى قبل سنة ثمانمائة هجرية .

السيد عبد الله

المتوفى حوالى ثمانمائة هجرية

هو عبد الله العجمى السيد جمال الدين النقردكار (صائغ الفضة) .

مؤلفاته :

له تصانيف مشهورة متداولة بين أيدى الناس ، منها شرح الشافية فى الصرف ألفه للأمير الجانى ، وشرح التلخيص وهو شرح ممزوج بالمتن ألفه للأمير منكلى بغا ، وشرح اللب ، وشرح اللباب .

وفاته :

لاتعلم سنة وفاته بالضبط ، وإنما المعروف أنها كانت حوالى ثمانمائة هجرية .

محمد بن خضر العيزرى

المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

هو محمد بن خضر بن شمرى شمس الدين العيزرى من سلائل عروة ابن الزبير بن العوام القرشى الأسدى .

مولده ونشأته :

ولد بالقدس فى شهر ربيع الأول سنة ٧٢٤ ، ثم ارتحل إلى غزة ، ثم إلى دمشق وتلقى العلم على جلة العلماء فى هذه البلاد ، ثم اشتغل بنشر العلم فى غزة ، وأجازه السراج البلقينى والتاج السبكى .

مؤلفاته :

له كثير من المؤلفات فى مختلف الفنون ، منها مصباح الزمان فى المعانى والبيان وشرحه ، وسلسال الضرَب فى كلام العرب فى النحو ، ودقائق الآثار فى مختصر مشارق الأنوار ، البروق اللوامع فيما أورد على جمع الجوامع للسبكى فى الأصول ؛ ذكر فيه أنه بعث به إلى تاج الدين السبكى مصنفه فأثنى عليه وأجاب عنه ، وتشنيف المسامع فى شرح جمع الجوامع ، توضيح مختصر ابن الحاجب ، بُلْغَة ذوى الخصاصة فى حل الخلاصة لابن مالك ، وسائل الإنصاف فى علم الخلاف ، المناهل الصافية فى حل الكافية

لابن الحاجب ، الغياث فى تفصيل الميراث ، غرائب السير ورغائب الفكر فى علوم الحديث ، الكوكب المشرق فى علم المنطق ، أسنى المقاصد فى تحرير القواعد .

وفاته :

توفى فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانمائة هجرية .

السيد الشريف الجرجانى

المتوفى سنة ٨١٦ هـ

هو على بن محمد بن على المعروف بالسيد الشريف ، والسيد السند ، والسيد الجرجانى : العالم الذى حاز قصب السبق فى التحرير والتحبير ، الفصيح العبارة ، الفارس فى البحث والجدل الحنفى المذهب .

مولده ونشأته :

ولد بجرجان لثمان بقين من شعبان سنة أربعين وسبعمائة ، وصرف أقصى جهده فى العلوم العربية والعقلية والنقلية ، وحضر دروس قطب الدين الرازى بهراة ، وكانت قد كبرت سنه فرآه متوقد الذكاء ، فأشار عليه بأن يذهب إلى أحد تلاميذه المولى مبارك شاه بمصر ، فذهب إليها يصحبه شمس الدين محمد الفنارى ، وبها قرأ على أكمل الدين البابرتى العلوم الشرعية ، وما زال بها حتى فاق الأقران ، وارتفع شأنه ، وقوى سلطانه ، ثم رجع إلى شيراز واتخذها موطنا له ولازم الدرس والاشتغال بالعلم .

ولما ولى تيمور الأعرج السلطنة وقدم شيراز وأمر بالسلب والنهب أعطى السيد الأمان وأكرم وفادته لفضله وعلمه ، ثم التمس منه الرحلة إلى سمرقند فأذن له وأقام بها مدة ملازما الدرس والإفادة .

مناظرة بينه و بين سعد الدين :

جرى بينه و بين سعد الدين مناظرة فى مجلس تيمور (وكان سعد الدين مبجلا مكرما فى مجلسه) فى اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية فى كلام صاحب الكشاف فى قوله تعالى : « أولئك على هدى من ربهم » وكان الحكَم بينهما نعمان الدين أبو عبد الجبار الخوارزم المعتزلى ، فحكم بتفضيل رأى السيد ، واشتهر ذلك بين جمهرة الناس ، فاغتم سعد الدين ، ولم يعش بعد هذه الواقعة إلا قليلا ومات .

مؤلفاته :

تربو مؤلفاته على خمسين مصنفا ، منها حاشية على شرح المطول لسعد الدين على التلخيص انتقد فيها مواضع كثيرة من كلام السعد ، وشرح القسم الثالث من المفتاح ، حاشية على شرح المطالع ، حاشية على شرح حكمة العين ، حاشية على شرح الطوالع ، حاشية على شرح الشمسية للقطب الرازى ، شرح الفرائض السرجية ، رسالة فى الوجود على طريقة الصوفية ، شرح مختصر الأبهرى المعروف بإيساغى ، شرح المواقف للعضد ، حاشية على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب ، رسالة فى المناظرة ، وهى المشهورة بالشريفية ، ورسالة فى تعريف الأشياء وهى المسماة (بالتعريفات للجرجانى) شرح تذكرة الطوسى فى علم الفلك ، حاشية على المشكاة ،

شرح ملخص الجغميني ، شرح حكمة الإشراق ، العوامل الجرجانية ، رسالة فى الوضع ، التلويح والتوضيح ، متن أشكال التأسيس ، شرح قصيدة كعب بن زهير ، مقدمة فى الصرف بالفارسية .

وفاته :

توفى يوم الأربعاء السادس من شهر ربيع الثانى سنة ست عشرة وثمانمائة .

عز الدين بن جماعة

المتوفى سنة ٨١٩ هـ

هو محمد بن أبى بكر بن جماعة عز الدين العالم المفتن الحموى الأصولى المتكلم الجدلى النظار النحوى اللغوى البيانى الجامع لأشتات العلوم ، وفيه يقول ابن حجر مادحا :

وكان من العلوم بحيث يقضى له فى كل فن بالجميع

مولده ونشأته :

ولد بالينبوع سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وحفظ القرآن فى شهر واحد، واشتغل بالعلم فى الكبر ، وأخذ عن السراج الهندى وناظر الجيش وابن خلدون والتاج السبكى والسراج البلقينى ؛ وقد برع فى فنون كثيرة وصار المشار إليه بالبنان فى الديار المصرية والمفاخر به علماء الأعاجم فى كل فن .

مؤلفاته :

جاوزت مؤلفاته الألف ، فإن له فى كل كتاب أقرأه تأليفاً أو تأليفين أو ثلاثة ، مابين شرح مطول ومتوسط ومختصر ، وهى على كثرتها ليس لها حظ من الشهرة ، منها مختصر التلخيص للقزوينى ، حاشية على شرح عروس الأفراح للسبكى، ثلاث حواش على المطول لسعد الدين التفتازانى ، حاشية على المختصر له ، حاشية على شرح ابن الناظم للألفية ، حاشية على شرح التوضيح لابن هشام ، حاشية على مغنى اللبيب ، حاشية على الألفية ، حاشية على شرح الشافية للجار بردى ، مختصر التسهيل ، وسماه (القوانين) شرح علوم الحديث لابن الصلاح ، تخريج أحاديث الرافعى ، مختصر الروض الأنف للسهيلى ، وسماه (نَوْر الروض) الجامع فى الطب ، أوثق الأسباب فى الرمى بالنشاب ، الأمنية فى علم الفروسية .

وفاته :

مات بالطاعون فى جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وثمانمائة ، فعمَّ الحزن عليه .

حيدرة الشيرازى

المتوفى سنة ٨٢٠ هـ تقريبا

هو حيدرة بن أحمد بن إبراهيم الشيرازى الفقيه الحنفى الرحالة .

مولده :

ولد بشيراز سنة ثمانين وسبعمائة ، ورحل إلى كثير من البلدان ، واجتمع بسعد الدين التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى .

فضله :

كان حافظا لـكثير من عيون الشعر ، فصيحا ، حلو المحاضرة ، متقنا للعربية والتركية والفارسية ، مجيداً للموسيقى والألحان وصنف فيهما ، مع ورع جمّ ودين وبرّ .

مؤلفاته :

لانعلم له من المؤلفات سوى شرحه لإيضاح القزوينى ، شرحا ممزوجا بالمتن كشرح الأقصرائى له .

وفاته :

توفى بعد عشرين وثمانمائة هجرية .

محمد بن حمزة الفنارى

المتوفى سنة ٨٣٤ هـ

هو محمد بن حمزة بن محمـــد الرومى شمس الدين الفنارى[1] العالم بالعربية والمعانى والقراءات .

مولده :

ولد فى صفر سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، وأخذ عن الجمال محمد الأقصرائى ، ورحل إلى مصر وأخذ عن أكمل الدين وغيره ، واجتمع به فضلاء عصره وباحثوه فى فنون كثيرة وشهدوا له بالفضل ، ثم رجع

---

(١) نسبة إلى صنعة الفنار ، قاله الـكافيجى .

إلى بلاد الروم فولى قضاء بروسا، وارتفع قدره لدى بنى عثمان، واشتهر ذكره، وشاع فضله، وأثرى جد الثراء .

مؤلفاته :

شرح على الفوائد الغيائية فى علوم البلاغة للعضد، وكتاب فصول البدائع فى أصول الشرائع، وشرح إيساغوجى عمله فى يوم واحد، وتفسير الفاتحة، وشرح الرحبية فى الفرائض وهو من أحسن شروحها، وتعليقات على شرح المواقف، وأنموذج العلوم وهو رسالة فيها مسائل من مائة فن .

وفاته :

توفى فى رجب سنة أربع وثلاثين وثمانمائة هجرية .

تقى الدين بن حجة الحموى

المتوفى سنة ٨٣٧ هـ

هو أبو بكر بن على بن محمد تقى الدين المعروف بابن حجة الحموى .

مؤلفاته :

منها البديعية المسماة (تقديم أبى بكر) وأولها :

لى فى ابتدا مدحكم ياعرب ذى سلم   براعـــة تستهل الدمع فى العلم

وقد شرحها المؤلف بشرح سماه (خزانة الأدب) فرغ من تأليفه فى شهر ذى الحجة سنة ٨٢٦ هـ .

ونقدها أبو بكر بن عبد الرحمن العلوى الحسينى الحضرمى بكتاب سماه (إقامة الحجة على التقى بن حجة) وتكلم على كل بيت منها بما ظهر له، وقد طبع بالهند سنة ١٣٠٥ هجرية .

وفاته :

توفى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة هجرية .

ابن المقرى*

المتوفى سنة ٨٣٧ هـ

هو إسماعيل بن أبى بكر شرف الدين ، المعروف بابن المقرى* الشافعى اليمنى .

مؤلفاته :

منها البديعية المسماة : (بالجواهر اللامعة فى تجنيس الفرائد الجامعة للمعانى الرائعة) وأولها :

شارفتَ ذرعا فذرعن مائها الشبم   وجزت نملا فنم لاخوف فى حرم

وقد جمع فيها مائة وخمسين نوعا من أنواع البديع ، وعمل لها شرحا .

وفاته :

توفى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة هجرية .

محمد بن السيد الشريف

المتوفى سنة ٨٣٨ هـ

هو محمد بن على السيد الشريف الجرجانى ، قرأ على والده وبرع فى علوم كثيرة .

مؤلفاته :

منها شرح الفوائد الغياثية فى المعانى والبيان والبديع ، وأكمل حاشية أبيه على الشرح المتوسط لكافية ابن الحاجب فى النحو ، وشرح الإرشاد فى النحو لسعد الدين التفتازانى ، وتعريب رسالتين كبرى وصغرى لأبيه فى المنطق .

وفاته :

توفى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة هجرية

محمد الطائى البساطى

المتوفى سنة ٨٤٢ هـ

هو محمد بن أحمد الطائى البساطى أبو عبدالله شمس الدين المالكى .

مولده ونشأته :

ولد ببساط[١] سنة ستين وسبعمائة ، ورحل إلى مصر سنة ٧٧٨ ، واشتغل بتحصيل العلم ، فبرع فى فنون كثيرة ، وعاش دهرا بائسا ، ثم واتاه الحظ فتولى التدريس فى مدارس عدة ، ثم تولى القضاء عشرين سنة على الولاء .

مؤلفاته :

حاشية على شرح الإفصاح (المطول) لسعد الدين التفتازانى ، حاشية

---

(١) قرية من قرى أعمال الدقهلية قريبة من فارسكور .

على شرح المطالع للقطب ، حاشية على شرح المواقف للسيد الجرجانى ، نكت على طوالع البيضاوى ، المغنى فى الفقه ، شفاء الغليل فى مختصر خليل فى مذهب مالك .

وفاته :

مات بمرض القولنج يوم الخميس ثانى عشر من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة .

علاء الدين البسطامى

المتوفى سنة ٨٧١ هـ

هو على بن محمد علاء الدين الشاهروزى البسطامى الشهير بمصنفك .

مؤلفاته :

حاشية على شرح السيد الشريف على القسم الثالث من المفتاح ، ذكر فيها أنه ألفها أثناء تدريسه للكتاب ببلدة لارندة ببلاد الترك فى شهر ذى القعدة سنة ٨٤٩ .

وفاته :

توفى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة .

المولى خسرو

المتوفى سنة ٨٨٥ هـ

هو محمد بن فراموز الشهير بالمولى خسرو .

نشأته :

تلقى العلم عن برهان الدين حيدرة الهروى من تلاميذ سعد الدين التفتازانى ، ثم صار مدرسا فى مدة السلطان مراد خان بمدرسة أخيه ، ثم صار قاضيا للعسكر زمن السلطان محمد خان بن مراد خان ، ثم قاضيا للقسطنطينية .

مؤلفاته :

كان واسع المعرفة ، كثير الفضل ، عالما بالعلوم العقلية والنقلية ، ومن مصنفاته متن الغرر وشرحه الدرر فى فقه الحنفية ، وهو كتاب متداول يقرأ فى الأزهر الشريف ، ومرقاة الأصول وشرحه ، وحواش على تفسير البيضاوى ، وحواش على شرح الإفصاح (المطول) لسعد الدين التفتازانى .

وفاته :

توفى بالقسطنطينية ، ثم نقل إلى بروسا سنة خمس وثمانين وثمانمائة .

أبو الليث السمرقندى

المتوفى بعد الخمسين والثمانمائة

هو أبو القاسم بن أبى بكر الليثى المعروف بأبى الليث السمرقندى .

مؤلفاته :

حاشية على الشرح المطول لسعد الدين على تلخيص المفتاح ، رسالة فى الاستعارات وهى المسماة بالسمرقندية ، وقد حازت القبول لدى العلماء ،

فوضعت لها الشروح والحواشى ، ونظمها بعضهم ، واختصرها آخرون ، فمن ذلك :

(١) شرح عصام الدين بن عرب شاه الاسفراييني المتوفى سنة ٩٥١.

(٢) « أحمد الدمنهورى المسمى إيضاح المشكلات المتوفى سنة ١١٩٢ .

(٣) شرح أحمد بن عبد الفتاح الملوى المسمى عقد الدرر البهية المتوفى سنة ١١٨٢ .

(٤) شرح يسمى (أوضح الإشارات إلى رسالة الخواجة أبى القاسم السمرقندى فى الاستعارات) .

حواش على شرح العصام لها

(٥) حاشية على بن صدر الدين بن إسماعيل المعروف بحفيد العصام المتوفى سنة ١٠٠٧ .

(٦) حاشية حسن بن محمد الزيبارى .

(٧) حاشية محمد الشيرانسى .

(٨) حاشية يس بن زين الدين العليمى المتوفى سنة ١٠٦١ .

(٩) حاشية أبى العرفان محمد الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦ .

(١٠) حاشية محمد بن محمد الدلجى الشافعى من علماء القرن الثانى عشر ، سماها غاية الإرادات من تحقيق عصام الاستعارات ، فرغ من تأليفها سنة إحدى وأربعين ومائة وألف .

(١١) حاشية محمد البهوتى الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٨ .

(١٢) حاشية أحمد فوزى من علماء القرن الثالث عشر سماها الحاشية الجديدة على عصام الفريدة .

حواش على شرح الملوى لها

(١) حاشية أبى العرفان الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦ .

(٢) حاشية محمد الأمير المتوفى سنة ١٢٣٢ .

(٣) حاشية أحمد بن زينى دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤ .

(٤) حاشية محمد الدمياطى الشافعى ، المعروف بالخضرى المتوفى سنة ١٢٨٨ .

حواش على السمرقندية

(١) حاشية إبراهيم بن محمد الباجورى المتوفى سنة ١٢٧٦ ، فرغ من تأليفها فى شعبان سنة ١٢٢٦

وقد نظمها أحمد بن عبد الفتاح الملوى ، وأول نظمه :

ومفرد المجاز وهو كلمةٌ   فى غير ما هى له موضوعةْ

ونظمها على منطلا الدمياطى ، وأول نظمه :

حمدا لربى مانح البيان   فاتح باب العلم للأذهان

(١) واختصرها مؤلف لم يعلم اسمه بمختصر سماه (بلوغ الأرب من تحقيق استعارات العرب) .

(٢) واختصرها محمود بن حيدر الحكارى من علماء القرن الحادى عشر .

وفاته

لايعلم بالضبط تاريخ وفاته ، ولكن المعروف أنها كانت فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى .

حسن جلبى (١)

المتوفى سنة ٨٨٦ هـ

هو حسن جلبى بن محمد شاه شمس الدين العالم النحوى المحقق البصير بالمعانى والبيان والتفسير والأصول والفقه .

مولده ونشأته :

ولد ببلاد الروم سنة أربعين وثمانمائة ، واشتغل على علماء عصره ، كالملا فخر الدين وملا خسرو ، وبرع فى علم العربية وأصول الفقه ، ودرس بالمدرسة الحلبية بأدرنة ، وقدم الشام سنة ٨٧٠ وحج مع الركب الشامى ، ثم قدم إلى مصر وقرأ المغنى وصحيح البخارى واستعار منه الجلال السيوطى حاشيته على المطول .

مؤلفاته :

له حواش على المطول ، وحواش على المختصر فى علوم البلاغة ،

---

(١) قال السخاوى : فى الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع : جلبى معناه بالتركية سيدى .

وحواش على شرح المواقف ، وحواش على تفسير البيضاوى ، وحواش على التلويح .

وفاته :

توفى سنة ست وثمانين وثمانمائة ببلاد الروم .

المولى اللطفى

المتوفى سنة ٩٠٠ هـ

هو المولى لطف الله التوقانى ، دخل بلاد الروم وتولى التدريس بمدرسة مراد خان ببروسا زمن السلطان بايزيد ، ثم مدرسة دار الحديث بأردنة .

مؤلفاته :

له حاشية على شرح السيد للمفتاح ، رسالة سماها السبع الشداد تحتوى على سبعة أسئلة وجهها للسيد الشريف الجرجانى ، حواش على حاشية السيد لشرح المطالع .

وفاته :

نسب إلى الإلحاد والزندقة فحكم المولى خطيب زاده بإباحة دمه فقتل سنة تسعمائة هجرية .

حميد الدين

المتوفى سنة ٩٠٨ هـ

هو حميد الدين بن أفضل الدين ، الجامع بين العلوم العقلية والنقلية .

نشأته :

قرأ على أبيه وجدّه واجتهد وحصّل كثيرا من الفنون ، وصار مدرسا بمدينة بروسا ، ثم مدرسا بإحدى المدارس الثمان ، ثم صار قاضيا بالقسطنطينية ، وهو أول قاض بها حين فتحها السلطان محمد خان .

مؤلفاته :

حاشية على حاشية السيد على المطول ، حواش على شرح الطوالع للأصفهانى ، حواش على الهداية فى مذهب الحنفية .

وفاته :

توفى وهو مفتٍ بالقسطنطينية سنة ثمان وتسعمائة .

عبد الرحمن جلال الدين السيوطى

المتوفى سنة ٩١١ هـ

هو عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد جلال الدين السيوطى الأصل الطولونى الإقامة ، الشافعى ، و يعرف بابن الأسيوطى .

مولده ونشأته :

ولد ليلة مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة من أمّ تركية وأب

مصرى ، ونشأ يتيما ، ولما ترعرع وشدا حفظ القرآن الكريم والعمدة والمنهاج والخلاصة ، وبدأ يطلب العلم سنة أربع وستين ، فتلقى عن شيوخ عصره ، فأخذ النحو عن إمام الشيخونية محمد بن موسى الحنفى ، والفقه عن عثمان القسى ، والبلقينى والمناوى والشمنى والكافيجى .

وهاكم ما حدث به السيوطى فى التعريف بنفسه فى كتابه : [حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة] قال :

شرعت فى التصنيف سنة ست وستين وبلغت مؤلفاتى إلى الآن ثلثمائة كتاب سوى ماغسلته ورجعت عنه ، وسافرت بحمد الله إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور ، ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور منها : أن أصل فى الفقه إلى مرتبة الشيخ سراج الدين البلقينى ، وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر ، وأفتيت من مستهل سنة إحدى وسبعين وعقدت إملاء للحديث من مستهل سنة اثنتين وسبعين ، ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع على طريق العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة ، ودون هذه فى المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها الإنشاء والترسل والفرائض ؛ وأما علم الحساب فهو أعسر شىء علىّ وأبعده عن ذهنى ، وقد كملت عندى الآن آلات الاجتهاد بحمد الله ، ولو شئت أن أكتب فى كل مسئلة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها ، لقدرت على ذلك من فضل الله .

وقد كنت فى مبادئ الطلب قرأت شيئا فى علم المنطق ، ثم ألقى الله كراهته فى قلبى وعوضنى الله عنه علم الحديث الذى هو أشرف العلوم ، وهذه أسماء مصنفاتى .

فى التفسير ومتعلقاته :

الإتقان فى علوم القرآن ، الدر المنثور فى التفسير المأثور ، لباب النقول فى أسباب النزول ، مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن ، المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب ، شرح الشاطبية ، فى كتب أخرى صغيرة ذكرها .

فى الحديث ومتعلقاته :

كشف المغطى فى شرح الموطا ، التوشيح على الجامع الصحيح ، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ، عين الإصابة فى معرفة الصحابة ، مرقاة الصعود إلى سنن أبى داود ، تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ، شرح ألفية العراقى ، وتسمى نظم الدرر فى علم الأثر ، اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، مناهج الصفا فى تخريج أحاديث الشفا ، الأساس فى مناقب بنى العباس ، فى كتب ذكرها .

فى الفقه ومتعلقاته :

الأزهار الفضة فى حواشى الروضة ، الأشباه والنظائر ، جمع الجوامع ، شرح الرحبية فى الفرائض ، تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع ، فى كتب أخرى ذكرها .

النحو ومتعلقاته :

شرح الخلاصة الفريدة فى النحو والتصريف والخط ، الفتح القريب ، على مغنى اللبيب ، جمع الجوامع مع شرحه المسمى بهمع الهوامع ، الأخبار المروية فى سبب وضع العربية ، التوشيح على التوضيح ، شذا العرف فى إثبات المعنى للحرف ، السيف الصقيل فى حواشى ابن عقيل ، فى كتب أخرى ذكرها .

الأصول والبيان والتصوف :

شرح لمعة الإشراق فى الاشتقاق ، الكوكب الساطع فى نجم جمع الجوامع ، نكت على التلخيص ، عقود الجمان فى المعانى والبيان وشرحها ، شرح أبيات تلخيص المفتاح ، نكت على حاشية المطول للفنرى ، البديعية المسماة نظم البديع فى مدح خير شفيع وشرحها ، مختصر الإحياء للغزالى ، تشييد الأركان فى ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، فى كتب أخرى .

فى التاريخ والأدب :

تاريخ الصحابة ، طبقات الحفاظ ، طبقات النحاة ، طبقات المفسرين طبقات الأصوليين ، طبقات الكتاب ، تاريخ الخلفاء ، تاريخ مصر والقاهرة ، ديوان خطب ، ديوان شعر ، مختصر معجم البلدان لياقوت ، الشماريخ فى علم التاريخ ، أحاسن الاقتباس فى محاسن الاقتباس ، شرح بانت سعاد ، مختصر شفاء العليل ، هذا كلامه باختصار .

قال السخاوى معاصره فى الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع : إن السيوطى أخذ من كتب مكتبة المحمودية وغيرها كثيرا من تصانيف

المتقدمين التى لاعهد للمصريين بها فى فنون كثيرة ، فغيّر فيها يسيرا وقدم وأخر ونسبها لنفسه ، وهوّل فى مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئا كثيرا ، ونقص السيد والرضى بما لم يبد معه مستندا مقبولا ، وذكر أن تصانيفه زادت على ثلثمائة كتاب ورأيت منها ماهو فى ورقة ، وأما ماهو دون كراسة فكثير .

وفيها مما اختلسه من شيخنا (يعنى ابن حجر) لباب النقول فى أسباب النزول ، وعين الإصابة فى معرفة الصحابة ، النكت البديعات على الموضوعات ، المدرج إلى المدرج ، تذكرة المؤتسى إلى من حدث ونسى ، تحفة النابه بتلخيص المتشابه ، ماروراه الراوون فى أخبار الطاعون ، الأساس فى أخبار بنى العباس ، نشر العبير فى تخريج أحاديث الشرح الكبير .

فكل هذه تصانيف شيخنا ، وليته إذا اختلس لم يمسخها ، ولو نسخها على وجهها لكان أنفع ، وفيها مما هو لغيره الشىء الكثير .

وبالجملة فهوسريع الكتابة أعرفه بالهوس ، ومزيد الترفع حتى على أمه بحيث كانت تزيد فى التشكى منه ، ولازال أمره فى تزايد من ذلك فالله يلهمه رشده . هذا كلامه على مابه من تحامل ظاهر دعت إليه المنافسة والمعاصرة ، وكثيرا ماطمستا فضائل أرباب الحجا ، لاسيما هذا الحافظ الكبير الذى يعد مفخرة مصر والشرق .

وفاته :

توفى رحمه الله سنة إحدى عشرة وتسعمائة .

أسعد بن الناجى

المتوفى سنة ٩٢٢ هـ

هو أسعد بن الناجى بك العالم المدقق .

نشأته :

قرأ على قاسم الشهير بقاضى زاده ، ثم صار مدرسا بمدينة بروسا ، ثم بإحدى المدارس الثمان بالقسطنطينية .

مؤلفاته :

له حواش على شرح المفتاح للسيد الجرجانى ، ونظم النسفية فى علم الكلام .

وفاته :

توفى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة هجرية .

عائشة الباعونية

المتوفاة سنة ٩٢٢ هـ

هى أم عبد الوهاب عائشة بنت يوسف بن أحمد بن خليفة الباعونى الشيخة الصالحة .

مؤلفاتها :

لها بديعيتان إحداهما تسمى بالفتح المبين فى مدح الأمين وأولها :

من مبتدا خبر الجرعاء من إضم   حدّث ولا تنس ذكر البان والعلم

وقد شرحتها والتزمت أن تذكر عند كل محسّن من المحسنات البديعية ماقاله فيه ابن جابر الأندلسى وصفى الدين الحلى وعز الدين الموصلى وابن حجة الحموى فى بديعياتهم ، وكتبت فى آخره : وكان الفراغ من كتابته مع ماأضيف إليه من الكلام على ما اشتملت عليه من الأنواع فى النصف من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وتسعمائة .

وفاتها :

توفيت رحمها الله فى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة هجرية .

زكريا الأنصارى

المتوفى سنة ٩٢٦ ﻫ

هو أبو يحيي زكريا بن محمد الأنصارى الشافعى شيخ الإسلام .

مولده :

ولد بقرية تسمى سنيكة من أعمال الشرقية سنة ٨٢٦ ﻫ .

مؤلفاته :

منها مختصر تلخيص المفتاح وسماه أقصى الأمانى فى علم البيان والبديع والمعانى، حذف منه المسائل المختلف فيها وكذلك الأمثلة والشواهد وما فيه نظر ، ورتبه على مقدمة وثلاثة فنون ، وشرحه بشرح سماه فتح منزل المبانى ، ومتن التحرير وشرحه فى الفقه ، ومتن المنهج وشرحه ، وشرح الروض لابن المقرى ، ولب الأصول ، تلخيص جمع الجوامع وشرحه ،

وشرح شافية ابن الحاجب ، وشرح إيساغوجى فى المنطق ، شرح الجزرية وتعليقات على شرح السيد على المفتاح ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن .

وفاته :

توفى بالقاهرة سنة ست وعشرين وتسعمائة هجرية .

ابن كمال باشا

المتوفى سنة ٩٤٠ هـ

هو أحمد بن سليمان الرومى الشهير بابن كمال باشا، العالم المحقق الكثير التصنيف ، حتى قيل إن مصنفاته تساوى مصنفات الجلال السيوطى كثرة واعتبارا .

نشأته :

أخذ العلم عن أجلاء العلماء فى عصره كالمولى اللطفى والمولى مصلح الدين القسطلانى ، ثم صار مدرسا ثم قاضيا للعسكر زمن السلطان سليم خان ، ثم مفتيا بالقسطنطينية ، ثم جاء إلى القاهرة يصحب السلطان سليم فلقيه أكابر العلماء وناظروه فى مسائل مختلفة من فنون شتى فأعجبوا بفصاحته وأقروا له بالفضل .

مؤلفاته :

منها شرح المفتاح ، وتغيير المفتاح وشرحه ، وتغيير التنقيح وشرحه ، وتغيير السراجية وشرحه ، وحواشى التلويح وشرح الهداية ولم يكمل ،

والإصلاح والإيضاح فى الفقه أولع فيهما بالإيرادات على الوقاية وشرحها لصدر الشريعة ، وأكثرها غير واردة ، ومن ثم لم يشتهر تصنيفه كتصنيف سابقه .

وله رسائل كثيرة فى فنون عدة تزيد على الثلثمائة بعضها بالفارسية وبعضها بالتركية كتاريخ آل عثمان ، وكان فى الديار الرومية كالجلال السيوطى فى البلاد المصرية ، وكانا متعاصرين فكانا جمال ذلك العصر .

وفاته :

مات سنة أربعين وتسعمائة وهو مفت بالقسطنطينية .

عصام الدين

المتوفى سنة ٩٥١

هو إبراهيم بن محمد بن عرب شاه عصام الدين من سلائل أبى إسحق الإسفراييني .

مولده ونشأته :

ولد بإسفرايين (قرية بخراسان) فى مهد العلم إذ كان أبوه وجده قاضيين لأولاد تيمور ، فشب وترعرع على بساط العلماء وحصّل العلم من ينابيعه الفياضة وبذّ الأقران وصار المشار إليه بالبنان .

مؤلفاته :

له التواليف الحسنة فى فنون كثيرة ، منها شرح التلخيص الذى سماه الأطول نقد فيه كثيرا من بحوث سعد الدين التفتازانى فى المطول ، وشرح

على رسالة الاستعارات لأبى الليث السمرقندى المشهورة (بالسمرقندية) والرسالة الفارسية فى البيان ، وعرّبها أحمد المولوى الشهير بمنجم باشا ، وحاشية على تفسير البيضاوى .

وفاته :

خرج فى أخريات حياته من بخارى إلى سمرقند لزيارة العارف بالله خواجه عبد الله النقشبندى فمرض اثنين وعشرين يوما ثم قضى نحبه سنة إحدى وخمسين وتسعمائة ، وكانت سنه اثنتين وسبعين سنة .

عبد الرحمن الأخضرى

المتوفى أواخر القرن العاشر

هو عبد الرحمن بن محمد بن عامر الأخضرى[١] المالكى .

مؤلفاته :

كتاب (الجوهر المكنون فى الثلاثة الفنون) وهو نظم لمتن تلخيص القزوينى ، وهو يشتمل على فنون البلاغة الثلاثة ، وأوله :

الحمد لله البديع الهادى   إلى بيان مهيع الرشاد

وقد شرحه أحمد الدمنهورى بشرح سماه [حلية اللب المصون على الجوهر المكنون] المتوفى سنة ١١٩٢ .

وشرحه العلامة ابن يعقوب المكناسى المتوفى سنة ألف ومائة وثمان .

---

(١) نسبة إلى الجبل الأخضر ببلاد المغرب بولاية طرابلس .

وشرحه العلامة على الغزّى .

ووضع تعليقات على شرح الدمنهورى مخلوف بن محمد البدوى من علماء القرن الثالث عشر .

وله أيضا نظم السلم فى المنطق ، عمله سنة ٩٤١ ، وعمره إحدى وعشرون سنة .

وشرحه أيضا .

وفاته :

توفى فى أواخر القرن العاشر الهجرى .

محي الدين جلبى

المتوفى سنة ٩٥٤ ﻫ

هو محمد بن على بن يوسف بن بالى شمس الدين محمد بن حمزة الفنارى الشهير بمحيي الدين جلبى .

نشأته :

قرأ على أبيه وعلى خطيب زاده ، وصار مدرسا بمدينة بروسة وغيرها ثم قاضيا للعسكر بولاية أناضولى ، ثم بولاية روم إيلى ، وكان عالما فاضلا ورعا .

مؤلفاته :

حاشية على شرح السيد للمفتاح ، وحاشية على الهداية .

وفاته :

توفى سنة أربع وخمسين وتسعمائة هجرية .

عبد الرحيم العباسى

المتوفى سنة ٩٦٣ هـ

هو عبد الرحيم بن أحمد العبادى العباسى .

مؤلفاته :

منها (معاهد التنصيص على شواهد التلخيص) لجلال الدين محمد ابن عبد الرحمن القزوينى ، ذكر فيه معانى الأبيات وتراجم قائليها ، ووضع فى كل فن ما يناسبه من نظائره الأدبية ، ومزج الجد بالهزل .

وقد اختصرها أحمد بن أحمد المعروف بالعجمى الأحمدى الوفائى من علماء القرن الحادى عشر، وفرغ من مختصره سنة ١٠٩٣ .

وفاته :

توفى المؤلف سنة ثلاث وستين وتسعمائة هجرية .

طاشكبرى زاده

المتوفى سنة ٩٦٨ هـ

هو محمد بن أحمد بن مصطفى المولى عصام الدين الشهير بطاشكبرى زاده .

فضله وعلمه :

كان قاضى قضاة العسكر وفرد الدهر المجمع على فضله وبراعته ،

لم ير له نظير فى طلاوة عبارته والتضلع من العربية ؛ حتى قال النجم الغزى: لم أر روميا أفصح منه باللسان العربى ، وكان أولا قاضى حلب ، ثم قاضى دمشق وعامل أهلها بالتجلة والاحترام وسحرهم بحسن معاملته .

مولده ونشأته :

ولد فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعمائة ، ولما ترعرع انتقل إلى أنقرة وشرع فى قراءة القرآن ولقبه والده عصام الدين وكناه بأبى الخير ثم انتقل إلى بروسة ، وسافر والده إلى القسطنطينية وقرأ على علاء الدين اليتيم بعض كتب النحو والصرف .

مؤلفاته :

له من المؤلفات مايزيد على الثلاثين ، منها شرحاه الكبير والمختصر على الفوائد الغياثيــة للعضد ، وثانيهما مطبوع بالأستانة ، ثم الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية ، وهو كتاب لطيف محتو على تراجم جماعة من علماء الروم ومشايخهم مرتب على طبقات من عهد عثمان الغازى جد السلاطين العثمانية

وفاته :

توفى سنة ثمان وستين وتسعمائة ، ورثاه إبراهيم بن عبد الرحمن العمادى بقوله مؤرخا :

ألا إنما الدنيا غرور نعيمها ينغصه أكدارها وزوالهــا
قضى الله للمولى الكمال بما قضى فأرّخ : ديار الروم مات كمالها

ابن قاسم العبادى

المتوفى سنة ٩٩٢

هو أحمد بن قاسم الصباغ العبادى شهاب الدين .

مؤلفاته :

له حاشية على المطول لسعد الدين التفتازانى سماها الحواشى والنكات والفوائد المحررات .

وفاته :

توفى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة هجرية .

يس العليمى الحمصى

المتوفى سنة ١٠٦١ هـ

هو يس بن زين الدين بن أبى بكر الحمصى الشافعى الشهير بالعليمى نزيل مصر ، الإمام البليغ القدوة لأرباب المعانى والبيان .

مولده ونشأته :

ولد بحمص ورحل مع والده إلى مصر ، وبها نشأ وقرأ على الشهاب الغنيمى ، ولازمه فى العلوم العقلية والنقلية ، وتصدر فى الأزهر لإقراء فنون كثيرة وذاع صيته بين العلماء وعكف على التعليم والإفادة ومداومة العبادة ، إلى حلم وتواضع و برّ كثير للطلبة وكلمة مسموعة ، وكان له شغف بالطيب

والغالية فكان إذا دخل الأزهر عبق المسك والعنبر من أرادنه ، فيكون ذلك علامة قدومه .

مؤلفاته :

حاشية على شرح المطول لسعد الدين التفتازانى ، حاشية على المختصر له، حاشية على التصريح لخالد الأزهرى ، حاشية على شرح القطر للفاكهى ، حاشية على شرح التهذيب للخبيصى ، حاشيه على ألفية بن مالك .

شعره :

له شعر من جيد الشعر فى عصره ، فمن ذلك قوله فى الغزل :

فى لحظه سحر فلم أر صارما   فى غمده يفرى سواه فمن أرى
عجبا لغصن البان من أعطافه   فوق الكثيب لبدر تمٍ أثمرا

إلى أن قال :

واللحظ منى حين أبصر خده   فيه الربيع جرى عليه جعفرا
بالطيف قدمنيت لكن بالأذى   أتبعته فسلبت عن عينى الكرا
مازار إلا كى يعاتبنى على   نومى فينفيه ويجنح للسرى

وفاته :

توفى يوم الأحد فى شعبان سنة إحدى وستين وألف رحمه الله .

عبد الحكيم السيالكوتى

المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ

هو الملا عبد الحكيم بن شمس الدين الهندى السيالكوتى ، علامة الهند والإمام فى كثير من الفنون ، كان يصدع بالحق ويجاهر به الأمراء

والعظماء لايخشى فيه لومة لائم ، ذا حظوة عظيمة لدى سلطان الهند خرم شاه جهان ، لايصدر إلا عن رأيه ، ولم يبلغ أحد من علماء الهند من المنزلة فى زمانه مابلغ من علوّ الشأن والرفعة ، ولا انتهى إلى ما انتهى إليه ، فقد حاز العلوم وانفرد بعد أن أفنى كهولته وشيخوخته فى تحصيل العلوم وحل دقائقها ، ومضى من جليها وغامضها إلى حقائقها .

مؤلفاته :

له مؤلفات عدة ، منها حاشية على المطول لسعد الدين ، وحاشية على شرح العقائد النسفية للسعد ، وحاشية على شرح تصريف العزّى للسعد ، وحاشية على تفسير البيضاوى أتم منها بعض سورة البقرة ، وفيها أبحاث قيمة .

وفاته :

توفى سنة سبع وستين وألف هجرية .

البسنوى

المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ

هو محمد بن موسى المعروف بالبسنوى من علماء القرن الحادى عشر .

مؤلفاته :

منها حاشية على شرح السيد الشريف الجرجانى للقسم الثالث من المفتاح ، فرغ من تأليفها سـنة ١٠٤١ ، وكانت وفاته حوالى سبعين وألف هجرية .

أحمد الخفاجي

المتوفى سنة ١٠٦٩

هو أحمد بن محمد الخفاجي المصرى العلامة البليغ ذو النثر الرائع والشعر البديع ، وبهما فاق أهل عصره ، وبذّ الأقران فى ميدان الرهان .

مولده ونشأته :

ولد فى سرياقوس ، وأخذ عن خاله أبى بكر الشنوانى وشيخ الإسلام محمد الرملى والحافظ العلقمى ، ورحل مع والده إلى الحرمين ، ثم إلى القسطنطينية وهى إذ ذاك مليئة بأرباب الفضل والنُّهى من جِلّة العلماء .

نثره :

من ذلك مافى المقامة الساسانية .

حدثنا مالك بن دينار عن مالك بن يسار ، قال : كنت والشباب غرابه لايطار ، وثمراته الجنية تجنى من رياض الأخبار ، أهوى السياحة والناس ناس والديار ديار ، والدهر غِرٌّ لم يفطن لتلون الليل والنهار .

ولم أر يوما فى ظـلام مفارق   شهاب مشيب لاح فى الإثر منقضّا

فسرت فى الأرض لأنظر آثار رحمته ، وأرى مآثر الطراز الأول فى أعلام حلته ، فإن من جَدَّ وجد ، ومن توانى فَقَد فقد ، رافعاً عصا التسيار ، على كامل الاعتبار ، رافضاً الاستراحة فى مهد الدعة ، مشيعا قلباً فارق حبيبا ودعه ، فاطما أملا عن درّ أنس ارتضعه ، أضرب كرة الأرض

بصولجان الهمه ، لا أعبأ بقامة غير قائمة وهمة هِمّة[١] ، أندرع برد الليل ، لأنه أخفى للويل ، وأشق أديم النهار للسير ، ولم أقل ليس للعصا سير ، كهشيم ترفعه أعاصير ريح تدور ، وورق جفّ فألوت به الصَّبا والدَّبور ، حتى كأننى على غصن بانة خضل تثنيه ريح الصبا هنا وهنا ، أوقذى فى عيون البلاد ، أو عير شرود ترميه الروابى والوهاد .

كأنى من الوجناء[٢] فى متن موجة رمتنى بحار مالهن سـواحل

حتى أتيت كورة[٣] خراسان ، فإذا بها قَيل نَصب عِرضه لسهام الهوان ، مقلدا فى ترجيح البخل مذهب سهل بن هارون ، كأنه لم يسمع قوله تعالى : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فطويت حديثه على عَرّه[٤] ، وأتيته لأقف على جَلِيّة أمره ، فلما جست خلال إيوانه، قرأت عنوان حاله على وجوه غلمانه ، وسمعته يقول لمن امترى[٥] أخلاف درته ، وشبع من خُلته[٦] وحَمضه برؤية جِرّته : يا هذا صناعتنا واحدة ، لو لم تدرج من عشك كانت الرحلة فائدة ـ إلى آخر المقامة .

شعره :

من ذلك قوله يمدح محمد بن قاسم الحلبى :

حتام يغـزونى صـدوده والصـبر قد كثرت جنوده

---

(١) الهم والهمة : الشيخ الفانى . (٢) الوجناء : الناقة الشديدة .
(٣) الكورة : الناحية . (٤) العر : العيب والشر .
(٥) امترى : حلب . والأخلاف جمع خلف : وهو حلمة ضرع الناقة .
(٦) والخلة : مافيه حلاوة من النبات . والحمض : ما فيه ملوحة .

لم أدر فاتر جفنه والخصر أسقم أم عهوده
نشوان يعبث بى كما عبثت بآمالى وعوده
لولا مياه الحسن جا لت فيه لاحترقت خدوده
كالصب لولا دمعه يهمى لأحرقه وقوده
يخفى الهوى وعيونه بغرامه المضنى شهوده
يصفو فيحلى ذكر من قد زين الدنيا وجوده
ذاك ابن قاسم الذى ما زال فى تعب حسوده

وقوله فى الحنين إلى مصر وهو ببلاد الغربة :

إن وجدى بمصر وجد مقيم وحنينى كما ترون حنينى
لم يزل فى خيالى النيل حتى زادعن فكرتى ففاضت عيونى

وقوله مضمنا :

يا صاح إن وافيت روضة نرجس إياك فيها المشى فهو محرّم
حاكت عيون معذبى بذبولها (ولأجل عين ألف عين تكرم)

وظائفه :

ولى قاضيا على الروملى ، ثم فى سلانيك ، وعينه السلطان مراد قاضيا للعسكر بمصر ثم استقال وسافر إلى دمشق فحلب فالآستانة .

مؤلفاته :

حاشية على شرح السيد للمفتاح ، موجودة بمسودة المؤلف فى دار الكتب المصرية ، وشفاء الغليل بما فى لغة العرب من الدخيل ؛ جمع فيه طائفة من الألفاظ الدخيلة والمعرّبة، وضمنه مباحث مفيدة (وريحانة الألباء)

كتاب يشـــتمل على تراجم لبعض أدباء عصره ، وشرح درة الغوّاص فى لحن الخواص لأبى القاسم الحريرى ، وحاشية على تفسير البيضاوى، سماها (عناية القاضى) فى ثمان مجلدات ، وحاشية شرح الفرائض، وحاشية على شرح الرضى للكافية ، وشرح الشفا للقاضى عياض فى أربع مجلدات ، والرسائل الأربعين ، والمقامات نسج فيها نسج البديع الهمذانى والحريرى والزمخشرى ، ديوان الأدب وطراز المجالس .

وفاته :

توفى فى رمضان سنة تسع وستين وألف هجرية .

ابن يعقوب المغربى

المتوفى حوالى سنة ١١١٠هـ

هو ابن يعقوب المغربى من أهل مكناسة ببلاد الجزائر من علماء القرن الثانى عشر .

مؤلفاته :

لا نعلم له من المؤلفات سوى شرح مختصر سعد الدين التفتازانى وسماه (مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح) وشرح على الجوهر المكنون للأخضرى ، وهو أحد شروح ثلاثة معروفة لهذا النظم .

وفاته :

لا نعلم تاريخ وفاته بالضبط ، والمعروف أنها حوالى سنة عشر ومائة وألف هجرية .

عبد الغنى النابلسى

المتوفى سنة ١١٤٣

هو عبد الغنى بن إسماعيل الشهير بالنابلسى الحنفى الصالحى .

مؤلفاته :

منها بديعيته المسماة (نسمات الأسحار فى مدح النبى المختار) وأولها :

يا منزل الركب بين البان والعلم   من سفح كاظمة حُيِّيت بالديم

وله شرحها المسمى نفحات الأزهار على نسمات الأسحار فى مدح النبى المختار .

وقد فرغ من تأليفه فى اليوم العاشر من جمادى الأولى سنة ست وسبعين وألف ، والمقصود فى وحدة الوجود ، والفيض الربانى والفتح الرحمانى ، وربع الإفادات فى ربع العبادات فى فقه الحنفية .

وفاته :

توفى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف هجرية .

محمد الحفنى

المتوفى سنة ١١٨١

هو محمد بن سالم بن أحمد الشافعى الشهير بالحفنى ، وبأبى المكارم نجم الدين العارف بالله .

مولده ونشأته :

ولد بجفنة ، قرية بالقرب من بُلبيس من أعمال الشرقية سنة إحدى ومائة وألف ، ورحل إلى القاهرة وأخذ العلم عن جلة العلماء بالجامع الأزهر كالشمس الزيادى ، ومصطفى السيواسى الحنفى الضرير ، والشهاب الملوى وأحمد الجوهرى ، والسيد محمد البُليدى .

تواليفه :

له المؤلفات النافعة فى كثير من الفنون ، منها حاشية على شرح السمرقندى للياسمية فى الجبر والمقابلة ، وحاشية على شرح الرحبية للشنشورى فى الفرائض ، وحاشية على شرح الأشمونى على الألفية ، وحاشية على شرح الهمزية لابن حجر ، وحاشية على رسالة الوضع ، وحاشية على شرح إيساغوجى ، وحاشية على حاشية الحفيد على مختصر سعد الدين التفتازانى.

طريقته :

أخذ الطريقة الخلوتية عن القطب مصطفى بن كمال الدين البكرى وتربى على يديه واشتهرت عنه الطريقة الخلوتية فى مشارق الأرض ومغاربها فى حياته و بعد وفاته :

وفاته :

توفى فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ومائة وألف .

أحمد بن عبد الفتاح الملوى

المتوفى سنة ١١٨١ هـ

هو أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف المجبرى أبو العباس شهاب الدين الشافعى الشهير بالملوى .

مولده ونشأته :

ولد فى الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وألف ؛ ولما أيفع طلب العلم بالجامع الأزهر وأخذ عن جلة شيوخه كأحمد بن الفقيه ، وأحمد ابن الخليفى ، والبشبيشى وغيرهم ، واشتهر ذكره بين جمهور العلماء .

مولفاته :

له التآليف النافعة فى كثير من الفنون ، فمن ذلك شرحان على السمرقندية مختصر ومطول ، ونظمها وشرحها ، ورسالة فى البيان ، وشرح تقريب رسالة ملا عصام فى المجاز ، وشرحان على متن السلم لعبد الرحمن الأخضرى فى المنطق مطول ومختصر ، وشرح الأجرومية ، ونظم الموجهات وشرحها .

وفاته :

كانت وفاته سنة إحدى وثمانين ومائة وألف هجرية .

أحمد الدمنهورى

المتوفى سنة ١١٩٢ هـ

هو أحمد بن عبد المنعم الإمام فى كثير من المعارف معقولها ومنقولها ، شهاب الدين الشافعى الحنفى المالكى الحنبلى كما حدّث بذلك عن نفسه بخطه ، الشهير بالدمنهورى .

مولده ونشأته :

ولد فى حدود التسعين والألف ، ولما ترعرع طلب العلم وأخذه عن مشيخة عصره كالشهاب أحمد الخليفى ، وعبد الجواد الميدانى ، وعبدالوهاب الشنوانى ، وعبد الدائم الأجهورى ، والشهاب المقدسى الحنبلى ، وكان عالما بالمذاهب الأربعة أكثر من أهلها ، وله يد طولى فى كثير من العلوم كالكيمياء والهيئة والطب .

وظائفه :

تولى شيخا للأزهر بعد وفاة الشمس الحفنى .

مؤلفاته :

شرح على الجوهر المكنون للأخضرى فى البلاغة ، سماه حلية اللب المصون على الجوهر المكنون ، فرغ من تأليفه سنة ١١٢٤ ، وشرح على رسالة الاستعارات للسمرقندى ، سماه لقط الجواهر السنية على الرسالة

السمرقندية ، وشرح على سلم المنطق للأخضرى ، وشرح على متن الكافى فى العروض والقوافى ، واختصره فى شرح آخر .

وفاته :

كانت وفاته سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف هجرية .

أحمد السجاعى

المتوفى سنة ١١٩٧ هـ

هو أحمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد السجاعى الشافعى الأزهرى.

مولده ونشأته :

ولد بالقاهرة ونشأ بها ، وقرأ على والده وعلى كثير من مشايخ عصره وتصدى للتدريس وشارك فى كل فن حتى صار من أعيان العلماء .

شعره :

له شعر لا بأس به بالنسبة لأهل عصره ، فمن ذلك قوله :

رام العواذل لا نالوا مرامهم ... منى السلوّ عن المحبوب ذى الكحل
فقلت : كلا ، فقالوا : هل لذا أمد ... فقلت : لازلت حتى ينقضى أجلى

وقوله فى مدح العزلة :

إن البلاء هو اجتماع الناس ... كم أودعوا قلبا عظيم الباس
واعذر هديت من الورى متحذرا ... من شرهم بالله رب الناس

مؤلفاته :

له براعة فى التأليف ، ومعرفة واسعة باللغة العربية ، فمن ذلك رسالة تسمى الإحراز فى أنواع المجاز ، وهى شرح لمنظومته فى أنواع المجاز ، وأولها :

حمدا لربى خالق الحقيقه   كذا المجاز منزل الشريعه

ورسالة تسمى الإعواز فى بيان علامات المجاز على منظومته فى علاقات المجاز المرسل ، وحاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ، وحاشية على شرح محمد بن عبد الرحمن بن عقيل ، وشرح على دلائل الخيرات ، وشرح على أسماء الله الحسنى .

وفاته :

توفى ليلة الاثنين السادس عشر من صفر سنة سبع وتسعين ومائة وألف هجرية

أحمد الدردير

المتوفى سنة ١٢٠١ ﻫ

هو أحمد بن محمد بن أبى حامد العدوى المالكى الخلوتى الشهير بالدردير .

مولده ونشأته :

ولد ببنى عدىّ ، وهى قرية من أعمال أسيوط سنة سبع وعشرين ومائة وألف ، ورحل إلى الأزهر وأخذ عن كبار شيوخه ، وبرع فى كثير من الفنون ، واشتهر صيته لاسيما فى الفقه والكلام والبيان .

مؤلفاته :

له رسالة فى البيان تسمى (تحفة الإخوان فى علم البيان) وشرحها .

وقد وضع أحمد الصاوى المتوفى سنة ١٢٤١ حاشية عليها ، ووضع تقريرا على الحاشية على بن حسين المعروف بالبولاقى من علماء القرن الرابع عشر ، ورسالة فى الاستعارات الثلاث ، والشرح الكبير على متن خليل ، والشرح الصغير لمتنه المسمى أقرب المسالك فى مذهب مالك ، ورسالة فى متشابهات القرآن ، ورسالة فى طريقة حفص ، ورسالة فى المولد الشريف وشرح فى آداب البحث ، ورسالة فى شرح صلاة السيد أحمد البدوى ، وشرح على الشمائل ، والتوجه الأسنى بنظم أسماء الله الحسنى ، ونظم الخريدة السنية وشرحها فى علم الكلام ، وتحفة الإخوان فى آداب أهل العرفان فى التصوف .

شعره :

من ذلك قوله :

من عاشر الأنام فليلتزم   سماحة النفس وذكر اللجاج
وليحفظ المعوج من خُلقهم   أى طريق ليس فيها اعوجاج ؟

وفاته :

توفى بالقاهرة ودفن بخطة الكحكيين ، وكتب على ضريحه تاريخ وفاته بحسابه الجمل (رضى الله عنه) وهو سنة إحدى ومائتين وألف هجرية .

أبو العرفان الصبان

المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ

هو محمد بن على الصبان الشافعى صاحب المؤلفات القيمة فى فنون كثيرة من العلم ، رب النظم الجيد والنثر السهل البديع .

مولده ونشأته :

ولد بالقاهرة وحفظ الكتاب الكريم ، وجدّ واجتهد فى تحصيل العلوم ، واستمع إلى أشياخ عصره ، وجهابذة مصره ، كالملوى والسيد البليدى ، وعبد الله الشبراوى ، وحسن الجبرتى ، وعطية الأجهورى ، حتى صارت له اليد الطولى فى العلوم العقلية والنقلية ، واشتهر بالتحقيق والتدقيق وحسن الحوار والجدل ، وذاع صيته بين العلماء فى مصر والشام .

طرق كسبه وعمله :

كان فى مقتبل عمره مملقا خامل الذكر ، يستجدى مع العفة ويستدرّ من غير كلفة ، اشتغل حينا بالتوقيت بالصلاحية بضريح الإمام الشافعى عند ما جدده عبد الرحمن كتخدا ، وسكن هناك مدة ثم تحول من ذلك ، وعند ما بنى محمد بك أبو الذهب مسجده تجاه الأزهر وظف مؤقتا به وعمر به مكانا بسطحه سكن فيه هو وأولاده ، ثم اشترى له منزلا بحارة الشنوانى ، ثم عرفه قاضى مصر المرسل من البلاد العثمانية فأرسل إليه الهدايا فأثرى ولبس فاخر الثياب ، وركب فاره البغال ، ثم عرفه والى مصر وزاد فى إكرامه ورتب له ما يكفيه كل يوم من بيت المال ومن بيته

الخاص من لحم وسمن وأرز وخبز ، وألبسه الكسى والفراء فازداد وجاهة وشهرة ، وما زالت هذه حاله حتى مات .

شعره :

له الشعر الجيد الذى يمتاز به عن كثير من شعراء عصره ، فمن ذلك قوله فى الغزل :

أهابك أن أجيبك لا لعجز ... ولكن المحبة أخرستنى
وأحتمل المكاره لا لذل ... ولكن الصبابة أحوجتنى
وقدرى لست تجهله ولكن ... غرامى باعنى لك بيع غبن
فكن يابن الأكابر أهل عرف ... ولا تكثر علىّ من التجنى
فلى جسم كساه الشوق سقما ... ولى قلب علاه كل حزن
ولى فى مذهب العشاق حال ... يطول بذكرها شرحى ومتنى

مؤلفاته :

حاز شهرة واسعة ببديع مؤلفاته ، فمن ذلك رسالة قيمة فى البيان شهرت باسم (الرسالة البيانية) علق عليها العلماء عدة حواش منها :

(١) حاشية محمد بن أحمد عليش المالكى المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ .

(٢) حاشية مخلوف بن محمد البدوى المنياوى المتوفى أواخر القرن الثالث عشر .

(٣) حاشية محمد شمس الدين الانبابى شيخ الأزهر المتوفى سنة ١٣١٣ هـ .

وحاشية على شرح العصام على السمرقندية ، وحاشية على مختصر سعد الدين فى المعانى والبيان والبديع ، وحاشيته الذائعة الصيت على شرح الأشمونى للألفية ، ورسالة فى مفعل ، ورسالتان على البسملة : كبرى ، وصغرى وحاشية على شرح الملوى لسلّم الأخضرى فى المنطق ، وحاشية فى آداب البحث ، ومنظومة فى مصطلح الحديث ستمائة بيت ، ومنظومة فى العروض والقوافى وشرحها ، ومنظومة فى أسماء أهل بدر ، ومنظومة فى ضبط رواة البخارى ومسلم ، ومثلثات فى اللغة ، ورسالة فى علم الهيئة .

وفاته :

أصيب فى أخريات حياته بالربو وما زال هـذا الداء ينهك قواه ، والعلة تفتك بجسمه حتى توفى ليلة الثلاثاء من جمادى الأولى سنة ست ومائتين وألف هجرية ، وصلى عليه فى الجامع الأزهر فى جمع حافل من العلماء والرؤساء ودفن بالبستان ، تغمده الله برحمته كفاء خدمته العلم وأهله.

مصطفى البنانى

المتوفى حوالى سنة ١٢٢٠ هـ

هو مصطفى بن محمد بن عبد الخالق البنانى من علماء القرن الثالث عشر .

مؤلفاته :

له حاشية على مختصر سـعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح لجلال الدين القزوينى ، جرد أغلبها من هوامش نسخة شيخه الصبان ،

وفرغ من تجريدها فى العاشر من شهر جمادى الثانية سنة ألف ومائتين وإحدى عشرة هجرية .

محمد بن عرفة الدسوقى

المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ

هو محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقى المالكى الجامع لأشتات الفضائل والمعارف ، المنفرد بتسهيل المعانى ، وتبيين المبانى ، اشتهر فى عصره بحل المشكلات ، وفتح باب المعضلات ، بأسلوب عذب ، وتحرير بديع . وكان درسه مجتمع أذكياء الطلاب والنابغين من ذوى الألباب ، إلى دماثة أخلاق ولين جانب وعدم تصنع وطرح تكلف .

مولده ونشأته :

ولد بدسوق وحضر إلى القاهرة وحفظ القرآن وتلقى العلم على علىّ الصعيدى والدردير وحسن الجبرتى ، وعن الأخير أخذ علم الفلك والهندسة والتوقيت والحكمة برواق الجبرت بالأزهر .

مؤلفاته :

له التآليف السهلة العبارة ، الواضحة الأسلوب ، منها حاشيته[1] على مختصر السعد على تلخيص المفتاح ، وحاشيته على شرح المغنى لابن هشام وحاشية على الرسالة العضدية فى آداب البحث ، وحاشية على شرح الدردير لمتن خليل فى فقه المالكية ، وحاشية على شرح المحلى للبردة ، وحاشية

---

(١) قد اختصرها الحاج على الآقشهرى بن عثمان وطبعت فى الأستانة سنة ١٢٨٠هـ .

على العقيدة الكبرى فى علم الكلام للسنوسى ، وحاشية على شرحه للصغرى .

وفاته :

لم يزل معنيا بالجمع والكتابة والإفادة والإفتاء إلى أن اعتلّت صحته ، وتوفى يوم الأربعاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين وألف هجرية ، وصلى عليه بالجامع الأزهر فى جمع حافل ودفن بقرافة المجاورين ، ورثاه تلميذه حسن العطار بقصيدة منها :

أحاديث دهر قد ألمّ فأوجعا ... وحل بنادى جمعنا فتصدعا
لقد صال فينا البين أعظم صولة ... فلم يخل من وقع المصيبة موضعا

ومنها :

وأبقى بتأليفاته بيننا هدى ... بها يسلك الطلاب للحق مهيعا
وحل بتحريراته كل مشكل ... فلم يبق للإشكال فى ذاك مطمعا

ومنها :

فقدناه لكن نفعه الدهر دائم ... وما مات من أبقى علوما لمن وعى
فجوزى بالحسنى وتوّج بالرضا ... وقوبل بالإكرام ممن له دعا

محمد الأمير

المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ

هو محمد بن محمد بن أحمد الشهير بالأمير العالم الذى لايتعلق بغباره فى علمه وتحقيقه ودقة فهمه :

مولده ونشأته :

ولد فى ذى الحجة سنة أربع وخمسين ومائة وألف من أصل مغربى ، إذ هبط أهله مصر وسكنوا بلدة سنبو من أعمال أسيوط ؛ وفيها ولد المترجم وقدم به والده مصر وهو ابن تسع سنين ، وكان قد حفظ القرآن ، ولما جوّده طلب العلم فى الأزهر وأخذ عن أئمة الأشياخ فيه ، واشتهر فضله وذاع ذكره خصوصا فى بلاد المغرب ، وكانت تأتيه الطلاب من كل فج ، وبعثته البواعث إلى الأستانة مقر الخلافة يومئذ ، فألقى دروسا حضرها أعيان العلماء هناك فأقروا بفضله ، وشهدوا بسعة علمه ، واستجازوه فأجازهم ، وكانت تأتيه الصلات من سلطان المغرب كل عام .

مؤلفاته :

صنف فى كثير من العلوم وكانت تصانيفه موضع الثقة والإجلال لما امتازت به من براعة التحرير وجودة التحقيق ، فمن ذلك :

حاشية على شرح الملوى للسمرقندية ، وإتحاف الإنس فى الفرق بين اسم الجنس وعَلَم الجنس ، وحاشية على مغنى اللبيب لابن هشام ، ومتن المجموع فى مذهب مالك وشرحه وهو من الكتب القيمة فى المذهب أيضا ، وشرح مختصر خليل فى المذهب أيضا ، وحاشية على عبد الباقى على المختصر ، وحاشية على الأزهرية فى النحو ، وحواش على قصة المعراج .

زهده فى الدنيا :

كان زاهدا فى متاع الدنيا ، شديد الرغبة عنها ، عاش ما عاش

وما تهافت على صحبة الحكام ولا داور طغامه الظُّلام ، ولا جهد فى إحراز الجاه ولا جمع الحطام .

شعره :

له النظم المليح ، والذوق الصحيح ، واللسان الفصيح ، فمن ذلك قوله :

يا حسن لون الشمس عند غروبها　　فى روض أنس نزهة للأنفس
فكأنه وكأنهـــا فى ناظرى　　ذهب يجول على بساط سندس

وفاته :

ما زالت الأمراض تنتابه فتضعف قوته وتزيد شكواه ، ولم يزل يتعلل وداعى المنون عنه لا يتحول ، إلى أن توفى يوم الاثنين عاشر ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وألف هجرية ودفن بالصحراء بجوار مدفن عبد الوهاب العفيفى بالقرب من عمارة قايتباى .

حسن العطار

المتوفى سنة ١٢٥٠

هو حسن العطار العالم الكاتب الشاعر .

مولده ونشأته :

ولد بالقاهرة من أبوين مغربيين ، وكان أبوه عطارا ، ورأى هواه إلى طلب العلم فأدخله الأزهر وأخذ عن أئمة أشياخه حتى برع وتعلم كثيرا من الفنون التى كان يولع بها أهل العصر، وأكب على كتب الأدب فأصاب

منها حظا عظيما ، وأجاد النثير والنظيم ، واتصل بالفرنسيين عند ما دخلوا مصر ، وتعلم منهم طرفا من العلوم الكونية ، وعلمهم العربية ، وساح فى كثير من الأقاليم الإسلامية ، وعاد إلى مصر فتولى تحرير (الوقائع المصرية) فى ابتداء ظهورها فى عهد محمد على باشا ، ثم انتهت إليه مشيخة الجامع الأزهر .

مؤلفاته :

حاشية على السمرقندية فى البيان ، حاشية على جمع الجوامع فى الأصول ، حاشية على شرح الأزهرية فى النحو ، ديوان خطب منبرية ، منظومة فى النحو .

نثره :

جمع نثره فى كتاب سماه (إنشاء العطار) من ذلك قوله :

أما بعد : فإن أحسن وشى رقمته الأقلام ، وأبهى زهر تفتحت عنه الأكمام ، عاطر سلام يفوح بعبير المحبة نفحه ، ويشرق فى سماء الطروس صبحه .

سلام كزهر الروض أو نفحة الصبا أو الراح تجلى فى يد الرشأ الألمى

سلام عاطر الأردان ، تحمله الصبا سارية على الرند والبان ، إلى حضرة المخلص الوداد ، الذى هو عندى بمنزلة العين والفؤاد ، صاحب الأخلاق الحميدة ، حلية الزمان الذى حلى به معصمه وجيده ، الذى موصول إحسانه بكل فضل عائد ، كنز المعارف عقد درر الفوائد ؛ الذى إذا أجرى أقلامه فى ميدان الطروس ، أودع فيها من لآلئ البيان مايفعل بالنفوس ، فعل

حميا الكؤوس ، من معان حيرت المعانى[1] ، وفعلت بالألباب ما لا تفعله المثالث والمثانى ، تقف الفصاحة عندها وتقفو حدها .

يلهو بأطراف اليراع فلم يدع قولا يقال ولا بديعا يدّعى

شعره : لم يجمع شعره كما جمع نثره ، فمن ذلك قوله فى الغزل :

أنا راض منك يا كل المنى بالذى تهوى على حكم الغرام
لست أبغى من زمانى حاجة غير أن تحيا سعيدا والسلام

وقوله :

ألزمت نفسى الصبر فيك تأسيا والصبر أصعب ما يقاد نجيبه
وبليت منك بكل لاح لو تَبَدْ دَى نحو طود أثقلته كروبه

* * *

أفلا رثيت لعاشق لعبت به أيدى المنون ونازعته خطوبه
أنت النعيم له ومن عجب تعذْ ذِبه وتمرضه وأنت طبيبه

وفاته :

توفى سنة خمسين ومائتين وألف هجرية .

إبراهيم الباجورى
المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ

هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجورى الشافعى شيخ الجامع الأزهر .

---

(١) يريد علم المعانى .

مولده ونشأته .

ولد بباجور من أعمال المنوفية سنة ١١٩٨ هـ ، ونشأ بحجر والده وأقرأه القرآن وجوّده ، وقدم الأزهر سنة ١٢١٢ ومكث قليلا ثم دخل الفرنسيون مصر سنة ١٢١٣ فهاجر إلى الجيزة ، وأقام بها مدة وجيزة ، وعاد إلى الأزهر سنة ١٢١٦ ، وأخذ العلم عن جهابذة عصره كالعلامة الأمير وعبد الله الشرقاوى والفضالى وحسن القويسنى .

مؤلفاته :

حاشية على متن السمرقندية فرغ من تأليفها سنة ١٢٢٩ فى علم البيان، وشرح نظم الترصيف فى علم التصريف ، وحاشية على الشمائل للترمذى ، وحاشية على مولد المصطفى لابن حجر الهيتمى ، وحاشية على مختصر السنوسى فى المنطق ، وحاشية على متن السنوسية فى علم الكلام ، وحاشية على متن الجوهرة فى الكلام، وحاشية على كفاية العوام فى الكلام، وحاشية على بردة الأبوصيرى ، وحاشية على بانت سعاد ، وحاشية على متن السلم فى المنطق، وحاشية على شرح الشنشورى فى الفرائض ، وحاشية على شرح ابن قاسم فى فقه الشافعى .

دروسه :

كان مداوما للاشتغال بالعلم وتخرّج عليه كثير من نوابغ الأزهر ، وكان يحضر درسه بالأزهر عباس باشا الأول والى مصر، ويجلس على كرسى من كرب النخل فى خارج الدرس ، وبعد انتهائه ينثر النقود على فقراء الطلاب .

مشيخة الأزهر :

تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣ ولم يزل بها حتى كبرت سنه وحدث بالأزهر بعض حوادث اقتضت تعيين أربعة وكلاء للقيام بما تقتضيه أعباء الوظيفة ، برياسة مصطفى العروسى ، وهم : أحمد كبوه العدوى المالكى ، وإسماعيل الحلبى الحنفى ، وخليفة الفشنى الشافعى ، وأحمد الصاوى الشافعى ، وما زالوا على تلك الحال حتى توفى الباجورى سنة ست وسبعين ومائتين وألف هجرية .

محمد الخضرى

المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ

هو محمد الخضرى بن مصطفى الخضرى بن حسن الخضرى الشافعى شيخ العلماء بدمياط .

مولده ونشأته :

ولد بدمياط سنة ١٢١٣هـ ، وكان والده صاحب معامل كبيرة لصناعة الحرير ، وقد عهد إلى صاحب الترجمة الإشراف على العمال وفتح المعامل وإغلاقها صباحا ومساء ، وكان قد اعتاد أن يؤدى صلاة الفجر بمسجد البحر على شاطىء النيل الشرقى ، وهو مسجد كبير تدرس فيه العلوم الدينية والعربية ، وبعد الصلاة يستمع إلى أحد المدرسين حتى يحين وقت فتح المعامل فيذهب إليها ، وما زالت رغبته تزيد فى استماع دروس العلم والتهاون فى أعمال والده حتى برم به وبث شكواه لشيخ العلماء ، فاستدعاه

واختبره فوجده على جانب عظيم من الذكاء ، فأشار على أبيه أن يجعله يتفرغ لدراسة العلم ، فأخذ يدرس على الشيوخ بدمياط ثم سافر إلى القاهرة وطفق يدرس العلم على شيوخ العلماء بالأزهر نحو أربع سنوات مرض بعدها بالحمى وأصيب بسببها بالصمم فعاد إلى دمياط ، ومكث يدرس العلم وحده حتى حصّل قدرا عظيما منه ، واشتهر ذكره وقصده طلاب العلم من كل صوب .

مؤلفاته :

له عدة مؤلفات أشهرها حاشية على شرح ابن عقيل فى النحو ، وحاشية على شرح الملوى على السمرقندية في علم البيان ، وحاشية على شرح الشنشورى فى الفرائض ، وعدة رسائل فى فنون مختلفة ، وكان له اطلاع واسع فى علم الفلك وضع فيه جداول وخرائط .

أعماله :

تولى فى أخريات حياته مشيخة العلماء بدمياط حوالى سنة ١٢٨١ هـ بعد إلحاح شديد عليه من أولى الأمر ، فقبلها مرغما .

صفاته :

كان محبوبا لدى الناس محترما عندهم ، عازفا عن الدنيا وزخرفها ، محبًّا للعلم وأهله .

وفاته :

توفى رحمه الله بدمياط سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف هجرية .

محمد الانبابى

المتوفى سنة ١٣١٢ هـ

هو محمد بن محمد الانبابى المصرى الشافعى شيخ الجامع الأزهر .

مولده ونشأته :

ولد بالقاهرة سنة ١٢٤٠ وابتدأ يطلب العلم على أئمة علماء عصره ، كإبراهيم الباجورى ومصطفى البولاقى وحسن القويسنى ومحمد عليش ، وجدّ واجتهد فى تحصيل المعارف والعلوم العقلية والنقلية حتى برع فيها ، فأجازه شيخه الباجورى وغيره سنة ١٢٦٧ ، فبدأ يفيد الطلاب فى كثير من العلوم فى الكتب المتداولة بالأزهر فى تلك الحقبة ، وكان حسن الأسلوب محيطا بما يحتاج إليه الطالب فى درس المسائل التى يتلقنها منه ، حتى قيل فى مدحه :

ألا قل لآل الفضل طرا وطلاب — إذا رمتمو بالعلم تثقيف ألباب
عليكم بتحصيل الفنون بأسرها — فقد أشرقت للناس بالشمس الانبابى

مؤلفاته :

تقرير على الشرح المطول لسعد الدين ، تقرير على المختصر له ، تقرير على جمع الجوامع ، تقرير على حاشية الصبان على شرح الأشمونى ، تقرير على حاشية السجاعى على شرح ابن عقيل ، تقرير على شرح الشذور ، تقرير على شرح قطر الندى ، تقرير على شرح الأزهرية ، تقرير على شرح الشيخ خالد للأجرومية ، حاشية على الرسالة البيانية للصبان ،

تقرير على حاشية الأمير على الملوى على السمرقندية ، تقرير على حاشية الباجورى على السمرقندية ، تقرير على حاشية الصبان على شرح العصام للسمرقندية ، حاشية على شرح مختصر السنوسى ، تقرير على حاشية الشرقاوى على الهدهدى ، تقرير على حواشى تفسير الجلالين ، تقرير على حاشية العطار على شرح المقولات ، رسالتان كبرى وصغرى فى الكلام على البسملة من الفقه ، رسالتان فى تحقيق الاستعارة فى نحو زيد أسد ، ورسالة فى قولهم : من حفظ حجة على من لم يحفظ .

مشيخة الأزهر :

تولى مشيخة الأزهر مرتين : الأولى سنة ١٢٩٩ فى عهد الخديو توفيق وأقيل منها إثر الحوادث العرابية . والثانية سنة ١٣٠٤ وما زال بها حتى أقيل منها سنة ١٣١٢ هـ .

وفاته :

توفى فى شهر شوال سنة اثنتى عشرة وثلثمائة وألف هجرية .

محمد البسيونى

المتوفى سنة ١٣١٠ هـ

هو محمد البسيونى البيبانى .

مولده ونشأته :

ولد ببلدة بيبان من أعمال كورة البحيرة ، ولما ترعرع وأصبح فى سن الصبا حفظ القرآن الكريم ، ثم تعلم مبادئ العلوم بكفر بولين من بعض

علمائها ، و بعدئذ سافر إلى الأزهر الشريف وتلقى دروس العلوم العربية والشرعية على بعض علماء ذلك العصر ، كالشيخ الحداد والشيخ محمد الأشمونى ، وكان من زملائه فى التحصيل الشيخ حسن الطويل ، ومن تلاميذه الإمام محمد عبده ، والأستاذ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية .

خَلقه وخُلقه :

كان رحمه الله بدينا طويلا فطنا لا تخطئه النكتة البارعة اللاذعة أو الساحرة الساخرة .

وظائفه :

لما أجيز بإقراء الفنون بالأزهر توافر على التدريس به حتى مماته ، يفيد الطلاب من علمه الجم وأدبه الغزير .

وكان مع ذلك يؤدى بعض دروس فى اللغة العربية بمدارس وزارة المعارف ، فتولى التدريس بالمدرسة الخديوية ثم بمدرسة الحقوق ، فدرس فنون البلاغة فى تصنيفه (حسن الصنيع فى المعانى والبيان والبديع) ثم ندب أستاذا لحضرتى صاحبي السمو عباس حلمى ومحمد على ، نجلى الخديو توفيق ، ثم عين مفتيا للأوقاف الخاصة و إماما للخديو توفيق .

شعره :

كان المترجم يقول الشعر ويعرضه على تلميذه أحمد شوقى فيتولى نقده ويشير بمحو هذه الكلمة وتصحيح تلك القافية وحذف هذا البيت ،

والأستاذ يغتبط بقوله وينزل على رأيه ؛ وقد تحدث بنبوغه إلى صاحب العرش وتوسل إليه أن يرسله إلى البلاد الغربية ليتم بها علومه ، فأجابه إلى ما طلب وكان ذلك سببا فى ذيوع صيته وعظيم شهرته .

مؤلفاته :

لم يحفظ لنا من مؤلفاته سوى كتابه (حسن الصنيع فى البيان والمعانى والبديع) وهو يعتبر حسنة من حسنات ذلك العصر الذى لم تكن للمؤلفين فيه وجهة سوى تأليف الحواشى والتقريرات، مع عنايتهم بالبحوث اللفظية ، لا تسهيل العلوم وضبط مسائلها .

وفاته :

توفى سنة ١٣١٠ هـ ألف وثلثمائة وعشر هجرية .

حفنى ناصف

المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ

هو محمد حفنى بن إسماعيل ناصف ، العالم اللغوى الشاعر الناثر .

مولده ونشأته :

ولد بقرية بركة الحج من أعمال القليوبية ، ونشأ يتيما فقيراً ، فكفله خاله وتولاه بحياطته ، ثم دخل كتاب القرية وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ شطرا من القرآن الكريم ، ثم طلب العلم فى الأزهر وجد فى الطلب وحصل كثيرا من الفنون ، ثم دخل مدرسة دار العلوم

وتخرج فيها وكان من نوابغ طلابها ، فعين مدرسا بالمدارس الأميرية ، ثم مدرسا فى مدرسة الحقوق ، فانتهز هذه الفرصة السانحة ودرس علم القانون ، ثم عين قاضيا بالمحاكم الأهلية ، وبقى فى هذا المنصب سنين عدة كان فى أثنائها يدرس الآداب العربية فى الجامعة المصرية ، ثم عين رئيسا لمفتشى اللغة العربية فى وزارة المعارف ، وبقى فيـــه إلى أن أقيل بحكم السن .

فضله وعلمه :

كان رحمه الله واسع العلم بمفردات اللغة وعلومها وآدابها ، حافظا للكثير من جيد منثورها ومنظومها ، محيطا بفنونها وقواعدها ، إلى علمه بسائر العلوم التى كانت تدرس فى الأزهر ودار العلوم ، إلى ذكاء حادّ ، وبديهة حاضرة ، وخفة روح ، ونكتة بارعة ، وتواضع جمّ .

شعره :

كان شعره رصينا سهلا جامعا بين الرقة والجزالة ، كثيرا ما يشير فيه إلى نكتة بارعة ، أو إشارة رائعة تأتى بلا تكلف ولا استكراه .

ومن ذلك قوله يخاطب رئيس الوزارة حسين رشدى باشا ويسأله أن يمد فى أجل خدمته ، وهو غاية فى الرقة والظَّرف والفكاهة :

صاحب الدولة يا شيخ الوزاره　　حاجتى إن شئت تقضى بإشاره

نالها قبــلى ألوف لم أكن　　دونهم علما ولا أدنى إداره

ناهز الستين عمرى إنما　　لم أزل جمّ القوى جم الجداره

وإذا لم يشك مثـــلى علة　　　هل من الحكمة أن يلزم داره

إن تركى خدمـة الأوطان مع　　　طول ما مارست فى الدنيا خساره

وحيـاتى كلهـا قضيتهـا　　　تارة فى العـدل والتعليم تاره

نثره :

كان كاتبا رصينا ، وإذا هو التزم السجع جاء بالأسجاع المتينة التى لاتعسف فيها ولا ضعف ، ومن ثم كان قدوة الـكتاب فى عصره والمشار إليه بالبنان فى جمال الأسلوب وسلاسة النظم ، فمن ذلك قوله يشكر السيد على الليثى على هدية عنب :

وصل يا مولاى إلى هـذا الطَّرَف ، ما خصصت به هذا العبد من الطُّرف[1] ، (قفص) من عنب كاللؤلؤ فى الصدف ، تتألف عناقيده كأنها من صناعة (النجف)[2] ، ولعمر الحق إنها تحفة من أحلى التحف ، لايعثر على مثلها إلا بطريق (الصدف) ، فقابلناه لثما بالأفواه ، ورشفا بالشفاه ، واحتفينا بقدومه كل الاحتفاء ، ولم نفرّط فى حبة عند اللقاء ، بل حللنا له الُحبى[3] ، وقلنا له أهلا وسهلا ومرحبا ، وأوسعناه عضا ولثما ، وتناولناه تجشما[4] وضما ، وحفظنا فى صدورنا سره المكنون ، وطويناه فى غضون البطون ، فطربت من تعاطيه الأرواح ، ولا غرو[5] فهو أصل الراح[6] ،

---

(١) الطرف : التحف .　　(٢) كلمة : مولدة .

(٣) جمع حبوة : وهى ما يجمع به بين الظهر والساق من حبل وغيره .

(٤) جشمه : قرصه ولاعبه .　　(٥) لاعجب .　　(٦) الخمر .

وانتشينا[١] ولم نحمل وزرا ، وثملنا[٢] ولم نذق طعما مرا ، فهو كبيان مهديه سحر ولكنه حلال ، ولعب إلا أنه كال .

وكان الأحرى بهذا العنب أن يناط[٣] بالنحور ، أو تزين به الصدور ، فما هو إلا اللؤلؤ ولكنه سلم من سجن البحار ، وما هو إلا الدر لكن ليس فيه صغار[٤] .

ومن كنت بحرا له يا على　　لا يلقط الدر إلا كبارا[٥]

إلى آخر القطعة وهى طويلة .

مؤلفاته :

يعد فى صدر المؤلفين الذين ذللوا للتلاميذ تعلم اللغة العربية بما ألفوا من كتب وضعت على نهج جديد فى التأليف ، درس فيها نابتة هذا العصر فى مصر وغيرها ، ومكثت ردحا طويلا هى العمدة فى تعليم اللغة العربية فى المدارس الأميرية وهى المسماة (بقواعد اللغة العربيـة) وهى مجموعة أجزاء بعضها فى النحو والصرف ، و بعضها فى علوم البلاغة .

وفاته :

توفى رحمه الله سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وألف هجرية .

---

(١) سكرنا .　(٢) سكرنا .　(٣) يعلق .
(٤) الصغير .　(٥) الكبير .

أحمد الحملاوى

المتوفى سنة ١٣٥١ ﻫ

هو أحمد بن محمد بن أحمد الأستاذ الجليل ، الذى تخرج على يديه كثير من رجالات العلم الذين لهم فى النهضة المصرية آثار بادية للعيان .

مولده ونشأته :

ولد بمُنْية حَمَل من كورة الشرقية سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف ، وقرأ القرآن الكريم ، وقدم إلى الأزهر سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف ، فحفظ المتون وتلقى كثيرا من العلوم الشرعية والعربية على علماء عصره ، ثم دخل مدرسة دار العلوم ، وكان من بين طلبتها المبرزين ، ثم تخرج فيها وتولى التدريس بجميع مراحل التعليم ، وكان آخرها أن قام بتدريس اللغة العربية بدار العلوم ، وله فيها آثار تشهد بعلوّ كعبه فى اللغة ، فألف المؤلفات القيمة ، وأنجب خيرة الطلاب الذين أفادوا المدارس المصرية ، وثقفوا نابتة العصر ، وكبار رجالات مصر .

نثره :

كان كاتبا حسن الديباجة ، مهلهل الأسلوب ، تأثر بما تأثر به كتاب عصره من قراءة مقامات البديع الهمذانى والحريرى ومقدمة ابن خلدون ، وكان حافظا لعيون الشعر وجيد النثر من كلام الجاهليين والإسلاميين والمولدين .

شعره :

ليس فى الشعر دونه فى النثر ، فمن ذلك قوله ينصح ابنه صابرا وهو طالب بجامعة لندن سنة ١٩١٤ م .

أبوك البر يهديك التحيه كنفح المسك عاطرة ذكيه
ويهديك النصائح فى بلاد بها تحلو النصائح والوصيه

ثم قال :

وأمك وهى مصر فى احتياج لخدمتها باخلاص ونيه
فقل لبنى البلاد وهم كثير حقوق الأم نرعاها سويه
ووادى النيل نخدمه جميعا ونطلب دائما أبدا رقيه

تواليفه :

كانت الحاجة فى ذلك العصر ملحة فى تسهيل عبارات المؤلفين فى الكتب العربية ، فنصب المترجَم نفسه للقيام بهذه المهمة الشاقة ، فهذب فنّ الصرف بمؤلفه (شذا العرف فى فن الصرف) وعلوم البلاغة بكتابه (زهر الربيع فى علوم المعانى والبيان والبديع) وألف مورد الصفا فى سيرة المصطفى .

وفاته :

توفى رحمه الله فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٥١ هـ الموافق ٢٥ يوليه سنة ١٩٣٢ م .

أحمد بن مصطفى المراغى

هو أحمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم القاضى .

مولده ونشأته :

ولد ببلدة المراغة من أعمال مديرية جرجا بصعيد مصر سنة ألف وثلثمائة هجرية ، من أسرة عريقة فى خدمة العلم والقضاء ، توارث القضاء فيها خلف عن سلف ، ومن قِبَل هذا تلقب بأسرة القاضى .

ولما شدا وترعرع دخل مكتب القرية وحفظ الكتاب الكريم وجوّده ، ثم رحل إلى الأزهر يطلب فيه العلم سنة ١٣١٤ هـ ، وحفظ كثيرا من المتون المتداولة فى تلكم الحقبة ، وتلقى العلم على جلة أشياخه كالأستاذ الإمام محمد عبده ، ومحمد بخيت الحنفى المطيعى ، ومحمد حسنين العدوى ، وأحمد الرفاعى الفيومى ، فى جماعة آخرين ، ثم اتجهت عزيمته إلى دخول دار العلوم ، وكان قد شارف النهاية فى الدراسة الأزهرية ، فانتظم فى سلك طلبتها حتى تخرّج فيها سنة ١٣٢٦ ، وتولى التدريس بالمدارس الأميرية ، ثم عين ناظرا لمدرسة المعلمين بالفيوم ، ثم تولى التدريس بكلية غردون أستاذا للشريعة الإسلامية واللغة العربية ، ثم رجع إلى مصر أستاذا للغة العربية والشريعة الإسلامية بمدرسة دار العلوم ولا يزال بها حتى الآن ، وقد ندب لإقراء علوم البلاغة فى كلية اللغة العربية (شعبة البلاغة والأدب) بالأزهر الشريف ، وتخرج على يديه من تفخر بهم المعاهد الدينية من علماء التخصص ، وهم زهرة شبابها الناهض والقائمون بأعباء التدريس بها فى مختلف الفنون .

توالیفـــــه :

له كثير من المؤلفات التى رزقت حظا من الشهرة وانتفع بها الجم الغفير من الطلاب فى معاهد العلم المختلفة ، من ذلك كتاب [علوم البلاغة] وهو كتاب جمع بين طريق عبد القاهر وطريق السكاكى فى التأليف ، وكتاب [هداية الطالب] وهو جزءان ، أحدهما فى النحو والتصريف ، والثانى فى علوم البلاغة الثلاثة ، وقد وضع مراعى فيه منهج الدراسة للمدارس الثانوية ، وكتاب [مرشد الطالب] فى علوم البلاغة وضع متبعا فيه الطريق الاستنتاجية ولم يطبع بعد ، وكتاب [تهذيب التوضيح] جزءان أحدهما فى النحو، والثانى فى التصريف وهو يدرس بالأزهر، وكتاب [بحوث وآراء فى فنون البلاغة] ، وكتاب [تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها] وكتاب [الديانة والأخلاق] وكتاب [الموجز فى الأدب العربى] وكتاب [الموجز فى الأصول] ورسالة [فى مصطلح الحديث] رسالة [فى شرح ثلاثين حديثا مختارة] رسالة فى تفسير جزء [إنما السبيل] رسالة فى [زوجات النبى صلى الله عليه وسلم] رسالة فى [الحسبة فى الإسلام] رسالة فى [الرفق بالحيوان فى الإسلام] كتاب [المطالعة العربية للمدارس السودانية] رسالة فى [إثبات رؤية الهلال فى رمضان] رسالة فى [الخطب والخطباء فى الدولتين : الأموية والعباسية] تعليقات على [أسرار البلاغة] لعبد القاهر الجرجانى ، تعليقات على [دلائل الإعجاز] له أيضا ، تفسير [القرآن الكريم] المسمى (تفسير المراغى) وضعه فى ثلاثين جزءا ، لكل جزء من القرآن جزء من التفسير ، نهج فيه نهجا جديدا فى الوضع والترتيب وحسن الشرح والبيان ، ونفى الزائف من القصص وما لا سند له عن الأئمة ، وقد تقبلته الأمة بالقبول ، فجزاه الله عن الدين وأهله خير الجزاء ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه .

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده

وبعد : فقد تم بحمد الله وحسن توفيقه طبع كتاب :

[تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها]

تأليف الأستاذ

أحمد مصطفى المراغي بك

مصححا بمعرفة لجنة من العلماء برياسة : الشيخ أحمد سعد علي .

القاهرة في { ٢٠ شعبان سنة ١٣٦٩ هـ
٦ يونيه سنة ١٩٥٠ م }

ملاحظ المطبعة — مدير المطبعة

محمد أمين عمران — رستم مصطفى الحلبي

فهـــرس

تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها

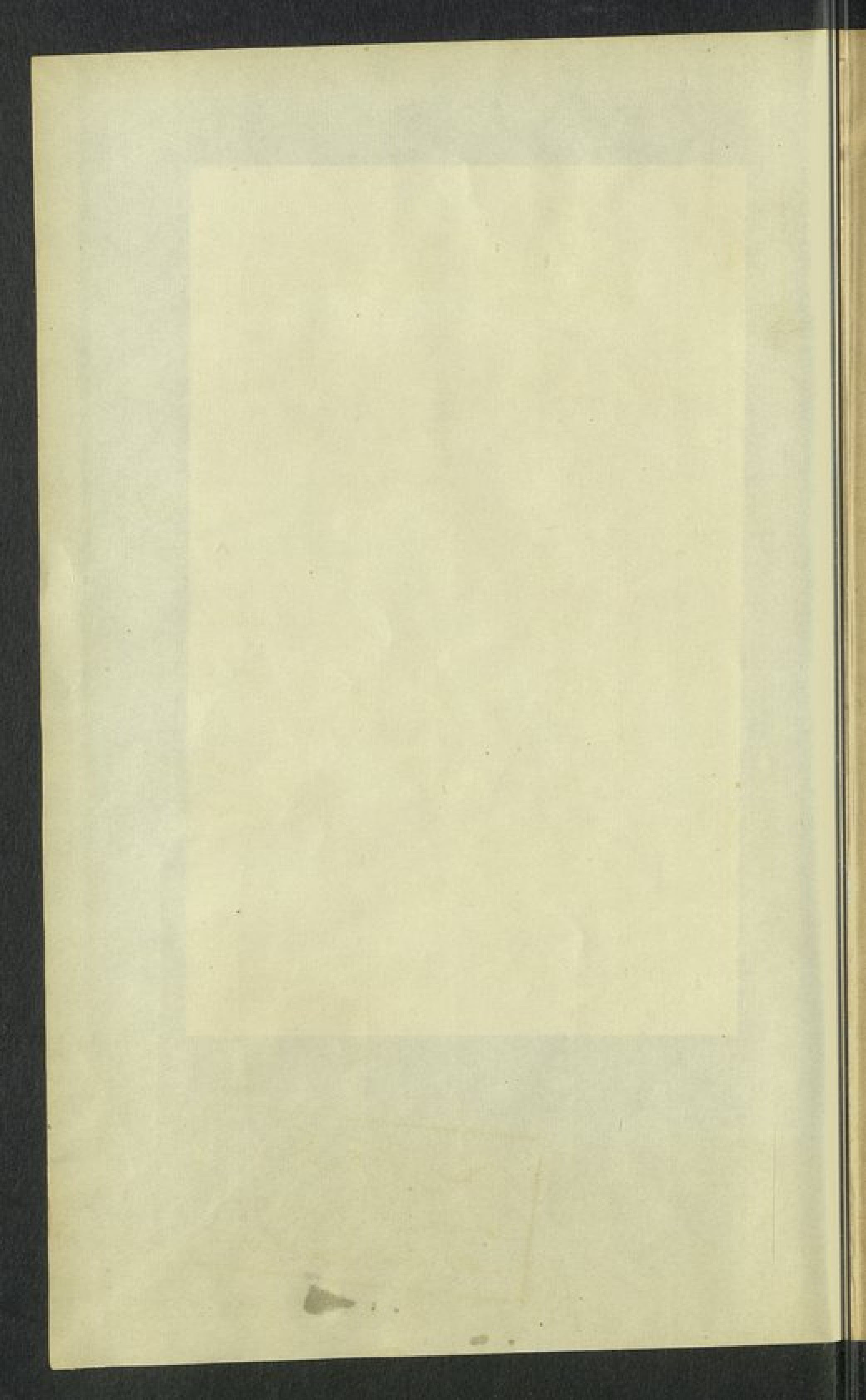
الصفحة	المبحث
٣	مصادر الكتاب
٧	مقدمة الكتاب
٩	نشأة علوم البلاغة ـ أطوار التأليف فيها
	الطور الأول ـ من عصر سيبويه إلى عصر عبد القاهر
٢٠	« الثانى ـ عصر عبد القاهر والزمخشرى وابن الأثير
٢٧	« الثالث ـ « السكاكى والعضد والطيبى والخطيب وبدر الدين بن مالك .
٣٥	« الرابع ـ « الشروح والحواشى
٤١	« الخامس ـ « التأليف فى العصر الحاضر
٤٣	واضع علمى المعانى والبيان سيبويه
٥٨	التعريف بعلماء البلاغة بحسب ترتيبهم الزمنى
	أبو بشر عمرو سيبويه
٦٠	مناظرة بين سيبويه والكسائى ٦٣ ــ أبو عبيدة معمر بن المثنى
٦٤	موازنة بين أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد الأنصارى
٦٦	أبو عثمان الجاحظ ٧٤ ــ محمد بن يزيد المبرد
٧٨	عبد الله بن المعتز ٨٠ ــ قدامة بن جعفر الكاتب
٨١	أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى
٨٤	أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى
٨٧	الحسن بن بشر الآمدى ٩٠ ــ محمد بن عمران المرزبانى
٩٢	أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى
٩٤	أبو منصور الثعالبى ٩٥ ــ ابن رشيق القيروانى

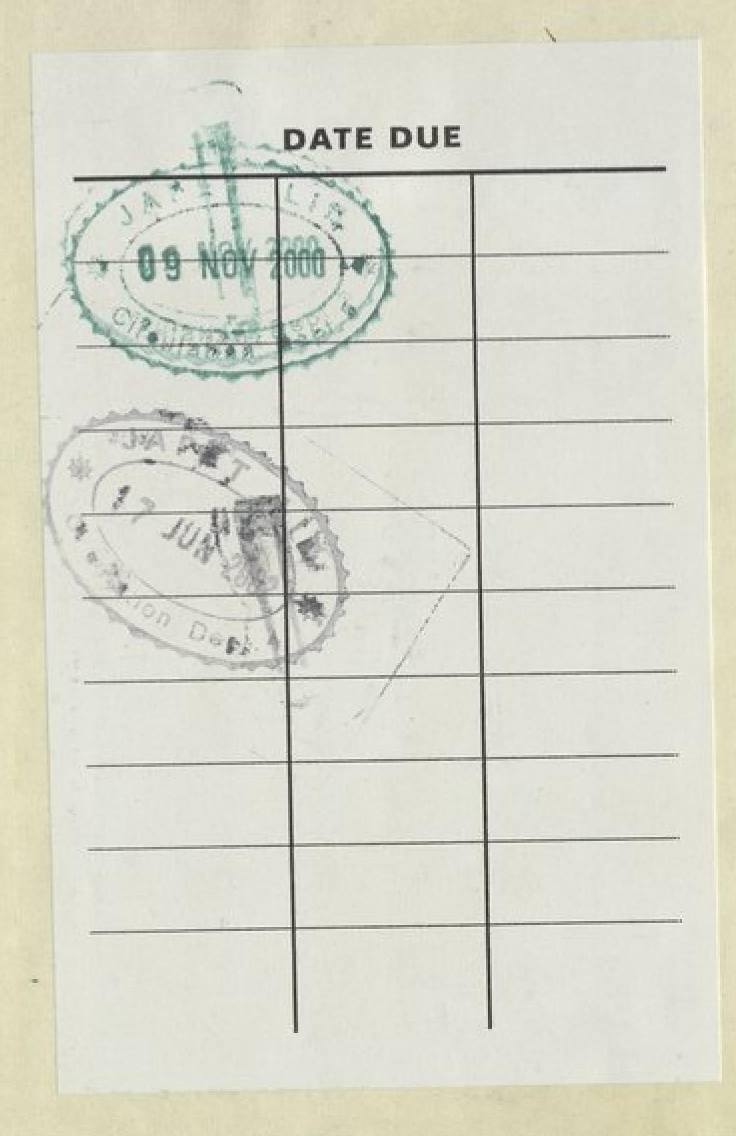
الصفحة المبحث

٩٨ ابن سنان الخفاجي الأمير ١٠٠ — عبد القاهر الجرجاني
١٠٢ محمود بن عمر الزمخشري ١٠٦ — مجد الدين بن منقذ الشيزاري
١٠٧ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي
١١٠ أبو يعقوب السكاكي
١١١ نقد تقسيم السكاكي فنون البلاغة
١٢١ عبد اللطيف البغدادي
١٢٢ أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير
١٢٥ عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني
١٢٦ عبد الوهاب الزنجاني — ابن أبي الأصبع
١٢٧ عز الدين بن أبي الحديد
١٢٩ أبو الحسن حازم الأنصاري القرطبي
١٣١ بدر الدين بن مالك ١٣٢ — قطب الدين الشيرازي
١٣٣ محمد بن النحوية ١٣٤ — محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني
١٣٦ شرف الدين الطيبي ١٣٧ — محمد بن مظفر الخطيبي الخلخالي
١٣٨ يحيى بن حمزة العلوي ١٣٩ — صفي الدين الحلي
١٤١ عبد الرحمن عضد الدين ١٤٤ — بهاء الدين السبكي
١٤٦ محمد بن يوسف ناظر الجيش ١٤٧ — ابن جابر الأندلسي
١٤٧ محمد البابرتي ١٤٨ — محمد بن يوسف الكرماني
١٥٠ شمس الدين القونوي — الموصلي ١٥١ — سعد الدين التفتازاني
١٥٣ جمال الدين التبريزي ١٥٤ — جمال الدين الأقصرائي
١٥٥ السيد عبد الله العجمي ١٥٦ — محمد بن خضر العيزري
١٥٧ السيد الشريف الجرجاني ١٥٩ — عز الدين بن جماعة
١٦٠ حيدرة الشيرازي ١٦١ — محمد بن حمزة الفناري
١٦٢ تقي الدين بن حجة الحموي ١٦٣ — ابن المقرئ — محمد بن السيد الشريف

الصفحة	المبحث
١٦٤	محمد الطائى البساطى
١٦٥	علاء الدين البسطامى ـ المولى خسرو
١٦٦	أبو الليث السمرقندى
١٦٩	حسن جلبى ١٧٠ ـ المولى اللطفى
١٧١	حميد الدين ـ جلال الدين السيوطى
١٧٦	أسعد بن الناجى ـ عائشة الباعونية
١٧٧	زكريا الأنصارى ١٧٨ — ابن كمال باشا
١٧٩	عصام الدين ١٨٠ — عبد الرحمن الأخضرى
١٨١	محيي الدين جلبى
١٨٢	عبد الرحيم العباسى ـ طاشكبرى زاده
١٨٤	ابن قاسم العبادى ـ يس العليمى الحمصى
١٨٥	عبد الحكيم السيالكوتى
١٨٦	البسنوى ١٨٧ — أحمد الخفاجى
١٩٠	ابن يعقوب المغربى
١٩١	عبد الغنى النابلسى ـ محمد الحفنى
١٩٣	أحمد بن عبد الفتاح الملوى ١٩٤ — أحمد الدمنهورى
١٩٥	أحمد السجاعى ١٩٦ — أحمد الدردير
١٩٨	أبو العرفان الصبان ٢٠٠ — مصطفى البنانى
٢٠١	محمد بن عرفة الدسوقى ٢٠٢ — محمد الأمير
٢٠٤	حسن العطار ٢٠٦ — إبراهيم الباجورى
٢٠٨	محمد الخضرى ٢١٠ — محمد الانبابى
٢١١	محمد البسيونى ٢١٣ — حفنى ناصف
٢١٧	أحمد الحلاوى ٢١٩ — أحمد بن مصطفى المراغى

مكتبة العرب
مديرها : صلاح الدين البستانى
٢٨ ش كامل صدقى (الفجالة) القاهرة




DATE DUE
09 NOV 2000
17 JUN



American University of Beirut



808
M29tA

General Library

808
M29tA
C.1